

آثار الذنوب في زوال النعم وجلب الكروب

هاشم بكري

من سنن الله الثابتة أنه من سلك طريق الله واتبع دين الله فقد فاز ونجا وساد وقاد وإن كان عبداً زنجياً ومن ترك هداية الله وسلك طريق الشيطان فقد حبط عمله وهلك وضل ضلالاً بعيداً وإن كان سيداً قرشياً تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً وأنه ما نزل عذاب إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة وما يقال عن الأفراد بالنسبة لسنن الله وأحكامه فهو نفسه ينسحب علي الأمم والشعوب فالأمة التي تأخذ بأسباب المجد والعز والسؤدد وتمشي في طريق النجاة والسلامة مستهدية بهدي الله عز وجل وشرع الله هذه الأمة تمجد وتسعد وتنصر ويعمها الأمن والرخاء ويزيدها الله قوة إلي قوتها وعزة إلي عزتها أما إذا استدبرت طريق الله وجانبت شرع الله وسارت في طريق الهلاك والضلال هلكت وضلت وأصابها الذل والهوان والخزي والخسران وعمتها الكروب وهي حصيلة الذنوب وعصيان علام الغيوب . يقول المؤلف تأملت حال المسلمين وأخذت أبحث عن الأسباب فوجدت سبباً واحداً هو الذي أدي إلي ما نحن فيه من الذل والهوان ألا وهو المعاصي والذنوب فكتبت فيها ما تقرأون في هذا الكتاب



تفضلوا بزيارة ساحاتنا الدعوية

وساهموا في الدعوة من خلالها حتى لا نترك الشبكة " النت " مرتعا لأعداء الله يفسدون في الأرض

***وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * فصلت٣٣**

منتديات الكتاب الالكتروني الإسلامي

منتدى رائع للكتاب الإسلام

صفحة المنتدى على الفيس بوك

صفحة عادل محمد على الفيس بوك

صفحة عادل محمد على التويتر

كثيرون يريدون هدم البناء , إن لم تستطع أن تزيد فيه شيئا ؛ فامنع حجرا من السقوط



المقدمة

الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين الذي خلق الخلق وأحصاهم عدداً وكلهم آتيه يوم القيامة فردا. ونشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ونشهد أن محمدا رسول الله خير من عبد الله الذي كان يصلي حتى تتورم قدماه .

أما بعد: فإنه من المعلوم بداهة أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد من خلقه نسب وأنه سبحانه المتفرد في خلقه وحكمة لا يسأل عما يفعل وهم يسألوا وأنه عز وجل: قد بعث الرسل مبشرين ومنذرين وهم الهداة إلي طريق الله والمبلغون لشرائع الله. وأنه سبحانه وتعالي : قد وضع سننا ثابتة وأحكاماً ظاهرة باهرة لا تتغير ولا تتبدل لأحد كائنا من كان . وأنه سبحانه : سيسأل الخلق أجمعين عما كانوا يعملون لا يترك أحداً حتى رسله المقربين وعباده الصالحين قال تعالي: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ }(الأعراف: ٦)

ومن سنن الله الثابتة: أنه من سلك طريق الله واتبع دين الله فقد فاز ونجا وساد وقاد وإن كان عبداً زنجياً ومن ترك هداية الله وسلك طريق الشيطان فقد حبط عمله وهلك وضل ضلالاً بعيداً وإن كان سيداً قرشياً. تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً وأنه ما نزل عذاب إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة. وما يقال عن الأفراد بالنسبة لسنن الله وأحكامه فهو نفسه ينسحب علي الأمم والشعوب فالأمة التي تأخذ بأسباب المجد والعز والسؤدد وتمشي في طريق النجاة والسلامة مستهدية بهدي الله عز وجل وشرع الله هذه الأمة تمجد وتسعد وتنصر ويعمها الأمن والرخاء ويزيدها الله قوة إلي قوتها وعزة إلي عزتها. لذلك قال رسول الله وسلم صلي الله عليه لن يهلك الله أمة حتى يُعذروا من أنفسهم" أبوداود في الملاحم وصححه الألباني " أما إذا استدبرت طريق الله وجانبت شرع الله وسارت في طريق الهلاك والضلال هلكت وضلت وأصابها الذل والهوان والخزي والخسران وعمتها الكروب وهي حصيلة الذنوب وعصيان علام الغيوب.

يقول ابن القيم رحمة الله عند تفسير قوله تعالي {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ}(الرعد: ١١)

إن الله لا يغير ما بقوم من الكروب حتى يغيروا ما بأنفسه م من الذنوب فلا يكون التغير إلا بعد التغيير فبظلمنا وذنوبنا صبت علينا المظالم وهكذا ينتقم الله من الظالم بالظالم.
وقال تعالي {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ }[الشورى: ٣٠]



قال أبو حاتم: بلغني أن الحسن البصري قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله والذي نفس محمدٍ بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو عنه كان أكثر. " تفسير القرآن لابن كثير "

والأمثلة في كتاب الله عز وجل علي مثل هذا لا تحصي ففي كل آية عبرة وفي كل مثل ساقه الله عن الأمم السابقة بلاغ وذكري لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد والإعراض عن الله عز وجل والانشغال بالدنيا وحدها له نتائج وخيمة مظلمة تسوق إلي الهلاك والدمار وتنزل معها صواعق العذاب الهون التي تدمر كل شيء أتت عليه ولما كانت هناك دوافع تدفع الإنسان إلي المعاصي وتزين له الآثام حتى يقع فيها فإذا وقع فيها هان علي الله وسقط من عينه وتركه إلي نفسه والشيطان والهوى وحب الدنيا يتخبط بينهم خبط عشواء ولا يجد إلا التية والضلال لذلك أردت أن أذكر كل مسلم غيور علي دينه خاصة وأننا أصبحنا عرضة للكوارث الداخلية والهجمات الخارجية بكل أنواع الهجوم وبكل سلاح إلا لسلاح العسكري وما أضعفه.

تأملت حال المسلمين وأخذت أبحث عن الأسباب فوجدت سبباً واحداً هو الذي أدي إلي ما نحن فيه من الذل والهوان ألا وهو المعاصي والذنوب فكتبت فيها ما تقرأون في هذا الكتاب.

ولما كان للمعاصي دوافع وجنود وأهواء وأسباب وأعوان كان لزاماً علي أن أبين الأسباب التي توقع الإنسان في شـرك المعاصي وتزين له وتوقعه في فخاخها أولاً. وقد وجدت خمسة أسباب هي التي تؤدي إلي الذنوب وهي: " الشيطان، والنفس، والهوي، وطول الأمل، وحب الدنيا " فلا توجد معصية إلا ومن وراءها أحد هذه الخمس لذلك سوف أتحدث عن كل عنصر من هؤلاء الخمس علي حدة وذلك قبل حديثي عن عقوبات الذنوب، وأسباب النجاة من الذنوب.



الفصل الأول أسباب المعاصي

يشمل خمسه مباحث

- المبحث الأول الشيطان ويشمل علاقته بالإنسان، أعرف عدوك، بداية العلاقة بالإنسان، مكان الشيطان من الإنسان، تعرض الشيطان للأنبياء

مداخل الشيطان، غواية الشيطان، الأبواب التي يدخل منها الشيطان، النجاة من الشيطان، أيهما أشد خطرا

- المبحث الثاني: النفس ويشتمل: أحوال النفس ومحاسبتها (النفس المطمئنة، النفس اللوامة، النفس الأمارة، محاسبة النفس)

- المبحث الثالث: إتباع الهوي ويشمل: إتباع الهوي، تعريفه، علاج الهوي، مخالفة الهوي

- المبحث الرابع: حب الدنيا

- المبحث الخامس: طول الأمل ويشمل: طول الأمل، أسباب طول الأمل، أضراره

المبحث الأول من أسباب الذنوب وسوسة الشيطان

علاقة الشيطان بالإنسان

أعرف عدوك

قال تعالي {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً }[الكهف: ٥٠]

قال ابن جرير الطبري: الشيطان في كلام العرب كل متمرد من الجن والإنس والدواب وهو من شطن الشيء إذا خفي.

قال تعالي: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }[الأنعام: ١١٢]

فجعل من الأنس شياطين مثل الذي جعل من الجن.

وقد ساق الطبري بسنده عن أسلم العدوي أن عمر بن الخطاب ركب برذونًا فجعل يتبختر به أي البرذون فجعل عمر يضربه فلا يزداد إلا تبخترا فنزل عنه وقال: ما حملتوني إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي.



" البرزون دابة بين البغل والحمار "

وجاء في " جامع البيان " إنما سمي المتمرد من كل نوع شيطانا لمفارقته أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله وبعده عن الخير.

وكبير الشياطين إبليس اللعين لم يكن يوماً من الملائكة وإنما كان من الشياطين يقول ابن كثير في تفسير القران الكريم خانة أصله فإنه خلق من مارج من نار وأصل الملائكة من نور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله أنه قال: " خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج وخلق أدم كما وصف لكم". " صحيح مسلم "

فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصي بالمخالفة فهو من الجن كما قال هو بنفسه خلقتني من نار وخلقته من طين وبذلك أقر بنفسه أنه من الجن المخلوقة من نار، وقال الحسن البصري: ما كان إبليس من الملائكة طرفه عين قط وأنه لأصل الجن كما أن آدم (عليه السلام) أصل البشر. " رواه ابن جرير بإسناد صحيح "

بداية العلاقة بين الإنسان والشيطان

تبدأ العلاقة قبل أن يولد الإنسان بل من أول ليلة قدر الله أن تكون أول ليلة للجنين في بطن أمه وذلك عند جماع الزوج لزوجته أي قبل أن تنفخ الروح في الجسد وذلك إذا لم يسم الرجل قبل الجماع ولم ينته الأمر عند هذه البداية ولكنها بداية التعرف والتلازم ومنذ هذه اللحظة بدأ الشيطان يقترب من الإنسان حتى تحين لحظة الميلاد وفيها يستقبل الشيطان الإنسان وليته أي استقبال ولكنه يحتفل بنزول الإنسان للدنيا للمرة الأولي ولم يكد يخرج الإنسان للدنيا حتى يبكيه الشيطان ولم لا؟ وهو الذي أخذ العهد علي نفسه بمعاداة بني آدم صغيراً كبيراً. فلا صلح ولا مودة ولا سلام بل هي حرب ضروس لا تعرف الرحمة.

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: كل ابن آدم يطعن في جنبه بإصبعين حين يولد غير عيسي بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب. " رواه البخاري

ولذلك يستهل المولد صارخاً من طعنة الشيطان.

روي البخاري أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: ما من مولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسه الشيطان إلا ابن مريم وأمه. رواه البخاري

ثم قال أبو هريرة أقروا إن شئتم{وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }[آل عمران: ٣٦]

فها هي قد بدأت اللحظة الأولي فلم يترك الشيطان مولودا عند ولادته إلا نخسه وأبكاه فلم يضيع لحظة من الوقت دون أن يتعدي فيها علي الإنسان وينفث سمومه فيه إلا عيسي بن مريم وجميع الأنبياء أيضاً كما قال النووي عن القاضي عياض رحمة الله أن جميع الأنبياء يشاركون عيسي هذه الخصوصية.



وقد أخبر النبي صلي الله عليه وسلم أن مع كل إنسان شيطان لا يفارقة أبداً وهو قرين للإنسان معه في كل مكان فقد جاء في الحديث الذي تفرد به مسلم عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلي الله عليه وسلم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً قالت: فغرت عليه فجاء فرأي ما أصنع فقال: مالك يا عائشة أغرتِ فقلت ومالي لا يغار مثلي علي مثلك فقال أو قد جاء شيطانك قالت: يا رسول الله أو معي شيطان قال: نعم قلت ومع كل إنسان قال: نعم قلت ومعك يا رسول الله قال: نعم ولكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم". " صحيح مسلم "

ولكن لماذا هذه العداوة؟

إبليس خلقه الله من النار ولكنه اجتهد في العبادة وبلغ مبلغاً عظيماً حتى نال مرتبة الملائكة بعد أن كان جني أصبح في منزلة الملائكة المقربين لكثرة عبادته وعندما خلق الله آدم وأمر الملائكة أن تسجد له وأتت لحظة الابتلاء لإبليس اللعين وهي لحظة السجود لآدم والتي أمر الله فيها الملائكة بالسجود لآدم ومَن في منزلتهم وهو إبليس فسجد الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم كما وصفهم الله في قوله تعالي: " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون"[الحجر: الآية رقم ٣٦(

أما إبليس فرفض أمر الله بالسجود لآدم متعمداً لأنه أعظم من آدم في وجه نظره هو وهو بذلك أول من استخدم القياس في هذه الحالة حيث قاس أن النار أفضل من الطين فقال: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ }[الأعراف: ١٢]

وهنا صدر الأمر الإلهي بالطرد واللعن

فقال تعالي {قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ }(الحجر: رقم (٣٤))

لماذا لم يسجد إبليس لآدم؟قلنا لأنه قاس وقياسه خاطئ بأفضلية النار علي الطين والسبب الأهم هو الحسد وهو الداء الذي يعمي الإنسان عن محاسن الآخرين ويجعل الخير لنفسه والفضل والمقام الرفيع فهو ينبغي أن يستأثر بكل فضل وكل تكريم وهنا أضمر العداوة والبغضاء لأن آدم في نظره نال مكانته وكان السبب في خروجه من الجنة.

وهنا لابد من الانتقام من آدم حياً وميتاً في صورة شخصه ولذلك لازمة بالوسوسة حتى أخرجه من الجنة ولكن الله تاب علي آدم فأتبع ذريته من بعده إلي يوم القيامة، قال تعالي: {قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ }[الحجر٣٧]

وهنا يقول صاحب الظلال رحمة الله لقد طلب إبليس النظره إلي يوم البعث لا ليندم علي خطيئته في حضرة الخالق العظيم ولا ليتوب إلي الله ويرجع ويكفر عن إثمه الجسيم ولكن لينتقم من آدم وذريته جزاء ما لعنه الله وطرده يربط لعنة الله بآدم ولا يربطها بعصيانه لله أ. هـ

وقال أيضاً رحمة الله أي سيد قطب وبذلك حدد إبليس ساحة المعركة أنها الأرض. قال تعالي: " لأزينن لهم في الأرض" وحدد سلاحه فيها أنه التزين تزيين القبيح وتجميله



والأغراء بزينته المصطنعة علي ارتكابه وهكذا لا يجترح الإنسان الشر إلا وعليه مسحه من الشيطان تزينه وتجمله وتظهره في غير حقيقته وردائه فليفطن الناس إلي أسلحة الشيطان وليحذروا كلما وجدوا في أمر تزييناً وكلما وجدوا من نفوسهم إليه اشتهاء ليحذروا فقد يكون الشيطان هناك إلا أن يتصلوا بالله ويعبدوه حق عبادته فليس للشيطان بشرطة هو علي عباده المخلصين من سبيل "إلا عبادك منهم المخلصين " " الظلال "

مكان الشيطان من الإنسان

ابتدأ المكانية الشيطانية بالنسبة للإنسان بقول خير الأنام في الحديث الذي رواه البخاري فتح الباري " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم " قال الحافظ قيل هو علي ظاهره وإن الله تعالي أقدره علي ذلك وقيل هو سبيل الاستعارة في كثرة إغوائه وكأنة لا يفارقه كالدم فاشترك في شدة الاتصال في كل وعدم المفارقة. " رواه البخاري "

وقال ابن عباس الشيطان جاثم علي قلب ابن آدم فإذا سهي وغفل وسوس فإذا ذكر الله خنس" تفسير ابن كثير "

ومن ذلك نتبين أن الشيطان يستطيع أن ينفذ إلي قلب ابن آدم ليختاره مكاناً له لأن القلب هو القائد والأعضاء جنوده فإذا سيطر الشيطان علي القلب خضعت له الجوارح ولا تكون السيطرة إلا بالوسوسة وتزيين الباطل وتقبيح الحق فالشيطان مع الإنسان علي كل حال وفي كل مكان، وقد جاء في كتاب وقاية الإنسان من الجن والشيطان للشيخ وحيد عبد السلام بالي

عن أبي هريرة قال التقي شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول فقال أنا مع رجل إذا أكل سمي الله فأظل جائعاً وإذا شرب سمي الله فأظل عطشاناً وإذا لبس سمي الله فأظل عرياناً وإذا دهن سمي الله فأظل شعثاً فقال ولكني مع رجل لا يفعل شيئاً من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه.

روي أبن أبي الدنيا عن قيس بن حجاج قال شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجذور أي البعير وأنا فيك اليوم مثل العصفور فقلت ولم قال تذيبني بكتاب الله، وروي الإمام مسلم عن قال جابر سمعت رسول الله يقول إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذي ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة.

وهنا يتضح أن الشيطان مسلط علي الإنسان بالمس بدليل قوله تعالي {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}(البقرة: ٢٧٥)

وقوله تعالي: {. . . . . وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم. . . }[إبراهيم، الآية ٢٢)

وقوله تعالي: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً}[الإسراء: ٦٤]



وإن الشيطان أيضاً مسلط علي الإنسان بالوسوسة وأنه لا سبيل للشيطان علي الإنسان سوي المس والوسوسة وإن الإنسان قد يتغلب علي الشيطان في بعض الأحيان وفي هذا دليل علي أن الشيطان لا يدخله وأنه يطرد بالإيمان والأذكار وطاعة الرحمن كما حدث مع بن الخطاب ففي تفسير بن كثير أن الرسول صلي الله عليه وسلم قال لعمر: "والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجاً إلا سلك فجاً غير فجك". تفسير ابن كثير "

قال الحافظ: وذلك يقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه لأن ذلك يقتضي وجود العصمة، إذا ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها ولا يمنع ذلك من وسوسته بحسب ما تصل إليه قدرته فإن قيل عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ الطريق مفهوم الموافقة لأنه إذا منع من السلوك في طريقه فأولي ألا يلاقيه بحيث يتمكن من وسوسته له فيمكن أن يكون حُفِظ من الشيطان) ومما يدل علي أن الشيطان لا يسلط علي الإنسان إلا بالوسوسة والتزيين أن الشياطين تصفد في رمضان، فلو كانت الشياطين تسكن في أجسام العباد لما صفدت في رمضان ومما يدل علي أن قدره الشيطان علي الإنسان تتمثل في الوسوسة وتزين الباطل ما رواه مسلم عن أبي العلاء " أن عثمان بن أبي العاص أتي النبي فقال: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال الرسول: ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل علي يسارك ثلاثاً قال: ففعلت، فأذهب الله عني"، فالشيطان مسلط علي المسلم بالوسوسة ولذلك لما سئل الرسول عن الوسوسة قال: تلك محض الإيمان". " ذكره الألباني في الصحيح "

علمنا أن الشيطان يستدرج الإنسان إلي المهالك بشتى الطرق وسوسة وتزيين بأيه طريق يستطيع أن يؤثر بها علي الإنسان طالما الإنسان في اليقظة فماذا يفعل مع الإنسان إذا أراد الإنسان أن ينام أين يذهب الشيطان وماذا يفعل؟ لا أجد ما أجيب به أفضل من كلام الرسول (عليه السلام) في الحديث الذي ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن البني قال: " إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت علي خياشيمه".

والخيشوم: هو الأنف قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون قوله: (فإن الشيطان يبيت علي خياشيمه علي حقيقته فإن الأنف أحد منافذ الجسم التي يتوصل بها إلي القلب)، وقال: ويحتمل أن يكون علي الاستعارة فإن ما ينعقد من الغبار ورطوبة الخياشيم قذارة توافق الشيطان. " شرح مسلم "

وهذا إذا لم يتحرز منه قبل أن ينام كما حدث مع أبي هريرة رضي الله عنه .

نكته لطيفه /أطرح هنا سؤالاً: لماذا الخياشيم ولم تكن الأذن ـ وهي أولي لأنها أكثر تنبيها للنائم؟ ونجيب ـ وبالله التوفيق ـ أن الانف منفذ من منافذ الجسم يدخل منها الأكسجين الذي يدخل الجسم ويتحد مع الدم الذي يمر علي القلب فيكون التأثير أقوي علي القلب من الأذن التي لا تعتبر منفذاً إلي القلب بأي حال من الأحوال، وقبل أن ينام الإنسان والقرين من الشيطان، يريد الشيطان أن يبعد قرينه عن الطاعة بطريقة من طرقه، وكما قلنا إن طرقه لا تعد ولا تحصي تنفذ بحسب حالة الإنسان الملازم له.



إذا أراد أن ينام يريد أن يحيل بينه وبين صلاة الفجر، روي البخاري أن الرسول صلي الله عليه وسلم قال: "يعقد الشيطان علي قافيه رأس أحدكم إن هو نام ثلاث عقد يضرب علي مكان كل عقده عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلي انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان. قال النووي: واختلف في هذه العقدة فقيل: هو عقد حقيقي بمعني عقد السحر للإنسان، ومنعه من القيام، قال تعالي: " ومن شر النفاثات في العقد}(الفلق، الآية رقم ٤)

وقيل يحتمل أن يوسوس في نفسه ويحدثه بأن عليك ليل طويلاً فتأخر عن القيام، قيل: وهو مجازي كني به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل. " شرح مسلم . بشرح النووي " نحن نتحدث عن الشيطان والإنسان نائم وفي حالة خمول وإن الشيطان يستميت في أن يحول بينه وبين الطاعة وقراءة القرآن وقيام الليل وقد روي البخاري ومسلم - عن عبد الله بن مسعود قال: ذكر عند رسول الله صلي الله عليه وسلم رجلاً ينام ليله حتى أصبح قال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه أو في أذنه". والقول في البول هنا كثير: هل هو علي حقيقته؟ قيل: هو كناية عن سد الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر، وقيل معناه: أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر وقيل: كناية عن ازدراء الشيطان به.

عموماً إن دل هذا فإنما يدل علي أن الشيطان متصل بالإنسان اتصال السوار بالمعصم ولا يكاد يفارق الإنسان حتى إنه ليأيته في منامه، ويريه أحلامه المزعجة لينغص عليه نومه ويسبب له آلاماً وأحلاماً مزعجه.

فقد روي الإمام مسلم في صحيحه عن جابر قال: جاء أعرابي إلي النبي فقال: يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتددت علي إثره، فقال الرسول للأعرابي: لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك". وفي الصحيحين أيضاً - من حديث أبي قتادة أن رسول الله قال: الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأي شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره". ومن هذا يتضح أن الشيطان ملازم للإنسان في جميع حركاته وسكناته في يقظته وفي منامه لا يفارقه إلا عندما يجد الإنسان ويجتهد في الاستعاذة وعند إقامة الصلاة فيخرج أثناء الإقامة من المسجد وله ضراط.

وكما قلنا أن الشيطان يتفاني في إضلال الإنسان وأنه لا يترك الإنسان علي حالة من الحالات التي يطيع فيها ربه حتى إنه من شدة المرافقة ورؤيته للإنسان علي كل حال ويشمت بالإنسان إذا رأي من الإنسان ما يسره ويضحك من الإنسان المتثائب لذلك يقول الرسول: " إن الله يحب العطس ويكره التثاؤب فإذا عطس فحمد الله فحق علي كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التثاؤب فهو من الشيطان فليرده ما استطاع، فإذا قال: (ها)، ضحك منه الشيطان". " البخاري فتح الباري "

روي الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله: "إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده علي فيه فإن الشيطان يجري من ابن ادم مجري الدم". ، قال الحافظ: يحتمل أن يراد بالدخول حقيقة وهو إن كان الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم لكنه لا يتمكن منه



ما دام ذاكراً لله تعالي والمتثائب في تلك الحالة غير ذاكر فتمكن الشيطان من الدخول حقيقة ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأراد التمكن منه، لأنه من شأن من دخل فيي يكون متمكنا منه. ١)

هذا عن مكان الشيطان من الإنسان، والآن ننتقل إلي أشرف خلق الله علي الله، وماذا حدث لهم مع الشيطان عندما تعرض لهم.

تعرض الشيطان للأنبياء(عليهم السلام)

لم يترك الشيطان أحدا كائنا ما كان إلا وتعرض له حتى رسل الله وهم صفوه الخلق حاول الملعون أن يتعرض لهم

أولاً: تعرضه لنوح (عليه السلام):

روي أبو الفرج بن الجوزي عن عبد الله بن عمر قال: (لما ركب نوح السفينة رأي فيها شيخاً لم يعرفه فقال نوح: " ما أدخلك"؟ قال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك، فقال عليه السلام: "اخرج يا عدوا الله "، فقال إبليس: خمس اهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنين، فأوحي الله إلي نوح أنه لا حاجة بك إلي الثلاث دعه يحدثك بالاثنين فقال بهما أهلك الناس الحسد والحرص فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً وبالحرص أبحت لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه فأخرج من الجنة".

ثانياً: تعرضه لموسي (عليه السلام):

جاء أيضاً في تلبيس إبليس: أن إبليس لقي موسي فقال يا موسي أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً وأنا من خلق الله أذنبت فأنا أريد أن أتوب فاشفع لي عند ربك عز وجل أن يتوب علي فدعا موسي ربه فقيل يا موسي قد قضيت حاجتك فلقي موسي إبليس فقال قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك فاستكبر وغضب، وقال: لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً؟ ثم قال إبليس: يا موسي إن لك بما شفعت إلي عند ربك فأذكرني عند ثلاث لا أهلك فيهن أذكرني حين تغضب فانا وحي في قلبك، وعيني في عينك، وأجري منك مجري الدم، وأذكرني حين تلقي الزحف أي الجهاد فإني آتي ابن آدم فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها.

ثالثا: تعرضه لزكريا عليه السلام (عليه السلام)

جاء في أحكام المرجان روي عبد الله بن محمد بن عبد بسنده عن قال: بلغنا أن الخبيث إبليس تبدي ليحي بن زكريا فقال: إني أريد أن أنصحك، قال: كذبت، أنت لا تنصحني، ولكن أخبرني عن بني آدم، قال: هم عندنا علي ثلاثة أصناف؛ أما الصنف الأول منهم فهم أشد الأصناف علينا أن نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يتفرغ للاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه، ثم نعود فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن من ذلك في عناء، وأما الصنف الثاني منهم في أيدينا بمنزله

[1] فتح الباري (٦١٢/١٠)



الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم، وأما الصنف الأخير فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم علي شئ)

قال يحي (عليه السلام): علي ذلك هل قدرت مني علي شئ قال لا إلا مرة واحدة فإنك قدمت طعاماً تأكل منه فلم أزل أشهيه لك حتى أكلت منه أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم إلي الصلاة كما كنت تقوم إليها، فقال يحي: لا جرم لا شبعت من طعام أبداً، قال الخبيث: لا جرم لا نصحت آدمياً بعدك.

روي الإمام أحمد بن حنبل عن ثابت البُناني قال بلغنا أن إبليس ظهر ليحي بن زكريا فرأي عليه معاليق من كل شيء فقال يحي: يا إبليس ما هذه المعاليق التي أري عليك، قال: هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم، قال يحي: فهل لي فيها شيء، قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر، قال: فهل غير ذلك؟ قال: لا والله، قال له يحي (عليه السلام) لله علَي ألا أملأ بطني من طعام أبداً قال إبليس: ولله عليّ ألا أنصح مسلماً

ثالثاً: تعرضه الشيطان لأيوب (عليه السلام):

روي ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس قال: قال الشيطان: يا رب سلطني علي أيوب، قال الله تعالي: قد سلطتك علي ماله وولده ولم أسلطك علي جسده فنزل وجميع جنوده فقال لهم: قد سلطت علي أيوب فأروني سلطانكم فصاروا نيرانا ثم صاروا ماءً فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق فأرسل طائفة منهم إلي زرعه، وطائفة إلي بقرة وطائفة إلي غنمه. وقال: إنه لا يعتصم منك إلا بالصبر، فائتوه بالمصائب بعضها علي بعض فجاء صاحب الزرع، فقال: يا أيوب ألم تر إلي ربك أرسل علي زرعك ناراً فأحرقته؟، ثم جاء صاحب الإبل فقال له: يا أيوب ألم تر إلي ربك أرسل علي إبلك عدواً فذهب بها ثم جاء صاحب الغنم فقال له: يا أيوب ألم تر إلي ربك أرسل علي غنمك عدواً فذهب بها؟ وتفرد هو أي إبليس لبنيه فجمعهم في بيت أكبرهم فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت الريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلي أيوب بصورة غلام في أذنيه قرطان، قال يا أيوب ألم تر إلي ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت باركان البيت فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم بطعامهم وشرابهم فقال أيوب له: فأين كنت أنت؟ قال: كنت معهم، قال: وكيف انفلت؟ قال: انفلت قال أيوب: أنت الشيطان ثم قال أيوب: أنا اليوم كهيئتي يوم ولدتني أمي، فقام فحلق رأسه ثم قام يصلي، فرن إبليس رنه سمعها أهل السماء وأهل الأرض ثم قرع إلي السماء فقال: أي رب قد اعتصم فسلطني عليه فإني لا أستطيع إلا بسلطانك، قال: قد سلطتك علي جسده ولم أسلطك علي قلبه، قال: فنزل فنفخ تحت قدميه نفخه قرح ما بين قدميه إلي قرنه فصار قرحة واحدة وألقي علي الرماد حتى بدأ بطنه فكانت امرأته تسعي عليه حتى قالت له: أما تري يا أيوب قدر الله نزل بك من الجهد والفاقة ما إن بعت قروني برغيف فأطعمك، فادع الله أن يشفيك قال: ويحك، كنا في النعماء سبعين عاماً فاصبري حتى نكون في الضراء سبعين عاماً، فكان في البلاء سبع سنين.

رابعاً: تعرض الشيطان لعيسي (عليه السلام):



وجاء في أكام المرجان: روي أبو بكر الباغندي عن سفيان بن عيينة قال: لقي عيسي ابن مريم إبليس فقال له إبليس: أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت في المهد صبياً ولم يتكلم أحد من قبلك، قال: بل الربوبية والعظمة للإله الذي أنطقني ثم يميتني ثم يحييني، قال: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحي الموتى، قال: بل الربوبية لله الذي يميتني ويميت من أحييت ثم يحييني، قال له إبليس: والله إنك لإله من في السماوات وإله من في الأرض فضربه جبريل بجناحه فما تناهي عن قرن الشمس

وكل ما كتبت عن تعرض الشيطان للأنبياء السابقين وهم جميعاً من أبناء بني إسرائيل (عليهم جميعاً السلام) وقد يقول لما ذكرت هذا؟ لنبين للقارئ أن الشيطان يتعرض لكل آدمي مهما كان ولا ينجي الإنسان منه ويستطيع أن يصرعه - إلا بالتمسك بسنن الله والعمل بكتابه - في كل أمة سابقة، حتى جاء الإسلام وأصبح علي كل إنسان أن يكون مسلماً مؤمناً بكتاب الله وهو القرآن الكريم " إن الدين عند الله الإسلام".

وقد يقول القائل: أليس في الإسلام ما يكفي عن الحديث عن الأمم السابقة نقول: وأعلم أن الحديث عن الأمم السابقة من الإسلام أيضاً لأن الإسلام لم ينغلق علي نفسه بل أخبر عن الأمم السابقة، فقد روي البخاري عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: " بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار". " فتح الباري "

ونحن لا نتكلم عنهم إلا بما صدقه القرآن، ونبي الإسلام (عليه السلام).

خامساً: تعرض الشيطان للنبي المصطفي صلي الله عليه وسلم:

تعرض الشيطان للرسول أكثر من مرة:

روي الإمام مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله (عليه السلام) فسمعناه يقول: " أعوذ بالله منك، ثم قال: ألعنك بلعنه الله وبسط يده ثلاثاً، كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك، قال: إن عدو الله جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت أعوذ بالله ثلاث مرات، ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يتأخر ثلاث مرات ثم أردت أخذه وو الله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثوقاً يلعب به ولدان أهل المدينة".

وعن أبي القيام قال قلت لعبد الرحمن بن خنيش التميمي، وكان كبيراً: "أدركت رسول الله قال: نعم قلت: كيف صنع ليله كادته الجن والشياطين؟ قال: إن الشياطين تحدرت تلك الليلة علي رسول الله من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق وجه الرسول. فهبط إليه جبريل، فقال يا محمد قل، قال: ما أقول؟ قال: قل أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن قال فطفئت نارهم وهزمهم الله تبارك وتعالي)) " رواه أحمد ومالك والنسائي "

مداخـــل الشيطـــان:



للشيطان عده طرق يستطيع ان يصل منها لما يريد من الانسان الغافل ولا يكف عن محاولات الوصول.

أولاً: الشيطان والقلب:

لا يمكن لأي إنسان أو لأي أحد أن يتحدث عن الشيطان دون أن يتحدث عن القلب وذلك لما للقلب من هيمنه وسيطرة وتحكم وأمر ونهي علي جميع أعضاء البدن. لذلك سأتحدث عن القلب بكلام ابن القيم في كتابة القيم " إغاثة اللهفان " حيث قال: القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود التي تصدر كلها عن أمره ويستعملها فيما شاء فكلها تحت عبوديته وقهره وتكتسب منه الاستقامة والزيغ وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله.

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" " جزء من حديث البخاري " فهو ملكها وهي المنفذة لما يأمرها به القابلة لما يأيتها من هدايته ولا يستقيم لها شئ من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته وهو المسئول عنها كلها لأن كل راع مسئول عن رعيته. أ. هـ

والقلب هو محل الاختبار لأنه بأصل فطرته صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً. وقدر وري الإمام مسلم أن النبي قال: (تعرض الفتن علي القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكتت فيه نكته سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكته بيضاء حتى تصير علي قلبين قلب أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض والآخر أسود مربّاداً كالكوز مجخيّاً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه. " رواه مسلم "

فقد شبه الرسول عرض الفتن علي القلوب شيئاً فشيئاً كعرض عيدان الحصير شئياً فشيئاً، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلي قسمين: قلب إذا عرضت عليه الفتنه أشربها كما يشرب الإسفنج الماء فنكتت فيه نكته سوداء كما يلوث الثوب الأبيض ببقعة القار التي تظهر فيه سوداء فلا يزال يشرب كل فتنه تعرض عليه حتى يسود وينتكس وهو معني قول الرسول كالكوز مجخياً أي مكبوتاً منكوساً فإذا اسود كان عرضه لهلاك صاحبه والفتن التي تعرض علي القلوب يكون رسولها وجهاز إرسالها هو الشيطان وقلب ثان مضيء منير قطع حبل الوصال مع الشيطان أغلق هذا القلب أمام الشيطان كل سبل الوصل إلي حصنه ورفع أسوار جدرانه وغلق نوافذه ففشل الشيطان في تسلق جدرانه أو الدخول من نوافذه المغلقة وهو القلب الذي وصفه الرسول بالبياض.

وقد قسم الرسول القلوب في حديث آخر إلي أربعة أنواع وهو الحديث الذي رواه أحمد والطبراني فقال (عليه السلام) القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط علي غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ـ وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم انكسر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقله يمدها



الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المادتين غلب علي الأخرى غلب عليه. يقول ابن القيم في " إغاثة اللهفان "

ولما علم عدو الله إبليس أن المدار علي القلب والاعتماد عليه بالوساوس أقبل بوجوه الشهوات إليه وزين له من الأموال والأعمال ما يصده عن الطريق وأمده من أسباب ألغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق ونصب له من المصايد والحبائل فإن أسلم من الوقوع فيه لم يسلم من أن يحصل له بها التعريض فلا نجاه من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالي والتعرض لأسباب مرضاته والتجاء القلب إليه وإقباله عليه في حركاته وسكناته والتحقق بذل العبودية الذي هو أولي ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول في ضمان {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً }[الإسراء: الآية رقم (٦٥)] فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشياطين وحصولها بسبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين وإشعار القلب إخلاص العمل ودوام اليقين فإذا أشرب القلب العبودية والإخلاص صار عند الله من المقربين وشمله استثناء

" إلا عبادك منهم المخلصين " أ. هـ

وننهي كلامنا عن القلب بتقسيمه إلي:

١) قلب سليم أي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه وهو القلب الذي سد منافذ الشيطان.

٢) قلب ميت وهو لا يعرف ربه ولا يعبده وهو القلب الذي استغني عنه الشيطان.

٣) قلب مريض: وهو القلب الذي يصرع الشيطان ويصرعه الشيطان.

وبعد أن عرفنا أن حياة الإنسان وموت الإنسان وصحة الإنسان ومرضه تتعلق بقلبه إن خلص من الشيطان نجا وإن كانت الأخرى هلك.

لذلك سوف انتقل إلي نقطة تالية وهي: -

كيف يستقطب الشيطان الإنسان؟ أو كيفية استخدام الشيطان للإنسان أو كيف يسيطر الشيطان علي الإنسان

كلها وإن اختلفت الألفاظ إلا أن المعاني كلها تصب في قالب واحد وهو غواية الشيطان للإنسان.

تبدأ هذه الغواية بالوسوسة: فالوسوسة قد ذكرها الله في كتابه الكريم وأمرنا أن نستعيذ منها حيث قال:

" من شر الوسواس الخناس " الذي يوسوس في صدور الناس ". الناس.

قال فيها ابن القيم: أصل الوسوسة الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحس فيحترز منه فالوسواس: الإلقاء الخفي في النفس إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقي إليه وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلي العبد. " تفسير ابن القيم "

وقال ابن القيم أيضاً: هي مبدأ الإرادة فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله فيصور لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير شهوة ويزينها



له بحسنها له ويخيلها في خيال تميل نفسه إليه فتصير إرادة فيحول بينه وبين مطالعته فلا يري إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط وينسي ما وراء ذلك فتصير الإرادة عزيمة حازمة فيشتد الحرص عليها من القلب فيبعث جنوده في القلب فيبعث الشيطان معهم مدداً ولهم عوناً فإن فتروا حركهم، وإن ونوا أزعجهم كما قال تعالي" ألم تر أنا أرسلنا الشياطين علي الكافرين تؤزهم أزاً " [مريم: الآية رقم (٨٣))

أي تزعجهم إلي المعاصي إزعاجاً كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين وأزتهم وأثارتهم فلا تزال بالعبد تقوده إلي الذنب وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيله وأتم مكيدة.

ثانياً: طرق دخول الشيطان علي الإنسان

أولاً: عن طريق القلب: وهنا أتنحي بقلمي جانباً وافسح المجال لأفضل من تحدث عن الشيطان في درة كتبه ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس

حيث قال رحمه الله إنما يدخل الشيطان علي الناس بقدر ما يمكنه ويزداد تمكنه منه ويقل علي مقدار يقظتهم وغفلتهم وعلمهم. وأعلم أن القلب كالحصن وعلي ذلك الحصن سور وللسور أبواب وفيه ثلم أي نوافذ وساكنه الفعل والملائكة تتردد إلي ذلك الحصن وإلي جانبه ربض فيه الهوي والشيطان يختلف إلي ذلك الربض من غير ما نوي والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الربض والشيطان لا يزال يدور حول الحصن يطلب غفلة الحارث والعبور من بعض الثلم فينبغي للحارث أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم وألا يفتر عن الحراسة لحظة فإن العدو لا يفتر. " كتاب تلبيس ابليس "

قال رجل للحسن البصري: أينام إبليس قال: لو نام لوجدنا راحة " وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان وفيه مرائه مصقولة يتراءي فيها صور كل ما يمر به فأول ما يفعل الشيطان في الربض إكثار الدخن فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن فيكر عليه الحراس فيخرج وربما دخل فعاث أي أفسد وربما أقام لغفلة الحارث وربما كسدت الريح الطاردة للدخن فتسود حيطان الحصن وتصدئ المرآة فيمر الشيطان ولا يدري به وربما جرح الحارث لغفلة واسر واستخدم وأقام يستنبط الحيل في موافقته الهوي ومساعدته وربما صار كالفقية في الشر. قال بعض السلف: رأيت الشيطان فقال لي: كنت ألقي الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم. وربما هجم الشيطان علي الذكي الفطن ومعه عروس الهوي قد جلاها فتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأثره. وأقوي القيد الذي يوثق به الأسري: الجهل، وأوسطه في القوة: الهوي وأضعفه الغفلة، وما دام درع الإيمان علي المؤمن فإن نبل العدو لا يقتل في مقتل.

وساق أيضاً ـ رحمه الله ـ عن الحسن بن صالح قوله: إن الشيطان يفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به بابا من الشر.

وساق أيضاً عن الأعمش أنه قال: حدثنا رجل يكلم الجن قالوا: ليس علينا أشد ممن يتبع السنة وأما أصحاب الأهواء فإنا نلعب بهم لعبا، وبما أن الشيطان عدو والعدو دائماً يتحين غفلة من عدوه لذلك لا يدخل الشيطان إلا علي ذي القلب الخالي من الذكر



والتقوى والإخلاص واليقين فيلقي وساوسه فيجد المحل خالياً فيتمكن فيه وتستقر فيه أي الوساوس وبخاصة إذا كان القلب محشواً بالهوي والشهوة فهما قوت الشيطان.

هذا وإن الشيطان لا يكتفي بنفسه فقط بل يبعث أعوانه في كل مكان ولكل إنسان ليتفننوا في إغوائه.

روي الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "إن إبليس يضع عرشه علي الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنه يجئ أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً قال: ثم يجئ أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين زوجته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت". قال الأعمش أراه قال: فيلتزمه. روي هذا الحديث الإمام أحمد بصيغة مختلفة عن أبي موسي حيث قال: " إذا أصبح إبليس بث جنوده في الأرض فيقول من أضل مسلماً ألبسته التاج فيقول له القائل لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، قال: يوشك أن يتزوج، ويقول أخر: لم أزل بفلان حتى زني قال: أنت، ويقول أخر: لم أزل بفلان حتى شرب الخمر، قال: أنت قال: ويقول أخر: لم أزل بفلان حتى قتل، فيقول: أنت أنت)). " رواه أحمد وصححه الألباني "

إن إبليس لا يكتفي بقرين الإنسان من الشيطان فحسب بل يبعث له مساعدين ومعينين.

هذا عن مدخل الشيطان عن طريق القلب والآن ننتقل إلي مداخل الشيطان للإنسان عن طريق باقي أعضاء البدن.

فأنظر الآن! إلي التقاء الجيشين، واصطدام العسكرين، وكيف تدال مرة ويدال عليك مرة أخري أقبل ملك الكفرة بجنوده وعساكره، فوجد القلب في حصنه جالساً علي كرسي مملكته، أمره نافذ في أعوانه وجنده قد حفوا به يقاتلون عنه ويدافعون عن حوزته، فلم يمكنه الهجوم إلا بمخامرة بعض أمرائه وجنده عليه، فسأل عن أخص الجندية وأقربهم منه منزلة، فقيل له: هي النفس، فقال لأعوانه: ادخلوا عليها من مرادها، وانظروا مواقع محبتها وما هو محبوبها، فعِدوها ومنوها إياه، وانقشوا صورة المحبوب فيها في يقظتها وفي منامها، فإذا اطمأنت إليه وسكنت عنده فاطرحوا عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها، ثم جروها بها إليكم، فإذا خامرت علي القلب، وصارت معكم عليه ملكتم ثغور العين والأذن واللسان والفم واليد والرجل فرابطوا علي هذه الثغور كل المرابطة فمتي دخلتم منها إلي القلب فهو قتيل أو أسير وجريح مثخن بالجراحات، ولا تخلوا هذه الثغور ولا تمكنوا سرية تدخل فيها إلي القلب فتخرجكم منها، وإن غلبتم فاجتهدوا في إضعاف السرية ووهنها، حتى لا تصل إلي القلب، وإن وصلت إليه وصلت ضعيفة لا تغني عنه شيئاً.

* مدخل العين:

فإذا استوليتم علي هذه الثغور فامنعوا ثغر العين أن يكون نظره اعتباراً، بل اجعلوا نظره تفرجاً واستحساناً وتلهياً، فإن استرق نظره عبرة فأفسدوها عليه بنظره الغفلة والاستحسان والشهوة، فإنه أقرب إليه، وأعلق بنفسه وأخف عليه، ودونكم ثغر العين، فإن منه تنالون بغيتكم، فإني ما أفسدت بني آدم بشيءٍ مثل النظر، فإني أبذر به في



القلب بذر الشهوة، ثم أسقية بماء الأمنية ثم لا أزال أعده وأمنية حتى أقوي عزيمته، وأقوده بزمام الشهوة إلي الانخلاع من العصمة فلا تهملوا أمر هذا الثغر، وأفسدوه بحسب استطاعتكم وهوّنوا عليه أمره، وقولوا له: مقدار نظرة تدعوك إلي تسبيح الخالق، والتأمل لبديع صنيعة، وحُسن هذه الصور التي إنما خلقت ليستدل بها الناظر عليه، وما خلق الله لك العينين سُدي، وما خلق هذه الصور ليحجبها عن النظر.

*مدخل العقل:

وإن ظفرتم به قليل العلم فاسد العقل، فقولوا له: هذه الصور مظهر من مظاهر الحق ومجلي من مجاليه، فادعوه إلي القول بالاتحاد، فإن لم يقبل فالقول بالحلول العام أو الخاص، ولا تقنعوا منه بدون ذلك، فإنه يصير به من إخوان النصارى، فمروه حينئذٍ بالعفة والصيانة والعبادة والزهد في الدنيا، واصطادوا عليه وبه الجهال، فهذا أكبر خلفائي وأكبر جندي، بل أنا من جنده وأعوانه.

*مدخل الأذن:

ثم امنعوا ثغر الأذن أن يدخل منه ما يفسد عليكم الأمر، فاجتهدوا أن لا تدخلوا منه إلا الباطل فإنه خفيف علي النفس تستحليه وتستحسنه، تخيروا له أعذب الألفاظ وأسحرها للألباب، وامزجوه بما تهوي النفس مزجاً.

وألقوا الكلمة، فإن رأيتم منه إصغاءً إليها فزجوه بأخواتها، وكلما صادفتم منه استحسان شيء فالهجوا له بذكره، وإياكم أنه يدخل من هذا الثغر شئ من كلام الله أو كلام رسول صلي الله عليه وسلم أو كلام النصحاء، فإن غلبتم علي ذلك ودخل من ذلك شيء ٍ فحولوا بينه وبين فهمه وتدبره والتفكر والعظة به، إما بإدخال ضده عليه، وإما بتهويل ذلك وتعظيمه، وأن هذا أمر قد حيل بين النفوس وبينه فلا سبيل لها إليه، وهو حمل يثقل عليها

لا تستقل به ونحو ذلك، وإما بإرخاصه على النفوس وان الاشتغال ينبغي أن يكون بما هو أغلي عند الناس وأعز عليهم وأغرب عندهم وزبونه القابلون له أكثر وأما الحق فهو مهجور وقائله معرض نفسه للعداوة والرابح بين الناس أولي بالإيثار ونحو ذلك، فتدخلون الباطل عليه في كل قالب يقبله ويخف عليه، وتخرجون له الحق في كل قالب يكرهه ويثقل عليه. وإذا شئت أن تعرف ذلك فأنظر إلي إخوانهم من شياطين الإنس كيف يخرجون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب كثرة الفضول وتتبع عثرات، والتعرض من البلاء لما لا يطيق، وإلقاء الفتن، ونحو ذلك. ويخرجون إتباع السنة ووصف الرب تعالي بما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في قالب التجسيم والتشبيه والتكييف ويسمون علو الله علي خلقه واستوائه علي عرشه ومباينته لمخلوقاته تحيزاً، ويسمون نزوله إلي السماء الدنيا وقوله ((من يسألني فأعطية)) تحركاً وانتقالا ً، ويسمون ما وصف به نفسه من اليد والوجه أعضاء وجوارح، ويسمون ما يقوم به من أفعاله حوادث، وما يقوم به من صفاته أعراضاً ثم يتوصلون إلي نفي ما وصف به نفسه بنفي صلي الله عليه وسلم هذه الأمور، ويوهمون الأغمار وضعفاء البصائر أن إثبات الصفات التي نطق بها كتاب الله وسنة رسوله صلي



الله عليه وسلم تستلزم هذه الأمور، ويخرجون هذا التعطيل في قالب التنزيه والتعظيم وأكثر الناس ضعفاء العقول يقبلون الشيء بلفظه ويردونه بعينه بلفظ آخر، قال الله سبحانه وتعالي:

" وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يُوحي بعضهم إلي بعضٍ زخرف القول غرورا ً "

فسماه زخرفاً وهو باطل لأن صاحبه يزخرفه ويزينه ما استطاع ويلقيه إلي سمع المغرور فيغتر به. والمقصود أن الشيطان قد لزم ثغر الأذن أن يدخل فيها ما يضر العبد ولا ينفعه ويمنع أن يدخل إليها ما ينفع وإن دخل بغير اختياره أفسده عليه.

*مدخل اللسان:

ثم يقول: قوموا علي ثغر اللسان فإنه الثغر الأعظم وهو قبالة الملك فأجروا عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه وامنعوه أن يجري عليه شئ مما ينفعه من ذكر الله تعالي – واستغفاره، وتلاوة كتابه، ونصيحة عباده والتكلم بالعلم النافع ويكون لكم في هذا الثغر أمران عظيمان لا تبالون بأيهما ظفرتم.

أحدهما: التكلم بالباطل، فإن المتكلم بالباطل أخ من إخوانكم ومن أكبر جندكم وأعوانكم.

والثاني: السكوت عن الحق، فإن الساكت عن الحق أخ لكم أخرس، كما أن الأول أخ ناطق، وربما كان الأخ الثاني أنفع أخويكم لكم، أما سمعتم قول الناصح: " المتكلم بالباطل شيطانٌ ناطق، والساكت عن الحق شيطانٌ أخرس " فالرباط الرباط عن هذا الثغر أن يتكلم بحق أو يمسك عن باطل، وزينوا له التكلم بالباطل بكل طريق، وخوفوه من التكلم بالحق بكل طريق. وأعلموا يا بَنِيَّ أن ثغر اللسان هو الذي أهلك منه بني آدم، وأكبهم منه علي مناخرهم في النار، فكم لي من قتيل وأسير وجريح أخذته من هذا الثغر؟ وأوصيكم بوصيةٍ فاحفظوها: لينطق أحدكم علي لسان أخيه من الإنس بالكلمة، ويكون الآخر علي لسان السامع، فينطق باستحسانها، وتعظيمها والتعجب منها، ويطلب من أخيه إعادتها وكونوا أعواناً علي الإنس بكل طريق، وادخلوا عليهم من كل باب، واقعدوا لهم كل مرصدٍ، أما سمعتم قسمي الذي قسمت به لربهم، حيث قلت: " قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين " أو ما تروني قد قعدت لابن آدم بطرقه كلها، فلا يفوتني من طريق إلا قعدت له بطريقٍ غيره، حتى أصيب منه حاجتي أو بعضها؟ وقد حذرهم ذلك رسولهم وقال لهم: "إن الشيطان قد قعد لابن آدم بطرقه كلها وقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فخالفة وأسلم فقعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك فخالفه وهاجر، فقعد له بطريق الجهاد فقال له: أتجاهد، فتقتل، فيقسم المال، وتنكح الزوجة؟". " أخرجه السائي وصححه الألباني "

فهكذا فاقعدوا لهم بكل طرق الخير، فإذا أراد أحدهم أن يتصدق فاقعدوا له علي طريق الصدقة، وقولوا له في نفسه؛ أتخرج المال فتبقي مثل هذا السائل وتصير بمنزلته أنت وهو سواء؟ أو ما سمعتم ما ألقيت علي لسان رجل سأله آخر أن يتصدق عليه، فقال:



هي أموالنا إن أعطينا كموها صرنا مثلكم، واقعدوا له بطريق الحج فقولوا له: طريق مخوفه مشقة، يتعرض سالكها لتلف النفس والمال، وهكذا فاقعدوا علي سائر طرق الخير بالتنفير عنها وذكر صعوبتها وآفاتها، ثم اقعدوا لهم علي طرق المعاصي فحسنوها في أعين بني آدم وزينوها في قلوبهم واجعلوا أكثر أعوانكم علي ذلك النساء فمن أبوابهن فادخلوا عليهم فنعم العون هم لكم.

ثم ألزموا ثغر اليدين والرجلين. فامنعوا أن تبطش بما يضركم وتمشي فيه.

*مدخل النفس:

وأعلموا أن أكبر أعوانكم علي لزوم هذه الثغور مصالحة النفس الأمارة، فأعينوها واستعينوا بها وأمدوها واستمدوا منها وكونوا معها علي حرب النفس المطمئنة، فاجتهدوا في كسرها وإبطال قواها، ولا سبيل إلي ذلك إلا بقطع موادها عنها؛ فإذا انقطعت موادها وقويت مواد النفس الأمارة، وانطاعت لكم أعوانها فاستنزلوا القلب من حصنه، واعزلوه عن مملكته وولوا مكانة النفس الأمارة، فإنها لا تأمر إلا بما تهوونه وتحبونه، ولا تجيئكم بما تكرهون البتة. مع أنها لا تخالفكم في شئ تشيرون به عليها، بل إذا أشرتم عليها بشئ بادرت إلي فعله، فإن أحسستم من القلب منازعةً إلي مملكته، وأردتم الأمن من أحسن صورة عروس توجد، وقولوا له: ذُق طعم هذا الوصال. والتمتع بهذه العروس كما ذقت طعم الحرب، وباشرت مرارة الطعن والضرب، ثم وازن بين لذة هذه المسألة ومرارة تلك المحاربة، فدع الحرب تضع أوزارها، فليست بيوم وتنقضي، وإنما حرب متصل بالموت، وقواك تضعف عن حربٍ دائمٍ.

واستعينوا يا بني بجندين عظيمين لن تغلبوا: -

* أحدهما: جند الغفلة، فأغفلوا قلوب بني آدم عن الله تعالي والدار الآخرة بكل طريق، فليس لكم شئ أبلغ في تحصيل غرضكم من ذلك فإن القلب إذا غفل عن الله تعالي: تمكنتم منه ومن إغوائه.

* والثاني: جند الشهوات، فزينوها في قلوبهم، وحسنوها في أعينهم، وصولوا عليهم بهذين العسكرين، فليس لكم من بني آدم أبلغ منهما، واستعينوا علي الغفلة بالشهوات، وعلي الشهوات بالغفلة، وأقرنوا بين الغافلين، ثم استنعينوا بهما علي الذاكر، ولا يغلب واحد خمسة؛ فإن مع الغافلين شيطانين صاروا أربعة، وشيطان الذاكر معهم. وإذا رأيتم جماعة مجتمعين علي ما يضركم - من ذكر الله أو مذاكرة أمره ونهيه ودينه، ولم تقدروا عليهم أن تفرقوهم - فاستعينوا عليهم ببني جنسهم من الإنس البطالين، فقربوهم منهم، وشوشوا عليهم بهم.

وبالجملة فأعدوا للأمور أقرانها، وادخلوا علي كل واحد من بني آدم من باب إرادته وشهوته، فساعدوه عليها وكونوا أعواناً له علي تحصيلها، وإذا كان الله قد أمرهم أن يصبروا لكم، ويصابروكم، ويرابطوا عليكم الثغور، فاصبروا أنتم وصابروا ورابطوا عليهم بالثغور، وانتهزوا فرصتكم فيهم عند الشهوة والغضب، فلا تصطادوا بني آدم في أعظم من هذين الموطنين. وأعلموا أن منهم من يكون سلطان الشهوة عليه أغلب وسلطان غضبه ضعيف مقهور فخذوا عليه طريق الشهوة، ودعوا طريق الغضب،



ومنهم من يكون سلطان الغضب عليه أغلب. فلا تخلوا طريق الشهوة قلبه، ولا تعطلوا ثغرها، فإن لم يملك نفسه عند الغضب فإنه الحري أن لا يملك نفسه عند الشهوة فزوجوا بين غضبه وشهوته وامزجوا أحدهما بالآخر وادعوه إلي الشهوة من باب الغضب، وإلي الغضب من طريق الشهوة. وأعلموا أنه ليس لكم في بني آدم سلاح أبلغ من هذين السلاحين، وإنما أخرجت أبويهم من الجنة بالشهوة، وإنما ألقيت العداوة بين أولادهم بالغضب، فبه قطعت أرحامهم، وسفكت دمائهم، وبه قتل أحد ابني آدم أخاه وأعلموا أن الغضب جمرة في قلب ابن آدم والشهوة تثور من قلبه وإنما تطفأ النار بالماء والصلاة والذكر والتكبير فإياكم أن تمكنوا ابن آدم عند غضبه وشهوته من قربان الوضوء والصلاة فإن ذلك يطفئ عنهم نار الغضب والشهوة وقد أمرهم نبيهم بذلك قال: " إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم من احمرار عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحس بذلك فليتوضأ". وقال لهم: "إنما تطفئ النار بالماء". وقد أوصاهم الله أن يستعينوا عليكم بالصبر والصلاة فحولوا بينهم وبين ذلك وأنسوهم إياه واستعينوا عليهم بالشهوة والغضب وأبلغ أسلحتكم فيهم وأنكاها: الغفلة وإتباع الهوي. وأعظم أسلحتهم فيكم وأمنع حصونهم: ذكر الله، ومخالفة الهوي. فإذا رأيتم الرجل مخالفاً لهواه، فاربوه من ظلة ولا تدنوا منه.

والمقصود أن الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمد بها أعداءه، ويعينهم بها علي نفسه فيقاتلون بسلاحه ويكون معهم علي نفسه وهذا غاية الجهل.

ما يبلغ الأعداء من جاهل * *** وما يبلغ الجاهل من نفسه.

ومن العجب أن العبد يسعي بجهده في هوان نفسه وهو يزعم أنه لها مكرم ويجتهد في حرمانها أعلي حظوظها وأشرفها وهو يزعم أن يسعي في حظها ويبذل جهده في تحقيرها وتصغيرها وتدنيسها وهو يزعم أنه يعليها ويرفعها ويكبرها.

وكان بعض السلف يقول في خطبته: ألا رب مهين لنفسه وهو يزعم أنه لها مكرم ومذل لنفسه وهو يزعم أنه لها معز ومصغر لنفسه وهو يزعم أنه لها مكبر ومضيع لنفسه وهو يزعم أنه مراع لحفظها، وكفي بالمرء جهلاً أن يكون مع عدوه علي نفسه يبلغ بفعله ما لم يبلغ من عدوه. والله المستعان.

*غواية الشيطان:

لقد جعل ابن القيم للغواية مراتب ست فقال رحمة الله.

المرتبة الأولي: الكفر ومعاداة الله ورسوله فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه وهو أول ما يريد من العبد فلا يزال معه حتى يناله منه فإذا نال ذلك صيره من جنده وعسكره فصار من دعاة إبليس. وهذا مصداقاً لقول الرسول في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته".



المرتبة الثانية: البدعة وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي لأن ضررها في نفس الدين أضرار متعددة وهي مخالفة لدعوة الرسل وهي باب الكفر والشرك فإذا نال منه البدعة جعله من أهلها فإذا عجز عن هذه المرتبة لأن هذا العبد من أهل السنة نقله إلي.

المرتبة الثالثة: الكبائر: وهي علي اختلاف أنواعها وخاصة إذا كان قدوة عالماً متبوعاً لينفر الناس منه ثم تشيع ذنوبه ومعاصيه في الناس ويستنيب منهم من يشيعها ويذيعها تدنياً وتقرباً بزعمه إلي الله وهو نائب إبليس هذا إذا أحبوا إذاعتها فكيف إذا هم إذاعوها بأنفسهم لا نصيحة منهم ولكن طاعة لإبليس ونيابة عنه، فإن عجز انتقل إلي المرتبة التالية.

المرتبة الرابعة: الصغائر: هي التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها، روي الإمام أحمد بسند حسن عن سهل بن سعد أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن وادٍ فجاء ذا بعود وذا بعودٍ حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متي يؤخذ بها صاحبها تهلكه". " قال الحافظ سنده جيد " ، وروي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها وينسي المحقرات فيلقي الله وقد أحاطت به وإن الرجل ليعمل السيئة فيكون منها مشفقاً حتى يلقي الله آمناً". ، ثم يقول ابن القيم فإن أعجزه العبد في هذه المرتبة انتقل إلي المرتبة التالية.

المرتبة الخامسة: انشغاله بالمباحات: وهي التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها. قال: فإن أعجزه العبد في هذه المرتبة وكان حافظاً لوقته شحيحاً به يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب نقله إلي المرتبة التالية.

المرتبة السادسة: انشغاله بالعمل المفضول عن العمل الفاضل:

وهي أن يأمره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه ويحسنه له إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلي منه وقل من يتنبه من الناس لهذا فإنه إذا رأي فيه داعياً قوياً ومحركاً إلي نوع من الطاعة لا يشك أنه طاعة وقربه فإنه لا يكاد يقول: إن هذا الداعي من الشيطان فإن الشيطان لا يأمر بالخير ويري أن هذا خير فيقول هذا الداعي من الله وهو - مغرور ولم يصل علمه إلي أن الشيطان يأمر بسبعين بابا من أبواب الخير إما ليتوصل بها إلي باب واحد من الشر وإما ليمنع بها خيراً أعظم من تلك السبعين باباً وأفضل. فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست وأعيا عليه يسلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتفكير والتضليل والتحذير منه وتصدي إخماده وإطفائه ليشوش عليه قلبه ويشغل بحربه فكره وليمنع الناس من الانتفاع به فيبقي سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الإنسان والجن عليه لا يفتر ولا يني)وكأن ابن القيم يقصد بهذا عالمنا اليوم والأخوة والأخوات ممن بدوا الطريق الصحيح وهم عالمنا غرباء.

سبل الضلال عند الشيطان:



إذا كانت هناك مراتب ست لغواية الشيطان فما الطرق التي يتخذها ليصل إلي هذه الغواية والضلال وهنا يحضرني قول أحد علماء المادة الذي يقول: إن الخبرة هي التي تعمل بدلاً منا عندما نريد أن نستريح.

فهب أن شخصاً ما قد عمل في عملٍ محدد طيلة حياته وساعدته ظروف عمله علي أن يكون مبدعاً في هذا المجال أو العمل واستمر عمله طيلة حياته فكيف يكون حاله؟ وما درجة تفهمه لعمله؟ والإجابة ستكون بأنه لابد أن يكون هذا الشخص قد حفظ دوره في عمله علي أكمل وجه بل وأحدث له إضافات وهذا ما حدث تماماً مع عدوا الله إبليس واتخذ في عمله هذا عدة طرق ليصل إلي فريسته في إضلال من أراد أن يضل من الناس وذلك بعدة طرق.

أولاً: تزيين الباطل:

يعمد الشيطان إلي الباطل الذي له صورة قبيحة وسمة وقحه فيغطيه بغطاء جميل ويلبسه رداءً حسناً ثم يزين ويحسنه ثم يبدأ في إغواء العبد به وهو بنفسه الذي أخبر به حين قال لربه: " لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين" [الحجر: ٨٩] فالتزيين أولاً ثم الغواية، يقول ابن القيم يزين للعقل الفعل الذي يضره حتى يخيل لصاحبه أنه من أنفع الأشياء فهو الذي سلك بالناس الضلال كل مسلك وألقاهم في المهالك وزين لهم عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام ووءاد البنات ونكاح الأمهات ووعدهم بالفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم والكفر بصفات الرب تعالي وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلي الناس وحسن الخلق والعمل بقوله عليكم أنفسكم

ثانياً: تسميه المعاصي بأسماء غير أسمائها:

وهو ما يحدث الآن فهم يسمون الخلاعة باسم الفن والأغاني بالطرب والسينما بالفن السابع. وهذا ما حدث مع آدم عليه السلام عندما أغواه للأكل من الشجرة ثم قال له {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى }[طه١٢٠] والعري بالموضة والتخنث بالتحضر والشذوذ بالحرية الشخصية والربا بالفوائد والخمر بالمياه الروحية.

ثالثاً: تسميه الطاعات بأسماء منفرة:

إن الحق يكون له نور وبريق وتعلوه إشراقه فلو ظل كما هو دون تشويه أو تقبيح لتهافتت إليه النفوس وصفت إليه الأسماع وركنت إليه القلوب ولذا كان دور الشيطان الأول هو تقبيح صورة الحق وتشويهها وتسميتها بأسماء منفرة وقد وسوس لقوم عاد أن يقولوا لنبيهم هود (عليه السلام) " {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ }[الأعراف٦٦]

كما وسوس إلي كفار مدين أن يقولوا للناس: {وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ }[الأعراف٩٠] ووسوس إلي قوم فرعون بتسمية موسي وهارون ساحرين: {قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى }[طه٦٣]، كذلك وسوس لكفار قريش بتسمية



الرسول بالساحر والكاذب والشاعر والمسحور والمجنون قال تعالي {أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً }[الفرقان: ٨)

ومازال هذا المنهج من مناهج إبليس مستمر حتى هذه الأيام لأنه يجد من يؤمن به في كل مكان وزمان فهم الآن يُسمون المتمسكون بشعائر الدين وبسنة الرسول الكريم جامدين منغلقين رجعيين متطرفين إرهابيين يتمسكون بالشكليات دون لب الدين والحقيقة هي عكس قولهم تماماً.

رابعاً: دخوله إلي كل نفس بما يناسبها:

يقول ابن القيم في " إغاثة اللهفان ": وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه علي ابن آدم فإنه يجري منه مجري الدم حتى يصادف نفسه ويخالطه ويسألها عما تحبه وتؤثره فإذا عرفه استعان بها علي العبد ودخل عليه من هذا الباب وكذلك علم إخوانه وأولياؤه من الإنسان إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضاً أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه فإنه باب لا يخزل عن حاجته من دخل منه ومن رام الدخول من غيره فالباب عليه مسدود وهو عن طريق مقصده مسدود. أ. هـ

خامساً: التدرج في الإضلال:

لقد حذرنا الله من السير وراء خطوات الشيطان لأن الشيطان من عادته لا يبدأ بالمعصية مرة واحدة وإنما يجر الإنسان إليها خطوة خطوة إذا بدأ بالخطوة الأولي ألحقها بالثانية وهكذا لذلك قال تعالي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[النور: ١٢١] ولذلك جعل الإسلام قاعدة أساسيه من أساسياته هي (سد الذرائع) كما قال الرسول في الحديث: ". . وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس. . . ". الحديث

وجاء في " تلبيس ابليس " عن وهب أن عابداً كان في بني إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه وكان في زمانه ثلاثة أخوة لهم أخت وكانت بكراً فخرج البعث عليهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم فأجمعوا رأيهم علي أن يخلفوها عند العابد فأتوه فسالوه أن يخلفوها عنده فأبي وتعوذ بالله فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال أنزلوها في بيت في حذاء صومعتي فأنزلوها فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا ينزل إليها بالطعام فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام وظلت علي ذلك زمان فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم له خروج الجارية حتى تأخذ الطعام ففعل فلبث علي ذلك زماناً ثم جاءه فرغبه في الخير حتى أدخلته عليها بيتها ثم ضرب علي فخذها ولم يزل يغويه ويزين له الباطل ويتدرج معه في الغواية والضلال حتى زنا بها وحملت منه وولدت فأتاه فجعله يقتل الولد ثم جاءه متدرجا له في الضلال حتى أغراه بقتل الجارية وعاد الأخوة من الحرب وسألوا الراهب عن أختهم فقال لهم إنها ماتت ثم انصرفوا فلما جن عليهم الليل جاءهم الشيطان في المنام وقص عليهم ما حدث من الراهب وفي الصباح ذهبوا إلي المكان الذي دلهم عليه الشيطان في المنام ووجدوا ما رأوا في المنام حقا فشكوه للملك ثم قدم ليصلب



فجاءه الشيطان فقال له علمت أنني صاحبك فتتنك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فإن أطعتني اليوم وكفرت بالله خلصتك مما آتت فيه فكفر العابد فلما كفر خلي الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه ففيه نزل قوله تعالي: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }[الحشر١٦]

سادساً: الصد عن الحق:

قال تعالي ـ حكاية علي لسان الشيطان: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ }[الأعراف١٦]، أي لأصدتهم عن الحق وأزين لهم الباطل حتى يهلكوا فأخذ الشيطان يبذل الغالي والرخيص من أجل صد ابن آدم عن الحق، قال ابن القيم في " إغاثة اللهفان " : (السبل التي يسلكها أربعة لا غير؛ فإنه تارة يؤخذ من جهة يمينه وتارة من شماله وتارة من أمامه وتارة يرجع خلفه فأي سبيل سلكها من هذه وجد الشيطان عليها رصداً له فإن سلكها في طاعة وجده عليها يثبطه عنها ويقطعه أو يعوقه ويبطئه وإن سلكها لمعصيته وجده عليها. . . خادماً له ومعينا وممنياً ولو اتفق له الهبوط إلي أسفل لأتاه هناك.) أ. هـ

وقال شقيق: ما من صباح إلا قعد لي الشيطان علي أربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فيقول لي لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى }[طه: ٨٣) وإما من خلفي فيخوفني الضيعة علي من أخلفه فأقرأ" {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }[هود،الآية ٦)، وأما من قبل يميني يأتيني من قبل النساء فأقرأ: " والعاقبة للمتقين". (الأعراف، الآية ١٢٨)، ومن قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ }[سبأ، الآية رقم ٥٤)

روي الإمام أحمد والنسائي وصححه العراقي ان النبي يقول: إن الشيطان قعد لابن آدم بكل طريق فقعد له بطريق الإسلام فقال: "أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد وهو جهد أي تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد فمن فعل ذلك كان حقاً علي الله أن يدخله الجنة وإن وقصته دابته كان علي الله أن يدخله الجنة. أ. هـ

سابعاً: إظهار النصح للإنسان:

دائماً ما يأتي الشيطان للإنسان في صورة الناصح المشفق الذي يبغي له الخير ويسدي إليه النصيحة وبهذه الطريقة أخرج آدم وحواء من الجنة قال تعالي: {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ }[الأعراف: ٢١)

لذلك كان أحد الصالحين يقول: "إذا جاء الشيطان في الصلاة فقال: إنك ترائي فزدها طولا ً حتى تنجو بمخالفة الشيطان.

أخيراً: الاستعانة بشياطين الإنس:



يفعل الشيطان هذا مع من عرف طريق الحق وذلك بعد أن يستنفذ جميع حيله وكل سبله في الغواية والضلال فتفشل فلا ييأس وإنما يبحث عن خطط بديلة وأهم هذه الخطط هم أعوانه من الإنس. قال تعالي: {وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ }[الأنعام١٢١]

الأبواب التي يدخل منها الشيطان إلي الإنسان

الباب الأول: الجهل

وهو الباب والمدخل الذي تبدأ منه كل مداخل الشيطان وعليه يعتمد وبه يتقوي لأن الجاهل لا يعرف مداخل الشيطان فيسدها ولا مكائده فيبطلها ولا شباكه فيتجنبها كما أن الجاهل لا يعرف الخير من الشر ولا السنة من البدعة فربما أوقعه في الشر وهو يحسب أنه خير وربما أوقعه في البدعة وهو يظنها سنه وبهذا يكون من الخاسرين {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً }[الكهف١٠٤]

لأن الجهل يطمس القلب ويعمي البصيرة ومن هنا يكون الجاهل للشيطان غرضاً فيوجه إليه سهام الشبهات وسموم الشهوات فيرديه فيتمثل الهوي أسير الشهوة فإذا وصل إلي تلك الغاية اتخذه الشيطان جنداً ينشر به الفساد في الأرض.

وصدق من قال:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهلـه *** فأجسامهم مثل القبور قبور

وإن امرؤ لـــم يحيي بالعلم ميت *** فليس له حتى النشور نشور

ولذلك قال علي بن أبي طالب: اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامس فتهلك.

ومن العجب أن الشيطان يخيل لبعض الجهال أنه عالم وهذا منتهي الإغواء والضلال.

الباب الثاني: الغضب:

وهو أكبر باب يتغلب به الشيطان علي الإنسان فالغضب من مداخل الشيطان الكبرى.

ذكر ابن الجوزي في " تلبيس ابليس " قال وهب بن مُنبه: يقول راهب للشيطان وقد بدا له أي أخلاق ابن آدم أعون لك عليهم، قال: الحدة (أي الغضب) إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة.

فللغضب آثاراً ظاهرة تتمثل في تغيير اللون وشدة ارتعاد الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد علي الأشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلق ولو رأي الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته وقبحه خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهرة فإن الظاهر عنوان الباطن هذا أثره في الجسد. وللغضب آثار عظيمة علي الإنسان ربما تسبب ذلك في إخراجه من الملة وكلما فتر الغضب آثاره الشيطان بمثل قوله هو مستهزئ بك لابد أن تنقم وغير ذلك مما يثير الغضب ومن هنا وجب علي المسلم العاقل أن يغلب شيطانه ويكظم غيظه ويلتمس العذر لغيره.



ولذلك عندما جاء الرجل إلي الرسول صلي الله عليه وسلم يريد الوصية لم يوصه النبي صلي الله عليه وسلم سوي بسد منافذ الشيطان فكانت إجابة الرسول"لا تغضب". " رواه البخاري "

وفي (أدب الدنيا والدين) قال علي بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فقال: أردت أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً انصرف – رحمك الله. وللتغلب علي الغضب ومحاربة الشيطان الذي يثير الغضب في القلب والنفس. علي الإنسان أن يتذكر أن الغضب من الشيطان وأن لجام الشيطان بالاستعاذة بالله منه.

روي البخاري عن سليمان بن صرد قال: استب رجلان عند النبي فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه فنظر النبي إليه ثم قال: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقام إلي الرجل من سمع النبي فقال: هل تدري ما قال رسول الله آنفا قال: لا، قال: قال إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" فقال الرجل: أمجنون تراني؟

الباب الثالث: حب الدنيا:

لقد زينها الشيطان وزخرفها في قلوب كثير من الناس فركنوا إليها واطمأنوا بها وعضوا عليها بنواجذهم ونشبوا فيها أظفارهم ففيها يعادون وعليها يتنافسون ومن أجلها يتباغضون ويتحاسدون ونفذ فيهم إبليس خطته حيث قال {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }[الحجر ٣٩]

وقد اتبع معظم الناس قائدهم الضال المضل قال تعالي {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ }[سبأ: ٢٠]

الباب الرابع: طول الأمل:

ما أخطر طول الأمل إذا كان هذا الأمل مقطوعاً إلي أمور الدنيا بعيداً عن أمور الآخرة وما أجمله إذا جمع من دنياه لأخراه لأن عشت إلي أعوام كثيرة وحصلت علي أموال عديدة لأساعدن الفقراء وأتصدق وأحج وأصوم وأقوم وأكن من الصالحين، أما إذا انقطع هذا الأمل علي الدنيا فقط فإنه يورث سوء العمل بل ويفتح للشيطان باباً إلي الهلاك والضياع ولا يزل الشيطان يقود الإنسان ويمنيه حتى يخرجه من الدنيا ولا حسنة له،

لذلك يقول النبي: "لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنين حب الدنيا وطول الأمل". " رواه البخاري "

قال رجل: لن أستريح حتى أجمع المليون وماذا بعد المليون؟

الباب الخامس: الحرص: والحرص مفسدة للدين أي مفسدة فعن كعب بن مالك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء علي المال". " رواه الترمذي وقال حديث حسن " و عن كعب بن عياض قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: "إن لكل أمة فتنه، وإن فتنة أمتي المال".



فإذا لم يجد الشيطان أمامه إلا باب الحرص لقنع به لأن الإنسان مجبول علي حب المال لأنه يظن أن الموت أبعد شئ منه فالحرص قد أهلك الكثير ولا يزال يفتح الباب للشيطان حتى ينقض علي معظم الخلق أجمعين.

الباب السادس: البخل:

سوف أستفتح هذا العنصر بقول أحكم الحاكمين وهو أعلم بالمخلوقين من أنفسهم حيث قال محذراً عبده الدنيا فقال: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[البقرة٢٦٨] فالشيطان يخوف الإنسان من الفقر حتى يمنعه من الإنفاق علي نفسه وفي سبيل الله ويوسوس إليه أنه إذا أنفق افتقر واحتاج فالمتطلبات كثيرة وأمور الحياة في غلاء فأحسن وهكذا حتى يصده عن الإنفاق مع إن هذا الإنفاق هو الباقي عند الله، روي البخاري والنسائي عن ابن مسعود أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "أيكم مال وارثة أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر".

الباب السابع: الكبر:

بالكبر استذل الإنسان الشيطان وهجم عليه والكبر من الأشياء التي منعت إبليس أن يسجد لرب الأنام، وبالكبر لعن الشيطان وأصبح شيطاناً رجيماً، قال النعمان بن بشير علي المنبر: " إن للشيطان مصالي وفخوخاً وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر بإعطاء الله والكبر علي عباد الله، وإتباع الهوي في غير ذات الله، لما علم عدوا الله أن الكبرياء رداء الله وأن من نازع الله فيه أكبه الله في النار ولا يبالي، احتال علي الناس من هذا الباب.

قال أبو بكر الهذلي: بينما نحن مع الحسن إذا مر علينا إبراهيم بن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضب بعضها فوق بعض علي ساق وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظره فقال أف أف شامخ بأنفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطيفه إلي خميص أنت تنظر في عطيفك في نعم مشكورة ولا مذكورة غير مأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها وفي كل عضو من أعضائك لله نعمة وللشيطان به لفته فسمع بن الأهتم فرجع يعتذر إليه فقال: لا تعذر إلي وتب إلي ربك أما سمعت قول الله تعالي: {وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً }[الإسراء: ٣٧)

الباب الثامن: حب المدح:

في الحقيقة لا أكاد أكون قابلت إنساناً في حياتي إلا وجدته يفرح ويزهو عندما يمدحه أحد حتى ولو كان الأمر الممدوح به ليس فيه إلا من رحم ربي وقليل جداً ما هم وأخطر ما في المدح والمادحين أنه يعمي صاحبه عن عيوبه فلا يجتهد في التفتيش عنها لذلك يقول زياد بن أبي مسلم: ما من أحد يسمع ثناء عليه أو مدحه إلا تراءي له الشيطان. إن حب المدح هو الباب الذي يستقبل الإنسان منه الشيطان بالورود والأزهار والترحاب لذلك يقول بعض السلف: (من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في باطنه).



الباب التاسع: الرياء: إن الشيطان كما حبب للناس حب المدح حبب لهم الرياء واستعجال ثمرة العطاء وأصبح يعمل ويترك من أجل الناس ومثل هذا كالذي يعمل ويضع نقوده في جيب غيره.

كذلك قال كثير من أهل السلف: إذا ألهاهم الشيطان عن طاعة فعلوها مضاعفة غيظاً للشيطان.

الباب العاشر: الجزع والهلع:

وهو من الأبواب العظيمة التي تجعل الشيطان يسيطر بها علي الإنسان ويقوده إلي بحار التيه والأوهام وينظر إلي غيره وينفر من قضاء الله وما أعظمها مصيبة إذ الإنسان بسببها يترك الطاعة ويقبل علي العصيان اعتراضاً منه علي قضاء الرحمن.

الباب الحادي عشر: إتباع الهوى:

جاء في " أدب الدنيا والدين للماوردي " قال أبو حسن الماوردي: وأما الهوى فهو عن الخير صاد وللعقل مضاد لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها ويظهر من الأفعال فضائحها فيجعل شر المروء مهتوكاً ومدخل الشر مسلوكاً،

روي الإمام أحمد والبزار وصححه الألباني أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "إن ما أخش عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى". ، وقد روي أن إبليس قال: أهلكتم بالذنوب فأهلكوني بالاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون.

الباب الثاني عشر: سوء الظن:

إنه من الشراك التي يستطيع الشيطان أن ينصبها ليفرق بها بين الناس فلا يزال يوغر قلوب الناس بعضهم علي بعض حتى يوقع العداوة والخلاف والقطيعة والتدابر ليتمكن من إنفاذ خططه في كل واحد علي حدة، لذلك يقول الرسول صلي الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني:

" من أراد بحبوحة الجنة فليلتزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد.

ونهانا عن سوء الظن أيضاً فقال في الحديث الذي رواه البخاري: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث". ،

وقال الله تعالي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ }[الحجرات١٢]

الباب الثالث عشر: الأمن من مكر الله:

لأنه يورث الغفلة والغفلة تورث التهاون وهو سلم الشيطان وسبب من أسباب الخسران فمن تهاون في أمر من أمور الله جره الشيطان إلي ما هو أكبر منه حتى يوقعه في شباك المعاصي.

الباب الرابع عشر: العجلة وترك التثبت من الأمور:



روي الترمذي وحسنه الألباني في الصحيحة: أن النبي قال: "العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالي". " الترمذي "

وأراني قد أطلت في الحديث عن الأبواب التي يتسلل منها الشيطان إلي الإنسان وبالتحديد إلي قلبه لما لها من الأهمية وأنها من الخطورة بمكان فكان لزاماً علي أن أبينها حتى نكون جميعاً منها علي حذر و نستطيع أن نسدها علي الشيطان.

النجاة من الشيطان:

أولاً: لا يوجد علاج لأي داء مهما صغر أو كبر إلا بعد التشخيص الصحيح للمرض ثم يوصف العلاج الذي يناسب هذا المرض فليس من المعقول أن يعالج البرد بعلاج الكبد وهكذا، فعلي الإنسان إذا أتاه الملعون من أي باب من الأبواب التي ذكرت أن يبدأ بغلق هذا الباب في التو والحال ومن أفضل الأشياء التي تهزمه وتدحره.

أولاً: الاستعاذة لكل إنسان للأطفال والكبار:

علي كل حال وفي أي مكان مهما كان حتى عند دخول الحمام، عن ابن عباس قال: " كان رسول الله يعوذ الحسن والحسين فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه ثم يقول: هكذا كان أبي إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق. " أخرجاه في الصحيحين " والهامة: هي كل نسمة تهم بسوء واللامة أي الملمة وإنما قال لامه ليوافق لفظ الهامة فيكون ذلك أخف علي اللسان.

ثانياً: الاستعانة بالله: " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك منهم من الغاوين "

قال مطرف: نظرت فإذا ابن آدم ملقي بين يدي الله عز وجل وبين إبليس فمن شاء أن يعصمه الله وإن تركه ذهب به إبليس، وحكي ابن الجوزي أيضاً في (٢) أن بعض السلف قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: هذا يطول أريت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي، قال: هذا يطول عليك ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك، وقال أيضا ابن الجوزي: مثل إبليس مع المتقي والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام فمر به كلب فقال له: اخسأ فذهب؟ فمر بأخر بين يديه طعام ولحم فكلما أحساه لم يبرح فالأول مثل المتقي يمر به الشيطان فيكفيه في طرده الذكر والثاني مثل المخلط لا يفارق الشيطان لمكان تخليطه.

ثالثاً وأخيراً: كثرة الذكر: لأن اللسان الذاكر يجعل القلب عامراً بنور الله ولا يجتمع نور الله وظلمه الشيطان. والذكر يتمثل في أذكار الصباح والمساء والتحصينات وأذكار النوم والاستيقاظ أي ذكر الله علي كل حال من الأحوال ولابد لأي عمل حتى يقبل ويتغلب به الإنسان علي الشيطان أن يكون مغلفاً بإطار الإخلاص وعلي سنة رسول الله ثم بعد ذلك يأتي التوفيق من الله.

---

[٢] تلبيس إبليس، ص ٣٧)



واقتصر بهذا في حديثي عن الشيطان لأنه ليس موضوع حديثنا ولكنه الطريق المؤدي إليه فكان لزاماً عليَ أن نمر في هذا الطريق وأودع هذا الطريق لانتقل إلي طريق من الطرق الموصلة إلي الذنوب.

وقبلها أسال سؤال أيهما أشد خطراً علي الإنسان شياطين الإنس أم الجن؟

وقبل أن أنهي حديثي عن الفتان أقصد الشيطان يحضرني هنا سؤال وهو أيهما أشد علي الإنسان شيطان الإنس أم شيطان الجن؟ إن الذي يفر من هذا إلي ذاك كالذي يطهر الثوب بالبول النجس فلا ثوباً طهر وما استفاد إلا التعب والمشقة. إن الذي يهرب من هذا إلي ذاك كالمستجير من الرمضاء بالنار. شياطين الجن ربما ينتهوا بالاستعاذة عن غوايتك وتستطيع أن تنتصر عليهم بإذن الله بقليل من الإيمان أما شياطين الإنس فإنهم يأتوا إلي الإنسان ويلحون عليه ويصرون علي أخذه إلي المعصية ويزينوها له زينة المجرب. جاء في " تفسير القرطبي " : أن مالك بن دينار قال: (إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن وذلك لأني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الإنس يجيئني فيجرني)، وعندما أتحدث عن الإنسان هنا فإنني أقصد الإنسان العاصي المنافق إذ - حاشا لله - أن يقارن المؤمن بالشيطان.

المبحث الثاني: أحـــــوال النفــس

بعد أن انتهيت من حديثي عن الشيطان وأثره في غواية الإنسان وتزينه المعاصي انتقل إلي الحديث عن الضلع الثاني من محور الشر ألا وهو النفس لأن القائل يقول: إذا كان الله قد قيد الشياطين في رمضان فما بال الناس يعصون الله فهل الشيطان يستطيع وحده أن يحصل من الإنسان علي كل هذه التسهيلات والتنزلات؟ في الحقيقة الشيطان أضعف من هذا ولكنه تقوي بمساعدة النفس البشرية التي قد تفعل بالإنسان أكثر ما يفعله الشيطان.

توق نفسك لا تأمن غوائلها * * * فالنفس أخبث من سبعين شيطان

والآن سوف انتقل إلي الحديث عن النفس وما توقع فيه الإنسان من المعاصي فكيف يستطيع أن يتغلب عليها وذلك بالمحاسبة.

أحوال النفس ومحاسبتها:

اتفق السالكون إلي ربهم عز وجل علي اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم علي أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلي الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها وتركها بمخالفتها والظفر بها فإن الناس علي قسمين:

قسم ظفرت به نفسه: فملكته وأهلكته وصار طوعاً لها تحت أوامرها.

قسم ظفروا بنفوسهم: فقهروها فصارت طوعا لهم منقادة لأوامرهم.



قال بعض العارفين: انتهي سفر الطالبين إلي الظفر بأنفسهم فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك قال الله تعالي: " فأما من طغي وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوي وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوي " [النازعات، الآيات رقم ٣٧ – ٤١)

والنفس تدعو إلي الطغيان وإيثار الحياة الدنيا والرب يدعو عبده إلي خوفه ونهي النفس عن الهوى والقلب بين الداعيين يميل إلي هذا الداعي مرة وإلي هذا الداعي مرة وهذا موضع المحنة والابتلاء وقد وصف الله سبحانه النفس في القرآن بثلاث صفات: (المطمئنة، اللوامة، الأمارة بالسوء) فاختلف الناس: هل النفس واحدة وهذه أوصاف لها أم للعبد ثلاث أنفس؟

فالأول قول الفقهاء والمفسرين، والثاني قول كثير من أهل التصوف والتحقيق أنه لا نزاع بين الفريقين فإنها واحدة باعتبار ذاتها وثلاث باعتبار صفاتها.

أولاً: النفس المطمئنة: إذا سكنت النفس إلي الله عز وجل واطمأنت بذكره وأنابت إليه واشتاقت إلي لقائه وأنست بقربه فهي مطمئنة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: المطمئنة المصدقة.

وقال قتادة رحمه الله: هو المؤمن اطمأنت نفسه إلي ما وعد الله.

وصاحب هذا النفس يطمئن في باب معرفة أسماء الله عز وجل وصفاته إلي خبره الذي أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله صلي الله عليه وسلم ثم يطمئن إلي خبره عما بعد الموت من أمور البرزخ وما بعده من أحوال القيامة حتى كأنه يشاهد ذلك كله عياناً ثم يطمئن إلي قدر الله عز وجل فيسلم له ويرضي فلا يسخط ولا يشكو ولا يضطرب إيمانه فلا ييأس علي ما فاته ولا يفرح بما آتاه لأن المصيبة فيه مقدرة قبل أن تصل إليه وقبل أن يخلق، قال تعالي:

"ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه"[التغابن، الآية رقم ١١)

قال غير واحد من السلف: هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضي ويسلم.

وأما طمأنينة الإحسان فهي الطمأنينة إلي أمره امتثالاً وإخلاصاً ونصحاً فلا يقدم علي أمره إرادة ولا هوي ولا تقليداً ولا يساكن شبهة تعارض خبره ولا شهوة تعارض أمره بل إذا مرت به أنزله منزلة الوساوس التي لأن يخر من السماء إلي الأرض أحب إليه من أن يجدها فهذا كما قال النبي صلي الله عليه وسلم: " صريح الإيمان، (٣) وكذلك يطمئن من قلق المعصية وانزعاجها إلي سكون التوبة وحلاوتها. فإذا اطمأن من الشك إلي اليقين ومن الجهل إلي العلم ومن الغفلة إلي الذكر ومن الخيانة إلي التوبة ومن الرياء إلي الإخلاص ومن الكذب إلي الصدق ومن العجز إلي الكيس ومن صوله العجب إلي ذلة الإخبات ومن التيه إلي التواضع فعند ذلك تكون نفسه مطمئنه.

[٣] رواه مسلم (١٥٣/٢) بشرح النووي



وأصل ذلك كله هي اليقظة التي كشفت عن قلبه سنه الغفلة وأضاءت له قصور الجنة فصاح قائلاً: ألا يا نفس ويحك ساعديني * * * بسعي منك في ظلم الليالي

لعلك في القيامة أن تفوزي * * *بطيب العيش في تلك العلالي

فرأي في ضوء هذه اليقظة ما خلق له وما سيلقاه بين يديه من حين الموت إلي دخوله دار القرار ورأي سرعة انقضاء الدنيا وقلة وفائها لبنيها وقتلها لعشاقها وفعلها بهم أنواع المثلات فنهض في ذلك الضوء علي ساق عزمه قائلاً: " يا حسرتي علي ما فرطت في جنب الله " (سورة الزمر، الآية رقم ٥٦)

روي عن أبي هريرة قال: جاء ناس من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم فسألوه إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان. " صحيح مسلم "

روي عن عبد الله بن مسعود قال: سئل النبي صلي الله عليه وسلم عن الوسوسة قال: تلك محض الإيمان. روري مسلم كذلك، قال النووي: استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً وانتفت عنه الريبة والشك. " شرح النووي على صحيح مسلم "

فاستقبل بقية عمره مستدركاً ما فات معيبا ما أمات مستقبلاً ما تقدم له من العثرات منتهزاً فرصة الإمكان التي إن فاتت فأته جميع الخيرات ثم يلحظ في نور تلك اليقظة نعمة ربه عليه ويري أنه آيس من حصرها وإحصائها عاجزاً عن أداء حقها ويري في تلك اليقظة عيوب نفسه وآفات عمله وما تقدم له من الجنايات والإساءات والتقاعد عن كثير من الحقوق والواجبات فتذكر نفسه وتخشع جوارحه ويسير إلي الله ناكس الرأس بين مشاهدة نعمة ومطالعة جناياته وعيوب نفسه ويري أيضا في ضوء تلك اليقظة عزة وقته وخطره وأنه رأس مال سعادته فيبخل به فيما لا يقربه إلي ربه فإن في إضاعته الخسران والحسرة وفي حفظه الربح والسعادة فهذه آثار اليقظة وموجباتها وهي أول منازل النفس المطمئنة التي ينشأ منها سفرها إلي الله والدار الآخرة.

ثانياً: النفس اللوامة: قالت طائفة: هي التي لا تثبت علي حال واحدة فهي كثيرة التقلب والتلون فتذكر وتغفل وتعرض وتحب وتبغض وتفرح وتحزن وترضي وتغضب وتطيع وتتقي

وقالت أخري: هي نفس المؤمن، قال الحسن البصري: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائماً يقول: ما أردت بهذا؟ لما فعلت هذا؟ كان هذا أولي من هذا أو نحو هذا الكلام.

وقالت أخري: اللوم يوم القيامة فإن كل أحد يلوم نفسه إن كان مسيئاً علي إساءته وإن كان محسناً علي تقصيره، يقول الإمام ابن القيم: وهذا كله حق.

واللوامة نوعان: لوامة ملومة، ولوامة غير ملومة.

(أ) اللوامة الملومة: هي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله عز وجل وملائكته.



(ب) اللوامة الغير الملومة: وهي التي لا تزال تلوم صاحبها علي تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده فهذه غير ملومة وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله واحتملت ملام اللوام في مرضاته فلا تأخذها في الله لومه لائم فهذه قد تخلصت من لوم الله وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في الله ملام اللوام فهي التي يلومها الله عز وجل.

ثالثاً: النفس الأمارة بالسوء:

وهذه هي النفس المذمومة فإنها تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها فما تخلص أحد من شرها إلا بتوفيق الله كما قال تعالي حاكياً عن امرأة العزيز: " وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم"[يوسف، الآية رقم ٥٣)، وقال عز وجل: " ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد "[النور، الآية رقم ٢١)، وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يعلمهم خطبة الحاجة: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا". " رواه مسلم "

فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال فإذا خلي الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال وإن وفقه الله وأعانه نجا من ذلك كله فنسأل الله العظيم أن يعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

وخلاصة القول: أن النفس واحدة تكون أمارة ثم لوامة ثم مطمئنة وهي غاية كما لها وصلاحها والنفس المطمئنة قرينها الملك يلهمها ويسددها ويقذف فيها الحق ويرغبها فيه ويريها حسن صورته. وبالجملة فما كان لله وبالله فهو من عند النفس المطمئنة وأما النفس الأمارة بالسوء فيجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يلهمها فهو يعدها ويمنيها ويقذف فيها الباطل ويأمرها بالسوء ويزينه لها ويطيل في الأمل ويريها الباطل في صورة تقبلها وتستحسنها فالنفس المطمئنة والملك من الإيمان يقتضيان من النفس المطمئنة التوحيد والإحسان والبر والتقوى والتوكل والتوبة وإلا نابه والإقبال علي الله وقصر الأمل والاستعداد للموت وما بعده والشيطان وجنده من الكفر يقتضيان من النفس الأمارة ضد ذلك. وأصعب شئ علي النفس المطمئنة تخليص الأعمال من الشيطان ومن الأمارة فلو وصل منها عمل واحد لنجا به العبد ولكن أبت الأمارة والشيطان أن يدعا عملاً واحداً يصل إلي الله كما قال بعض العارفين: لو أعلم أن لي عملاً واحداً وصل إلي الله لكنت أفرح بالموت من الغائب يقدم علي أهله.

ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لو أعلم أن الله قبل مني سجده واحدة لم يكن غائب أحب إلي من الموت. ، وقد انتصبت الأمارة في مقابلة المطمئنة فكلما جاءت به تلك من خير ضاهتها هذه وجاءت من الشر بما يقابله حتى تفسد عليها فتريه حقيقة الزكاة والصدقة في صورة مفارقة المال ونقصه وخلو اليد منه واحتياجه إلي الناس ومساواته للفقير.



وقد رأينا النفس الأمارة قد اتحدت مع الشيطان علي الإنسان فيكف نقيد هذه النفس ونجعل النصرة للنفس المطمئنة التي تبعد الإنسان عن المعاصي التي توروده المهالك وذلك يكون بالمحاسبة.

محاسبة النفس:

وعلاج استيلاء النفس الأمارة علي قلب المؤمن محاسبتها ومخالفتها أخرج الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر يؤمئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية".

وقال الحسن: المؤمن قوام علي نفسه يحاسب نفسه لله وإنما خف الحساب يوم القيامة علي قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة إن المؤمن يفاجئه الشئ ويعجبه فيقول والله إني لأشهيك وإنك لمن حاجتي ولكن الله ما من حيله إليك هيهات حيل بيني وبينك ويفرط منه الشئ فيرجع إلي نفسه فيقول ما أردت إلي هذا مالي ولهذا والله لا أعود إلي هذا أبدا إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بين هلكتهم إن المؤمن أسير في الدنيا يسعي في فكاك رقبته لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله يعلم أن الله مأخوذ عليه في سمعه وبصره وفي لسانه وفي جوارحه مأخوذ عليه في ذلك كله. وقال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله عز وجل فكان لها قائداً.

فحق علي الحازم المؤمن بالله واليوم الأخر ألا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها، قال الله تعالي: " يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ". [آل عمران، الآية رقم ٣٠)

ومحاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده.

أ) أما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همه وإرادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه علي تركه، قال الحسن رحمه الله: رحم الله عبداً وقف عند همه فإذا كان لله أمضاه وإن كان لغيره تأخر. وشرح بعضهم هذا فقال: إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهم به العبد وقف أولاً ونظر هل ذلك العمل مقدور عليه أو غير مقدور عليه ولا مستطاع فإن لم يكن مقدوراً عليه لم يقدم عليه وإن كان مقدوراً عليه وقف وقفه أخري ونظر هل فعله خير من تركه؟ أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان تركه ولم يقدم عليه وإن كان الأول وقف وقفه ثالثه هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل وثوابه أو إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق؟

فإن كان الثاني لم يقدم وإن أفضي به مطلوبة لئلا تعتاد النفس الشرك ويخفف عليها العمل لغير الله فبقدر ما يخفف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالي حتى يصير أثقل شئ عليها وإن كان الأول وقف وقفه أخري ونظر هل هو معان عليه وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجاً إلي ذلك أم لا؟ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه كما أمسك النبي صلي الله عليه وسلم عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة وأنصاراً



وإن وجده معانا عليه فليقدم عليه فإنه منصور بإذن الله ولا يفوت النجاح إلا من فوت خصلة من هذه الخصال وإلا فمع اجتماعها لا يفوت النجاح فهذه أربعة مقامات يحتاج العبد إلي محاسبة نفسه عليها قبل العمل.

(ب) أما النوع الثاني: فمحاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع

أحدهما: محاسبتها علي طاعة قصرت فيها من حق الله تعالي فلم توقعها علي الوجه الذي ينبغي وحق الله في الطاعة ستة أمور: الإخلاص في العمل النصيحة لله فيه ومتابعة الرسول صلي الله عليه وسلم وشهود مشهد ألاحسان وشهود منه الله وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله. فيحاسب نفسه هل وفي هذه المقامات حقها وهل أتي بها في هذه الطاعة؟

الثاني: أن يحاسب نفسه علي كل عمل كان تركه خيراً له من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه علي أمر مباح لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً أو أراد به الدنيا عاجلها فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به.

وآخر ما عليه الإهمال وترك المحاسبة والاسترسال وتسهيل الأمور وتمشيتها فإن هذا يؤول به إلي الهلاك وهذه حال أهل الغرور يغمض عينيه عن العواقب ويتكل علي العفو فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة وإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعه الذنوب وأنس بها وعسر عليه فطامها ولو حضره رشده لعلم أن الحمية أسهل من الفطام وترك المألوف والمعتاد.

وجماع ذلك: أن يحاسب نفسه أولاً علي الفرائض فإن تذكر نقصا تداركه إما بقضاء أو إصلاح ثم يحاسبها علي المناهي فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات المادية ثم يحاسب نفسه علي الغفلة فإن كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر والإقبال علي الله تعالي ثم يحاسبها بما تكلم به أو مشته رجلاه أو بطشت يداه أو سمعته أذناه ماذا أرادت بهذا؟ لم فعلته وعلي أي وجه فعلته، قال الله تعالي: " فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون " [الحجر، الآية رقم ٩٢)

وقال تعالي: فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين. [الأعراف، الآيات رقم)، وقال تعالي: " ليسأل الصادقين عن صدقهم "(الأحزاب، رقم ٦ – ٧)

فإذا سئل الصادقون وحوسبوا علي صدقهم فما الظن بالكاذبين، وقال تعالي: " ثم لتسألن يومئذ عن النعيم " [التكاثر، الآية رقم ٨)

قال محمد بن جرير رحمه الله: يقول تعالي ثم ليسألنكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا، ماذا عملتم فيه؟ ومن أين وصلتم إليه؟ وفيم أصبتموه؟ وماذا عملتم به.

وقال قتاده: إن الله سائل كل عبد عما استودعه من نعمة وحقه.

والنعيم المسئول عنه نوعان: نوع أخذ من حله وصرف في حقه فيسأل عن شكره ونوع أخذ بغير حله وصرف في غير حقه فيسأل عن مستخرجه ومصرفه. فإذا كان العبد مسئولا ً ومحاسباً علي كل شئ حتى علي سمعه وبصره وقلبه كما قال تعالي: " إن



السمع والبصر والفوائد كل أولئك كان عنه مسئولا "[الإسراء، الآية رقم ٣٦)، فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب.

وقد دل علي وجوب محاسبة النفس قوله تعالي: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد " [الحشر، الآية رقم ١٨)

يقول تعالي: لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال أمن الصالحات التي تنجيه أم من السيئات التي تغنيه.

قال قتاده: ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد.

والمقصود أن صلاح القلب بمحاسبة النفس وفسادها بإهمالها والاسترسال معها.

فوائد محاسبة النفس:

من فوائد محاسبة النفس الإطلاع علي عيوبها ومن لم يطلع علي عيب نفسه لم يمكنه إزالته فإذا أطلع علي عيبها مقتها في ذات الله تعالي، روي الإمام أحمد عن أبي الدرداء قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله ثم يرجع إلي نفسه فيكون لها أشد مقتا.

قال محمد بن واسع: لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس إلي.

قال أبو حفص: من لم يتهم نفسه علي دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلي مكروها في سائر أوقاته كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها.

وعن عقبه بن صهبان الهنائي قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل: " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله"[فاطر، الآية رقم ٣٢) فقالت: يا بني هؤلاء في الجنة أما السابق فمن مضي علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلي الله عليه وسلم بالجنة والرزق وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك فجعلت نفسها معنا.

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: أن رجلاً من بني إسرائيل تعبد ستين سنة في طلب حاجة فلم يظفر بها فقال في نفسه والله لو كان فيك خير لظفرت بحاجتك فأتي في منامه فقيل له أرأيت ازدراءك نفسك تلك الساعة فإن خير من عبادتك تلك السنين. فالنفس داعية إلي المهالك معينة للأعداء طامحة إلي كل قبيح متبعة لكل سوء فهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة.

فالنعمة التي لا خطر لها الخروج منها والتخلص من رقها فإنها أعظم حجاب بين العبد وبين الله تعالي وأعرف الناس بها أشدهم إزدراء عليها ومقتاً لها.

ومقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين ويدنو العبد به من الله تعالي في لحظة واحدة أضعاف ما يدنو بالعمل. ومن فوائد محاسبة النفس أيضاً: أن يعرف العبد بذلك حق الله تعالي ومن لم يعرف حق الله تعالي عليه فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه وهي قليلة المنفعة فمن أنفع ما للقلب النظر في حق الله علي العباد فإن ذلك يورثه مقت نفسه



والإزراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه واليأس من نفسه وأن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته فإن من حقه أن يطاع ولا يعصي وأن يذكر فلا ينسي وأن يشكر فلا يكفر.

فمن نظر إلي هذا الحق الذي لربه عليه علم علم اليقين أنه غير مؤد له كما ينبغي وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة وأنه إن أحيل علي عمله هلك.

فهذا محل نظر أهل المعرفة بالله تعالي وبنفوسهم وهذا الذي أيأسهم من أنفسهم وعلق رجاءهم كله بعفو الله ورحمته.

وإذا تأملت حال أكثر الناس وجدتهم بضد ذلك ينظرون في حقهم علي الله ولا ينظرون في حق الله عليهم ومن هنا انقطعوا عن الله وحجبت قلوبهم عن معرفته ومحبته والشوق إلي لقائه والتنعم بذكره وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه.

فمحاسبة النفس هو نظر العبد في حق الله عليه أولاً ثم نظره هل قام به كما ينبغي وأفضل الفكر في ذلك فإنه يسير القلب إلي الله ويطرحه بين يديه ذليلاً خاضعاً منكسراً كسراً فيه جبره ومفتقرا فقرا فيه غناه وذليلاً ذلاً فيه عزه ولو عمل من الأعمال ما عساه أن يعمل فإنه إذا فاته هذا فالذي فاته من البر أفضل من الذي ناله.

فالسعيد الذي يستطيع أن يكبح جماح نفسه فيلزمها بالطاعة ويصرفها عن المعصية والفرق بين الذنوب التي يكون وراءها النفس والتي وراءها الشيطان أن ذنوب النفس هي الذنوب التي تعودها الإنسان وأدمنها وداوم علي فعلها فهذه الذنوب يكون المزين لها والدافع لها النفس

المبحث الثالث: من أسباب الذنوب إتباع الهوي

تعريف الهوى:

ميل الطبع إلي ما يلائمه وهذا الميل قد خُلق في الإنسان لضرورة بقائه فأنه لولا ميله إلي المطعم ما أكل وإلي المشرب ما شرب و إلي المنكح ما نكح وكذلك كل ما يشتهيه، فالهوى مستجلب له ما يريد كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذي فلا يصلح ذم الهوى علي الإطلاق وإنما يُذم المفرط من ذلك وهو ما يزيد علي جلب المصالح ودفع المضار ولما كان الغالب من مواقف الهوى أنه لا يقف منه علي حد المنتفع أطلق والشهوات لعموم غلبة علي الضرر. قال رسول الله: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به". " أخرجه أبو نعيم والطبري وقال النووي حديث حسن "

اعلم أن مطلق الهوى يدعوا إلي اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة ويحث علي نيل الشهوات عاجلاً وإن كانت سبباً للألم والأذى في العاجل ومنع لذات في الأجل فأما العاقل فإنه نهي نفسه عن لذة تعقب آلما وشهوة تورث ندماً وكفي بهذا القدر مدحاً للعقل وذماً للهوي.



وبهذا القدر فضل الآدمي علي البهائم لأن البهائم واقفة مع طباعها لا نظر لها إلي عاقبة ولا فكر في مال.

فإن قال قائل فكيف يتخلص من داء الهوى؟ قيل له بالعزم القوي في هجران ما يؤذي والتدرج في ترك ما لا يؤمن أذاه وهذا يفتقر إلي صبر ومجاهدة يهونها سبعه أشياء.

علاج الهوى:

١- التفكر في أن الإنسان لم يخلق للهوي وإنما هيئ للنظر في العواقب والعمل للآجل.

٢- أن يفكر في عواقب الهوى فكم ضيع من فضيلة وكم أوقع في رذيلة وكم من مطعم قد أوقع في حرمه وكم من لذة أوجبت انكسار جاه وقبح ذكر مع أثم غيران صاحب الهوى لا يري إلا الهوى.

٣- أن يتصور العاقل انقضاء غرضه من هواه ثم يتصور الأذى الحاصل عقب اللذة فأنه يُربو علي الهوى أضعافاً

فرب نظره أورثت شهوة ورب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً. وأفضل الناس من لم يرتكب سببا حتى يميز ما تجني عواقبه.

٤- أن يتصور ذلك في حق غيره ثم يتلمح عاقبته بفكره فإنه سيري من يعلم بعيبه إذا وقف في ذلك المقام.

٥- أن يتفكر فيما يطلبه من اللذات فإنه سيخبره العقل أنه ليس بشئ وإنما عين الهوى عمياء فالمرآة تزين أجمل ما فيها ويراد أقبح ما فيها.

٦- أن يتدبر عز الغلبة وقهر الذل فإنه ما من أحد غلب هواه إلا أحس بقوه عز وما من أحد غلبه هواه إلا وجد في نفسه ذل القهر.

٧- أن يتفكر في فائدة المخالفة للهوي من اكتساب الذكر الجميل في الدنيا وسلامة النفس والعرض والأجر في الآخرة ثم يعكس فيتفكر لو وافقه هواه في حصول عكس ذلك علي الأبد وليفرض لهاتين الحالتين حالتي آدم ويوسف عليهما السلام في لذة هذا وصبر هذا فأين لذة آدم التي قضاها من همه يوسف التي أمضاها ماذا كان يحدث ليوسف لو نال هذه اللذة فلما تركها وصبر عنها بمجاهده ساعة صار في عز ومناعة وأي عز أن يختاره الله ليكون من أصفيائه.

قال أبو علي الدقاق: من ملك شهوته في حال شبيبته سيره إليه ملكاً في حال كهولته كيوسف.

مخالفة الهوي: أوصي الله البشر بمخالفة الهوي ومدح مخالفة فقال" (ونهي النفس عن الهوي)(النازعات، الآية رقم ٤٠) قال المفسرون نهاها عن ما حرم عليها وقال مقاتل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامة للحساب فيتركها

وقال: " واتبع هواه فمثله كمثل الكلب " [الأعراف، الآية رقم ١٧٦)

وقال: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }[الجاثية٢٣]"



وقال: " ولا تتبع الهوي فيضلك عن سبيل الله " [ص، الآية رقم ٢٦)

وقال: " واتبع هواه وكان أمره فرطا " [الكهف، الآية رقم ٢٨)

وقال: "بل أتبع الذين ظلموا أهوائهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله " (الروم، الآية رقم ٢٩)

عن أبي هريرة أن النبي صلي الله عليه وسلم: لما خلق الله عز وجل الجنة والنار أرسل جبريل يعني إلي الجنة فقال انظر إليها وإلي ما أعددت لأهلها فيها فجاء فنظر إليها وإلي ما أعد الله عز وجل لأهلها فيها فرجع إليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فأمر بها فحفت بالمكارة وقال أرجع إليها فأنظر إليها فرجع فإذا هي قد حفت بالمكارة فقال لقد خشيت إلا يدخلها أحد، قال فأنظر إلي النار وإلي ما أعددت لأهلها فيها فجاءها فنظر إليها وإلي ما أعد لأهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضاً فرجع إليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات وقال له ارجع إليها فأنظر إليها فإذا هي قد حفت بالشهوات فرجع إليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها. " رواه الترمذي وقال حديث حسن "

عن أبي برزه الأسلمي قال: قال رسول الله ((أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى". " رواه أحمد والبزار والطبراني "

وجاء في كتاب " ذم الهوى لابن الجوزي " أن بشر بن الحارث قال لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد.

وقال مالك بن دينار من غلب شهوات الدنيا فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله.

وقال صفوان بن سليم: ليأتين علي الناس زمان تكون همه أحدهم ملئ بطنه ودينه هواه.

وقال يحي بن معاذ: من أرض الجوارح في اللذات فقد غرس لنفسه شجر الندامات.

قال أبو بكر الوراق: أصل غلبه الهوى مقاربة الشهوات فإذا غلب الهوى أظلم القلب وإذا أظلم القلب ضاق الصدر وإذا ضاق الصدر ساء الخلق وإذا ساء الخلق أبغض الخلق وإذا أبغض الخلق أبغضهم وإذا أبغضهم جفاهم وإذا جفاهم صار شيطاناً. فأفسد الهوى أنه يسري بصاحبه في فنون ويخرجه من دائرة العقل إلي دائرة الجنون.

رب مستور سبته صبوه * * * فتعـري سـتره فانْتهكا

صاحب الشهوة عبد فإذا * * * غلب الشهوة صار ملكا

وقد قال بن رجب: في حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به قال لا يكون الإنسان مؤمناً كاملاً الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول من الأوامر والنواهي وغيرها فيحب ما أمر به ويكره ما نهي عنه.

وقد قال تعالي: " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً " [النساء، رقم ٦٥)



فجميع المعاصي إنما تتأتي من تقديم هوي النفس علي محبه الله ورسوله وقد وصف الله المشركين بإتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال " فإن لم يستجبوا لك فأعلم أنما يتبعون أهوائهم ومن أضل من اتبع هواه بغير هدي من الله " [القصص، الآية رقم ٥٠) كذلك البدع تتأتي من تقديم الهوى علي الشرع ولهذا يسمي أهلها أهل الأهواء وكذلك جميع المعاصي.

وقد يطلق الهوي بمعني المحبة كما قال تعالي: " ترجي من تشاء مهن وتؤي إليك من تشاء "الأحزاب

قالت عائشة: ما أري ربك إلا يسارع في هواك". " متفق عليه "

روي مسلم عن عمر قال في قصة أسري بدر: فهوي رسول الله للذي قال أبو بكر ولم يهوي ما قلت.

ومجاهدة الهوي والانتصار علي هواك هو أول الخطوات ومن بعد الأولي الثانية والألف ميل يبدأ بخطوة ومن أقبل علي الله أقبل الله عليه ومن أثر هوي الله علي هوي النفس أثره الله ورعاه ومن البلايا نجاه ودفع عنه المعاصي والسيئات والتي هي أشد المهلكات بل هي عين المهلكات.

وقال سيد قطب رحمه الله في" الظلال " : ونهي النفس عن الهوى هو نقطة الانطلاق والارتكاز في دائرة الطاعة فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان وكل تجاوز وكل معصية وهو أساس البلوى وينبوع الشر وقل أن يؤتي الإنسان إلا من قبل الهوي فالجهل سهل علاجه ولكن الهوي بعد العلم أنه النفس التي تحتاج إلي جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها والخوف من الله هو الحاجز الصلد أمام دفعات الهوي العنيفة وقل أن يثبت غير هذا الحاجز أمام دفعات الهوي ومن ثم يجمع بينهما السياق القرآني في آية واحدة وهي قوله تعالي " وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فإن الجنة هي المأوي " [سورة النازعات)

وجاء في" أدب الدين للماوردي" : وأما الهوي فهو عن الخير صاد وللعقل مضاد ينتج من الأخلاق قبائحها ويظهر من الأفعال فضائحها ويجعل ستر المروءه مهتوكا ومدخل الشر مسلوكاً.

ثم قال صاحب " الظلال " رحمه الله: ولما كان الهوي غالباً وإلي سبيل المهالك مورداً جعل العقل عليه رقيبا مجاهدا يلاحظ عثرة غفلته ويدفع بادره سطوته ويدفع خداع حيلته لأن سلطان الهوي قوي ومدخل مكره خفي. أ. هـ ثم قال رحمه الله قال بعض العلماء: ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة بلا عقل وركب ابن آدم من كليهما فمن غلب عقله علي شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته علي عقله فهو شر من البهائم. وأخيراً العقل وزير ناصح والهوي وكيل فاضح.

فهذا باب من أبواب المهلكات التي تجر الإنسان إلي المعاصي والذنوب من استطاع أن يغلق هذا الباب فقد استطاع أن يتغلب علي الكثير من أسباب الذنوب والتي ما يجنئ منها سوي الخراب والدمار وغضب علام الغيوب.



المبحث الرابع طول الأمل

من أسباب الذنوب (طول الأمل)

باب من أبواب الذنوب وتأخير التوبة ونسيان الإنسان لنفسه ولربه ودينه وكل شئ في حياته فكم ضيع الإنسان طول الأمل وألهي صاحبه عن العمل.

طول الأمل سر الغواية طول الأمل سر الضلالة طول الأمل سر الجشع سر الطمع سوف أفعل كذا سوف أفعل كذا ونسي أن الموت أقرب إليه من حبل الوريد.

يا نفس قد أزف الرحيل * * * وأظلك الخطب الجليل

فتأهبي يا نفس لا يلعبن * * * بك الأمل الطويل

لا يزال طول الأمل يأخر توبة الإنسان. نسيان الموت والاستعداد له قائلا لنفسه الأيام بين يديك إلي أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر يقول إلي أن تصير شيخاً فإذا صار شيخاً قال إلي أن انتهي من كذا وكذا.

فيا معشر كبار السن إذا استوي الزرع فليس له إلا الحصاد.

ويا معشر الشباب قد يدرك الزرع أفه قبل بلوغ حصاده فيهلك.

ولذلك يقول النبي(صلي الله عليه وسلم): (لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنين حب الدنيا وطول الأمل) " رواه البخاري "

أسباب طول الأمل:

١- جمع المال: رجل يجمع المال منذ سنين واشتري أرضاً وبدأ في البناء وانتهي من البناء وتأخر دخول الكهرباء وبذل كل ما في وسعه من وساطات وغيرها وكان يقول لن أرتح ولن يهدأ لي بال حتى أدخل الكهرباء وبعد عناء شديد كان يراقب العمال وهم يقومون بتوصيل الأسلاك وهو فرح مسرور وفجأة تلتمس الأسلاك ببعضها وهي في يده فيسقط ميتاً كأن لم يكن.

الأماني أحلام وأمال والمنون يهدمها بلا أمهال

إبتني الناس من البنيان ما لم يسكنوه

جمع الناس من الأموال ما لم يأكلوه

طلب الناس من الآمال مالا يدركوه

مر رسول الله بعبد الله بن عمرو وهو يبني خصا (بناء صغير من الحطب أو البوص) فقال ما هذا إن الأمر أسرع من ذلك.

قال وهب بن منبه: لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ولم يتخذ بيتاً فقالوا له يا نبي الله لو اتخذت بيتاً فقال لهم اليوم أموت غداً أموت حتى آتاه الموت ولم يتخذ له بيتاً



٢- الغرور بالدنيا: يقول رب الأرباب: (كم تركوا من جنات وعيون "

قال أحد الصالحين الدنيا طاعمها لا يشبع وشاربها لا يروي والناظر إليها لا يمل ولم تري شيئاً أعجب منها ومن أهلها يطلبها راحل عنها.

قالت بعض بنات ملوك العرب الذين نكبوا أصبحنا وما في الأرض أحد لا وهو يحسدنا ويخشانا وأمسينا وما في العرب أحد إلا وهو يرحمنا.

إلاما تغر بالأمل الطويــل * * * وليس إلي الأماني من سبيل

فدع عنك التعلل بالأمانـــي * * * فما بعد المشيب سوي الرحيل

أتامـن أن تدوم لك الليــالي * * * وكم افـنت قبيلك من خليل

وما زالت بنات الدهر تفني * * * بني الأيـام جيلاً بعد جيل

يقول داود الطائي لو تأملت أن أعيش شهراً لرأيت أني أتيت عظيماً وكنت أأمل في ذلك وأنا أري الضجائع تزل بالخلائق أناء الليل والنهار.

٣- رفقه السوء:

فالمرء علي دين خليله والصاحب ساحب والإبل الجربي تعدي السليمة فاستعن بالله ثم بالجليس النفيس وأحذر جليس إبليس وأعلم أن الماء والهواء يفسدان بالقرب من الجيف وكلما ابتعدت عن الجيف طاب الهواء والماء ولطف ورب صديق جرك للهاوية ورب صديق كان سببا لك في النجاة لنهيه لك عن المعصية.

أضراره أو آفاته:

١- طول الأمل ينسي الإنسان الموت " رواه البخاري " عن عبد الله بن مسعود قال ((خط النبي خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجاً منه وخط خططا صغارا إلي هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أوقد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا.))

بَني ابن مسعود بيتاً في داره ودعا عمار بن ياسر وقال له كيف تري هذا البيت فقال عمار بنيت جديداً وأملت بعيداً وتموت شهيداً.

وها هو علي رضي الله عنه يقول إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل وإتباع الهوي فأما طول الأمل فينسي الإنسان الآخرة وأما إتباع الهوي فيصد عن الحق.

وقال الشيخ الدويش في : (إن شاب في العشر الأواخر من رمضان والناس يدعون وهم في صيام وقيام وتحري لليلة القدر وقراءة القرآن يتمنون صلاح القلوب ورضا علام الغيوب وغفران الذنوب كان يخطط للقاء بعشيقه التليفون كان يتمني ويحلم أن يعيش تلك الليلة في أحضان الشهوات فكان الموعد أتدرون بالله عليكم أين يكون الموعد إنه والله في أحد المساجد وعليك أخي في الله أن تتحمل الصدمة موعد للقاء علي الفاحشة في البيت الطاهر فتجمل الشاب وتعطر والشيطان يغريه ويمنيه وهو يقود سيارته بسرعة جنونية حتى يقترف جنايته في بيت الله يذهب إلي المسجد لا ليعبد الله ولكن



ليعبد الشيطان بالشهوات الحرام وفي أحدي التقطاعات وهو غارق في بحر الأحلام ترتطم سيارته بسيارة أخري وفي لحظات فارق الحياة .

آيا ابن آدم لا يغررك عافيه * * * عليك صافيه فالعمر معدود

مـا أنت إلا كذرع عند خضرته * * * بكل شئ من الآفات محصود

فإن سلمت من الآفات أجمعها * * * فإن نهايتك إلي التراب والدود

٢- طول الأمل يمنع العمل:

أقام معروف الكرخي الصلاة ثم قال لرجل تقدم فصل فقال الرجل إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أنك تصلي صلاة أخري نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع العمل.

يقول القرطبي: طول الأمل داء عضال ومرض مزمن ومتي تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا ينجح فيه دواء بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء.

طول الأمل باب ما نجي منه إلا السادة وما علم بمداخله وأغلقها إلا أصحاب الرياده فطول الأمل يفسد الدين إذا اقتصر علي الدنيا أما إذا استعمل للنيل من الدنيا للدين فربما تكون فيه النجاة وإن كانت الأخري ربما كان سببا في الهلاك وكم من سائر علي الطريق ضل بسبب طول الأمل.

قال الجاحظ وجد مكتوباً في حجر: يا ابن آدم لو رأيت سير ما تبقي من أجلك لزهدت في طويل ما ترجو من أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وإنما يلقاك غداً ندمك لو قد زلت بك قدمك أسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب.

النجاة من طول الأمل لا تكون إلا بمخالفة أسبابه وذلك لأن إخراجه من القلب هو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين ولا علاج له إلا بالإيمان باليوم الآخر وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وها نحن إذا احتطنا أن نغلق هذا الباب ونتعامل فيه بميزان العقل والشرع نكون قد استطعنا أن ننجوا بأنفسنا عن الكثير من المهلكات أعني السيئات.

المبحث الخامس: حب الدنيـا

من أسباب الذنوب حب الدنيا لقد زينها الشيطان وزخرفها في قلوب كثير من الناس فركنوا إليها واطمأنوا بها بل وعضوا عليها بنوا جذهم ونشبوا فيها أظفارهم ففيها يعادون وعليها يتنافسون ومن أجلها يتباغضون ويتحاسدون ونفذ فيهم إبليس خطته



حيث قال: أزينن لهم في الأرض ولا غوينهم أجمعين[الحجر، الآية رقم ٢٩) ويا أسفاه لقد اتبعوه وأطاعوه إلا من اعتصم بالله ولجأ إليه ورمي الدنيا خلف ظهره

" ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من . . الايه[سبا، الآية رقم ٢٠)

ولو عرف الناس حقيقة الدنيا ما أقاموا لها وزناً ولا جعلوا لها في قلوبهم مكاناً ولا علي ألسنتهم ذكراً والله خالقها قد بين حقيقتها فقال " أعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينه وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " [الحديد، الآية رقم ٢٠)

فالحياة لعب ولهو وزينه والعاقل من جعلها مزرعة للآخرة ولذلك نادنا الله تعالي بعد هذه الآية قائلاً " سابقوا إلي مغفرة من ربكم وجنه عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله " [الحديد، ٢١)

وكما حذرنا الله من الدنيا حذرنا منها رسول الله صلي الله عليه وسلم أيضاً.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال: " إن الدنيا حلوه خضره وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء. " رواه مسلم "

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: آتيت النبي صلي الله عليه وسلم وهو يقرأ " ألهائكم التكاثر " قال يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت او تصدقت فأمضيت". " رواه مسلم "

وعن جابر إن رسول الله صلي الله عليه وسلم مر بالسوق والناس كنفيه، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله بأذنه ثم قال: أيكم يحب أن يكون له هذا بدرهم؟ فقالوا ما نحب أنه لنا بشئ وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم، قالوا: والله لو كان حياً لكان عيباً لنا؟ لأنه أسك فكيف وهو ميت؟ فقال: والله للدنيا أهون علي الله عز وجل من هذا عليكم " رواه مسلم "

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول إن الدنيا ملعونه، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم". " رواه الترمذي وابن ماجه "

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول صلي الله عليه وسلم: الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له". " رواه أحمد والبيهقي وقال إسناده جيد "

عن عمرو بن عوف الأنصاري أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: فوالله ما الفقر أخشي عليكم ولكن أخشي أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت علي من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلكم كما أهلكتهم". " رواه البخاري ومسلم "

ولقد طغي حب الدنيا في قلوب بعض الناس حتى عبدوها من دون الله!!



فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصه، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط". " رواه مسلم "

ولو عرفوا قيمتها بالنسبه للآخرة لرفضوها وطلبوا الآخرة فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، وأشار يحي بن يحي بالسبابة " فلينظر بما يرجع". " رواه مسلم "

وفي صحيح البخاري عن سهل قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغزوه في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها". " رواه مسلم "

وروي عن الحسن البصري أنه قال: رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعه فأدوها إلي من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافاً.

وقال أيضاً رحمه الله: (من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في ديناك فالقها في نحره)،

وروي عن علي أنه قال: (من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً: من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها).

وقال أيضاً في وصف الدنيا: (هي دار من صح فيها سقم، ومن آمن من فيها ندم ومن أفتقر فيها حزن ومن استغني فيها افتتن، في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابها العقاب)،

وقال مالك بن ديناربقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك.

وقال الحسن: والله لقد أدركت أقواماً كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت، ذهبت إلي ذا أو ذهبت إلي ذا، وقال بعضهم: (يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وإنما بلغته بانقضاء ا أجلك، ثم سوفت بعملك كأن منفعته إلي غيرك).

وقال الحسن: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاثة: (أنه لم يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما تقدم عليه).

وقال أبو سليمان: لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة.

وقال مالك ابن دينار: أصطلحنا علي حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضاً ولا ينهي بعضناً بعضاً ولا يدعناً إلي الله علي هذا فليت شعري، أي عذاب الله ينزل علينا.

وقال الشافعي رحمه الله عليه: (الدنيا دار مذله، عمرانها إلي الخراب صائر، وساكنها إلي القبور زائر، شملها علي الفرق موقوف، وغناها إلي الفقر مصروف، الأكثار فيها إعسار والإعسار فيها يسار فافرغ إلي الله وارضي برزق الله لا تتسلف من دار فنائك إلي دار بقائك فإن عيشك ظل زائل وجدار مائل أكثر من عملك، واقصر من أملك)



وقال علي كرم الله وجهه: (أوصيكم بتقوي الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقاً وكأنهم قد قطعوه، فلا تنزعجا لبؤسها وضرائها فإنه إلي انقطاع ولا تمرحوا لمتسعها ونعمائها فإنها إلي زوال، عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وقد قيل:

نســيرُ إلي الآجال في كل لحظـة * * وأيامنا تمضي وهن مراحل

ولـم أر مثــل الموت حقاً كأنه * * * إذا ما تخطته الأمانــي باطل

وما أقبح التفريط في زمن الصبا * * * فكيف به والشيب للرأس شاعل

ترحــل من الدنيا بزاد من التقي * * * فعمرك أياماً وهن قـلائل

وقال الإمام البخاري رحمه الله:

اغتنم في الفراغ فضل ركـوع * * فعسي أن يكــون مــوتك بغتـه

كم من صحيح مات من غير سقم * *ذهـبت نفســه الصحيحة فلتـه

وقال أيضاً:

ألا أنمـا الدنيـا كأحـلام نائـم ** ومـا خـير عيش لا يكون بدائم

تأمـل إذا مــا نلت بالأمس لـذة ** ما فيها هـل أنت إلا كحالم

وأعلم أن حب الدنيا إذا طغي علي القلب فتح للذنوب والمعاصي أبواباً.

وها هو المبحث الخامس وليس الأخير من أسباب الذنوب ولكن هؤلاء الخمس أري أنهم الأبواب الأكثر تأثيراً في اقتراف الذنوب والوقوع في المعاصي فلذلك ذكرتك بهذه الأبواب لتعلم من أي باب تصوب إليك السهام فإذا علمت باباً أغلقته وهكذا حتى تنصر بإذن الله وتكون من الناجين.



الفصل الثاني عقوبات المعاصي

ويشتمل علي ستة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف المعاصي والذنوب مع تقسيم الذنوب
- المبحث الثاني: هلاك بعض الأمم :

* مثل قوم نوح،إبراهيم، ثمود، عاد، مدين، لوط، سبأ، اليهود حتى جلاءهم عن المدينة
* أهل ضروان (قصة وعبرة، بومبي)
* دولة الإسلام وما حدث فيها من إنكسارت بسبب الذنوب بداية من الدولة الأموية حتى هزيمة ١٩٦٧وما حدث في البوسنة والهرسك حتى انهيار العراق.

- المبحث الثالث: هلاك بعض الأفراد ممن تجبروا في الأرض منذ قابيل حتى شارون
- المبحث الرابع: بعض الفرق والمذاهب المعاصرة
- المبحث الخامس: الابتلاء
- المبحث السادس: عقوبات عامة لا تتعلق بمكان ولا زمان

المبحث الأول: المعـــاصـــي والذنــوب

في الحقيقة تتدافع الأفكار وتتصارع في رأسي ولا أعرف كيف أبدأ حتى هداني الله إلي هذه البداية في حديثي عن الذنوب وأثرها علي الفرد والجماعة وما تحدثة من زوال نعم وجلب كرب وقد وكما هو معلوم أن الله قد أرسل رسله وأنزل كتبه وخلق السموات والأرض ليعرف ويعبد ويكون الدين كله لله والطاعة كلها له والدعوة له كما قال " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "[الذاريات رقم ٥٦)

ولكن بعض الناس خرج علي ناموس الكون وبارز الجبار بالمعاصي والذنوب فكان انتقام الله ممن عصاه. وقبل أن أخوض في آثار الذنوب علي الأمم والأفراد أعرف المعاصي والذنوب وأقسامها.

فما هي المعاصي والذنوب؟

-المعصيــــــة: من العصيان وهو الخروج عن الطاعة ومخالفة الأمور.

- أما الذنوب: فهي الجرآه علي الله ومعصيته ومخالفة أمره وانتهاك محارمه.



وقد قسم ابن القيم الذنوب فقال أصلها نوعان ترك مأمور وفعل محظور وهما اللذان ابتلي الله سبحانه بهما أبوي الجن والإنس وكليهما. (الداء والدواء لابن القيم)

والذنب ينقسم باعتبار محله إلي ظاهر علي الجوارح وباطن في القلوب.

وباعتبار متعلقة إلي حق الله وحق خلقه وإن كان كل حق لخلقه فهو متضمن لحقه لكن سمي حقا للخلق لأنه يطلب بحسب مطالتبهم ويسقط بإسقاطهم ثم هذه الذنوب تنقسم إلي أربعة أقسام:

أولاً: حسب طبيعة مصدرها (ملكية، شيطانية، سبعية، بهيمية) ولا تخرج عن ذلك.

-الذنوب الملكية

فالذنوب الملكية أن يتعاطي ما لا يصح له من صفات الربوبيه كالعظمة والكبرياء والجبروت والقهر والعلم واستبعاد الحق، ونحو ذلك.

ويدخل فيها الشرك بالله تعالي وهو نوعان:

ـ شرك به في أسمائه وصفاته وجعل ألهه أخري معه.

ـ وشرك به في معاملته.

وهذا الثاني قد لا يوجب دخول النار وإن أحبط العمل الذي أشرك فيه مع الله غيره.

وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب ويدخل فيه القول علي الله بلا علم في خلقه وأمره، فمن كان من أهل هذه الذنوب، فقد نازع الله سبحانه وتعالي في ربوبيته وملكه وجعل له نداً، وهذا أعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل.

-الذنوب الشيطانية: وأما الشيطانية، فالتشبه بالشيطان في الحسد والبغي والغش والغل والخداع والمكر، والأمر بمعاصي الله وتحسينها والنهي عن طاعته وتمجينها والابتداع في دينه والدعوة إلي البدع والضلال، وهذا النوع يلي النوع الأول في المفسدة وإن كانت مفسدته دونه.

-الذنوب السبعية: وأما السبعية، فذنوب العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب علي الضعفاء العاجزين. الذنوب البهيمية: وأما الذنوب البهيمية، فمثل الشره والحرص علي قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتولد الزنا، والسرقة، وأكل أموال اليتامي، والبخل، والشح، والجبن، والهلع، والجزع وغير ذلك.

وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية والملكية ومنه يدخلون إلي سائر الأقسام، فهو يجرهم إليها بالزمام، فيدخلون منه إلي الذنوب السبعية ثم إلي الشيطانية، ثم إلي منازعه الربوبيه، والشرك في الوحدانية، ومن تأمل هذا حق التأمل تبين له أن الذنوب دهليز الشرك والكفر ومنازعه الله ربوبيته.

ثانياً: أقسام الذنوب باعتبار عقوبتها أو حجمها

تنقسم إلي كبائر وصغائر:

القسم الأول: الكبـــــائـــــر



قد قال تعالي " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما [النساء، الآية رقم ٣١)

وقال تعالي " الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم " النجم: رقم ٣٢) وقد قال النبي: الصلوات الخمس، والجمعة إلي الجمعة، ورمضان إلي رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجُتنبت الكبائر". " رواه مسلم "

وقد عرف العلماء الكبائر بأنها ما نهي الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة وكان فيه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة أو فقد إيمان أو لعن أو تبرؤا وليس منا وقد اختلف العلماء في عددها فقيل هي سبع واحتجوا بقول النبي (اجتنبوا السبع الموبقات) رواه مسلم والبخاري وهو قول عمر رضي الله عنه.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص هي تسعه، وقال عبد الله بن عباس سبعون.

وقال أبو خالد الملكي: جمعتها من أقوال الصحابة فوجتها أربعه في القلب وهي (الشرك بالله، والإصرار علي المعصية، والقنوط من رحمه الله، والآمن من مكر الله) وأربعه في اللسان وهي (شهادة الزور، وقذف المحصنات، واليمين الغموس، والسحر) وثلاث في البطن هي (شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا) واثنان في الفرج وهما (الزني، اللواط) واثنان في اليدين وهما (القتل، والسرقة) وواحد في الرجلين وهو (الفرار من الزحف) وواحد يتعلق بجميع الجسد وهو (عقوق الوالدين).

القسم الثاني: الصغـــــائـــر

وهي عكس الكبائر، ونحن هنا لايهمنا التقسيم بقدر ما يهمنا التأثير حتى لا نترك الأصل وهو أثار الذنوب ونهتم بالفرع وهو تقسيم هذه الذنوب.

وعندما أتحدث عن ذنوب الأمم فإني أخاطب كل أمه بذنبها في وقت صلاح رسالة نبيها فإنني مثلاً عندما أتحدث عن اليهودية أتحدث عنها قبل مجئ المسيحية وعندما أتحدث عن المسيحية فإنني أتحدث عنها قبل مجئ الإسلام لأن الدين عند الله الإسلام أي أنني أتحدث عن كل أمه في فترة صلاحية رسالتها قبل الإسلام أما عندما أتحدثُ عن ذنوب المسلمين فأنني أتحدث عن المسلمين من تاريخ مبعث الرسول (عليه الصلاة والسلام) حتى تقوم الساعة ونشر الصحف لأن الأمة الإسلامية هي أخر الأمم كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: أنا العاقب فلا نبي بعدي". وكما قال تعالي " إن الدين عند الله الإسلام "[آل عمران: رقم) فلا يصح دين بعد مجئ الإسلام غير الإسلام ولا تصلح رسالة علي وجه الأرض غيره لأن الإسلام نسخ الأديان السابقة. وقد رضي الله للبشر الإسلام ديناً وجعله مسك الختام فمن تدين بأي دين غير الإسلام لن يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، ومن عصي من المسلمين وخالف شرع الرحمن الرحيم أذاقه الله العذاب الأليم إن لم يتب ويرجع إلي رحاب رب العالمين. ومما ينبغي أن يعلمه كل إنسان أن الذنوب والمعاصي تجلب البلايا والرذايا علي اختلاف درجاتها وهل في الدنيا والآخرة شر إلا سببه الذنوب والمعاصي؟؟ فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلي دار الآلام والأحزان والمصائب؟؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهرة وباطنه وجعل صورته أقبح صورة واشنعها



وباطنه أقبح من صورته وأشنع وبدل بالقرب بعداً، وبالرحمة لعنه، وبالجمال قبحاً، وبالجنة ناراً تلظي، وبالإيمان كفراً، وبموالاة الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة، وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش، وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان، فهان علي الله غاية الهوان، وسقط من عينيه غاية السقوط، وحل عليه غضب الرب تعالي فأهواه، ومقته أكبر المقت فأرداه، فصار قواداً لكل فاسق ومجرم ورضي لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذاً بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك. وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الحيال؟؟ وما الذي سلط الرياح علي قوم عاد حتى ألقتهم موتي علي وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحرثهم وزرعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلي يوم القيامة؟؟ وما الذي أرسل علي قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن أخرهم؟؟ ومن الذي رفع قري اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً ثم اتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه علي أمه غيرهم ولإخوانهم وماهي من الظالمين ببعيد وما الذي أرسل علي قوم شعيب سحاب العذاب كالظل، فلماء صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظي؟؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلي جهنم فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟؟ وما الذي خسف بقارون داره وماله وأهله؟؟ وما الذي أهلك قوم صاحب يس با لصيحة حتى خمدوا عن أخرهم؟؟ وما الذي بعث علي بني إسرائيل قوما أولي بأس ٍ شديد، فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال وسبوا الذرية والنساء واحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تبيراً؟ وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد ومرة بجور الملوك ومرة بسخطهم قردة وخنازير وأخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالي. " ليبعثن عليهم إلي يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب " [الأعراف، الآية ١٦٧) وقد قالت أم سلمة سمعت رسول (صلي الله عليه وسلم) يقول: ((إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: بلي قلت فكيف يُصنعُ بأولئك؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس ثم يُصيرون إلي مغفرة من الله ورضوان " أخرجه أحمد وصححه الألباني "

وهيا بنا نبدأ:

روي ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدو من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جُعل بأسهم بينهم)) " رواه أبونعيم "



ويقول الحسن البصري: (يا ابن آدم لو أن الناس كلهم أطاعوا الله وعصيت لم تنفعك طاعتهم ولو عصوا الله واطعت لم تضرك معصيتهم ابن آدم ذنبك ذنبك فإنما هو لحمك ودمك وإن تكن الأخري فإنما هي نار لا تطفئ وجسم لا يبلي ونفس لا تموت)

وها نحن أيها الأحبة نعيش أيامنا في دار الممر دار الابتلاء والمحن دار الشهوات والملذات والفتن والتبعات دار عيشها زائل ونعيمها فان والخلود فيها مُحال دار من تدثر بها فهو العريان ومن أحتمي فيها فهو المهزوم ومن نام فيها فهو اليقظان وبعد هذا لماذا تعصي الله؟؟ أتعصيه من أجل المال فقد تكفل الله لك بالرزق وأنت جنين في بطن أمك أتعصيه من أجل الأولاد، قال تعالي

(وليخشي الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليها فليقوا الله وليقولوا قولا ً سديداً(النساء، الآية رقم)

أتعصيه من أجل الدنيا والتي إذا حلت أوحلت وإذا كست أوكست وإذا نعت أينعت وإذا أعطت سلبت.

، فأنظر إلي حالها: تأتي في صورة امرأة تتزين للخطاب حتى إذا أنكحتهم ذبحتهم، تأتي في صورة الماشي في الماء تعذر الخلاص من تبعتها بعد الخوض فيها، تأتي في صورة شارب ماء البحر علائق الدنيا بعضها إلي بعض حتى الهلاك، تأتي في صورة الحية في لين جلدها وخشونة مصدرها.

روي أبو نعيم وحسنه الألباني: (أن رسول الله قال كما لا يجني من الشوك العنب كذلك لا ينزل الفجار منازل الأبرار فاسلكوا أي طريق شئتم فأي طريق وردتم أنتم أهله)

تنبهوا يامعشر الإسلام من أحلامكم فالضعف في الأحل* لا تغفلوا عن حاقد يقظان يرقب نومكم كالوحش في الأجحرب المعاصي والنفاق صراحة ليست سوي حرب علي الإسلام.

ولنأخذ أمثلة لبعض الأمم السابقة وبعض الأفراد ممن عصوا ربهم وكانت النهاية الحتمية وهي الهلاك والدمار بل وجعلهم الله عبره للأمم من بعدهم فا اللهم اجعلنا من المعتبرين ولا تجعلنا عبره للمعتبرين. ، وسوف أتدرج تاريخياً مع الأمم السابقة التي خالفت أمر ربها وعادت أنبيائها وننظر نهايتها وبعد الأمم سوف أذكر بعض العصاه ممن بارزوا الله بالمعاصي وأعلنوا بها وقد جعلهم الله لنا عبره حيث أذاقهم الله عذاب الهون في ديناهم وربما في أخراهم

المبحـــث الثــــاني: هـــلاك الأمـــم

أولا: قـــــوم نــــوح (عليه السلام)

كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علي الإسلام.

قال الحافظ: وقصة الصالحين كان مبدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم بعدهم علي ذلك. " رواه الحكم عن ابن عباس "



عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في تفسير (ود، وسواع، ويعوق، ويغوث، ونسرا) أسماء رجال الصالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحي الشيطان إلي قومهم أن انصبوا إلي مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموهم بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم عُبدت

فأرسل إليهم نوحاً أول رسول للبشر، وهو أحد أولي العزم من الرسل، ودعا نوح قومه إلي عبادة الله وسلك إلي آذان قومه وقلوبهم وعقولهم بشتي الأساليب، ومتنوع الوسائل، في دأب طويل، وفي صبر جميل، وفي جهد نبيل ألف سنه إلا خمسين عاماً. وقد كان نوح مفصحاً مع هذا عن نذارته، مبيناً عن حُجته، لا يتمتم ولا يجمجم، لا يتلعثم في دعوته، ولا يدع لبساً ولا غموضاً في صفه ما يدعو إليه، وهم لا يواجهونه إلا بإعراض واستكبار واستهزاء: " فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون}(العنكبوت، الآية رقم ١٤) وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه وصاه فيما بينه وبينه ألا يؤمن بنوح ما عاش، ودائماً ما بقي.

بعد كل هذا الجهاد، وبعد كل هذا العناء، وبعد كل هذا التوجيه والتنوير والإنذار والإطماع والوعد بالمال والبنين والرخاء بعد هذا كله كان هذا العصيان، وأوحي الله إلي نبيه نوح ما قصه في كتابه

"وأوحي إلي نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون "(هود، رقم ٣٦)

فدعا نوح علي قومه: " ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون " (الصافات رقم ٧٥)

حتى ما تحمله أرحامهم إن قدر لهم الخروج إلي الدنيا، لا يسوئنك فإن النصر قريب والنبأ عجب عجيب. وهنا دعا علي قومه: "وقال نوح رب لا تذر علي الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً "(نوح ٢٦ – ٢٧)

وقال تعالي: " ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون * فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم " [هود، الآيات رقم ٣٨ – ٣٩)

قال العلامة الألوسي رحمه الله: استهزوا به لعمله السفينة وإما لأنهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها، فتعجبوا من ذلك، وسخروا منه، وإما لأنه عليه السلام كان يصنعها في بريه بعيده عن الماء وكانوا يتضاحكون، ويقولون: يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً. قال: إن تسخروا منا لهذا العمل ومباشرة أسباب الخلاص من العذاب فإنا نسخر منكم لما أنتم فيه من الإعراض. إنها منه ـ عليه السلام لما كانت لجزائهم من جنس صنيعهم لم تقبح.

وقال ابن جريج: إن تسخروا منا في الدنيا فإنا نسخر منكم في الدنيا والآخرة في الدنيا عند الغرق وفي الآخرة عند الحرق.



وقال الشيخ محمد رشيد رضا: (نسخر منكم اليوم لجهلكم وغداً لما يحل عليكم، فإن كنتم لا تعلمون اليوم بما نعمل، وبما سيكون من عاقبة أمرنا، فسوف تعلمون بعد تمامه من يأتيه عذاب يذله، ويجلب له العار والتبار في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم بعد ذلك في الآخرة اليوم لكم فرح وغداً ترح، اليوم حبرة وغداً عبرة، اليوم لطف وغداً أسف، اليوم لقاء وغداً بكاء، اليوم ينكشف المستور عن المخدور!

يقول الشيخ الشنقيطي: (لما يئس منهم بعد ألف سنة إلا خمسين عاماً، وأصبحوا لم يلدون. إلا فاجراً كفارا، فلزم تطهير الأرض منهم، ولا يصلح لذلك إلا الطوفان. (أضواء البيان (٤/٤٤٢))

وقال الشيخ سيد قطب: قد ألهم قلب نوح ان الأرض تحتاج إلي غسل يطهر وجهها من الشر العارم الخالص، الذي انتهي القوم في زمانه ومن أجل هذا استجاب الله دعوته، فغسل وجه الأرض من ذلك الشر وجرف العواثير التي لا تجرفها إلا قوة الجبار القدير " وقيل بعداً للقوم الظالمين " [هود، الآية رقم ٤٤)

بُعداً لهم من الحياة فقد ذهبوا، وبعداً لهم من رحمه الله فقد لُعنوا وبُعداً لهم من الذاكرة فقد انتهوا وما عادوا يستحقون ذكراً ولا ذكري. " وقيل يا أرض أبلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت علي الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين "[هود، الآية رقم ٤٤)

قال ابن كثير:

الجودي: قال مجاهد: هو جبل بالجزيرة، تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت، وتواضع هو لله عز وجل، فلم يغرق، وأرست عليه سفينة نوح.

قال القرطبي: يذكر الله مصرع هؤلاء الملاعين بآية بلغت من مراتب الإعجاز أقاصيها واستذلت مصاقع العرب فسفعت بنواحيها، وجمعت من المحاسن ما يضيق عنها نطاق البيان، وكانت من سمهري البلاغة مكان السنان، عذبة علي العذبات سلسلة علي الأسلات المؤمنة.

لطيفه:

لما عم أهل الأرض العمي عما خُلقوا له، بُعث نوح بجلاء أبصار البصائر فمكث يداويهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فكلهم عن المحجة تعامي، فلاح للأحي عدم فلاحهم، وناله اليأس من صلاحهم، وبعث شكاية الأذي في مسطور: " رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ما له وولده إلا خساراً " [نوح، الآية رقم ٢١)

فأذن مؤذن الطرد: " أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن "[هود،رقم ٣٦) فقام نوح في محراب: " لا تذر علي الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً "[نوح، الآيات ٢٦- ٢٧)

فات النور "وفارت التنور " [هود، الآية ٤٠)

وقيل: يا نوح قد حان الحين(احمل فيها من كل زوجين اثنين)[هود رقم ٤٠)



" ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقي الماء علي أمراً قد قُدر" (القمر، الآيات ١١ – ١٢)

أتي الماء في موج كالجبال يغسل ويطهر الأرض من جبال الخطايا ودنس الشرك.

ثانيا: قصـــة عـــاد

كانوا عرباً يسكنون الأحقاف وهي جبال الرمل وكانت باليمن بين عمان وحضرموت وكانوا يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام كما قال تعالي " ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد "[الفجر، الآيات رقم ٦-٧)

وقال تعالي "وأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم وكانوا بآيتنا يجحدون "[فصلت، الآية رقم ١٥)

أرسل الله إليهم نبيه هوداً يدعوهم إلي عبادة الله وحده فلما أبوا إلا الكفر أهلكهم الله. قال ابن إسحاق: مبيناً كيفية هلاكهم لما أبوا إلا الكفر أمسك عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس إذا جهدهم أمر في ذلك الزمان طلبوا من الله الفرج. إنما يطلبونه منه بحرمه ومكان بيته وكان معروفاً عند أهل ذلك الزمان وبه العماليق مقيمون وكان سيد العماليق إذ ذاك رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أمه من قوم عاد واسمها جلهذا بنت الخبيري. قال فبعثت عاد وفداً قريباً من سبعين رجل ليستقوا لهم عند الحرم فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزولوا عليه فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم قينتان لمعاوية فلم طال مقامهم عنده واخذه شفقة علي قومهم واستحي منهم أن يأمرهم بالانصراف قال شعراً لمح فيه لهم بالانصراف فعند ذلك تنبه القوم لما جاءوا له فنهضوا إلي الحرم ودعوا لقومهم فدعا داعيهم وهو" قيل بن عنز" فأنشاء الله سحابات ثلاث بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه منادي من السماء: إختر لنفس ولقومك من هذه السحاب. قال: فاخترت السحابة السوداء فأنها أكثر السحاب ماءاً. فناده: إختر رماداً رمداً لا تبقي من عاد أحد لا ولدا تترك ولا ولداً إلا جعلته همداً إلا بني اللوديه الهمدا. قال: وهو بطن من عاد كانوا مقيمين بمكة فلم يصبهم ما أصاب قومهم، قال: وما بقي من أنسابهم وأعقابهم هم عاد الأخرة، وساق الله السحاب السوداء التي أختارها " قيل بن عنز " بما فيها من النقمة إلي عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال له: المغيث، فلما رواها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرونا " فلما راوه عارض مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطروناً بل هو ما استعجلتم به ريح فيه عذابُ أليم تدمر كل شئ بأمر ربه" [الأحقاف، الآيات ٢٤-٢٥)

أي كل شئ أمرت به فكان أول من أبصرهم وعرف أنها ريح فيما يذكرون امرأة من عاد يقال لها: فهد، فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت، فلما أفاقت قالوا ما رأيت يا فهد؟ قالت: رأيت ريحاً فيها كشهب النار أمامها رجال يقودنها. فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك قال: وأعتزل هود عليه السلام فيما ذكر لي، هو ومن معه من المؤمنين ما يصيبهم إلا ما يلين عليهم الجلود ويلذ الأنفس، وأنها لتمر علي عاد بالطعن فيما بين السماء والأرض. قال تعالي " وأما عاد فأهلكوا بريح صرصرا عاتية. (الحاقة: ٦)



لتناسب عتوعاد وجبروتها المحكي في القرآن " سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوم (الحاقة، الآية رقم ٧) كوامل متتابعات " فتري القوم فيها صرعي كأنهم أعجاز نخل خاوية[الحاقة، الآية رقم ٧ مصروعين مجدلين متناثرين كأنهم أعجاز نخل بجزوعها وأصلوها فارغة تأكلت أجوافها فأرتمت ساقطة علي الأرض وكانت الريح تجئ إلي أحدهم فتحمله فترفعه في الهواء ثم تنكسه علي أم رأسه فتشدخه فيبقي جثه بلا رأس قال: إن أرسلنا عليهم ريحاً صرصرافي يوم نحس مستمرتنزع الناس كأنهم أعجازنخل منقعر[القمر، الآيات رقم ١٩) وقال أيضاً " وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تزر من شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم " (الذاريات، الآيات ٤١ ــ ٤٢)

هذه الريح ما أنتجت خيراً وما نثرت سحاباً ولا لقحت شجراً. وقال ابن حجر في قوله " فهل تري لهم من باقية " [الحاقة، الآية رقم ٨)

قال البخاري: بقية ويحتمل أن يكون من الإضافة إلي الفاعل ويراد به القتل الشديد إشارة إلي أنهم موصوفون بالشدة والقوة. أ هـ

وفي الصحيحين عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن رسول (عليه الصلا والسلام) أنه قال: ((نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)) وعن علي موقوفاً فيما أخرجه أبي حاتم قال: لم ينزل الله شيئاً من الريح إلا يوزن علي يدي ملك إلا قوم عاد فأنه أذن لها دون الخزّان فعتت علي الخزان) (فتح الباري (٦/٤٣٤))

قال الحافظ في الفتح: كانت ديارهم أخصب البلاد وأكثرها جناناً فلم سخط الله جل وعلا عليهم جعلها مفاوز)

وعن أبي وائل عن رجل من ربيعه قال: (قدمت المدنية فدخلت علي رسول الله (عليه الصلاه والسلام) فذكرت عنده وافد عاد فقلت: أعوذ بالله أن أكون مثل وافد عاد. فقال رسول الله (صلي الله عليه ةسلم) وما وافد عاد؟ قال فقلت علي الخبير بها سقطت إن عاداً لما أقحطت بعثت "قيلا ً" فنزل علي بكر بن معاوية بن وائل فسقاه الخمر وغنته الجرادتان ثم خرج يريد جبال مهره، قال: اللهم إني لم آتك لمريض فأداوية ولا أسير فأفاديه فأسق عبداً ما كنت مسقية وأسقي معه بكر بن معاوية يشكر له الخمر الذي سقاه فرفع له سحابات فقيل له: اختر أحداهن فأختار السوداء منهن فقيل له: خذها رماداً رمدا لا تزر من عاد أحدا. وذكر أنه لم يرسل عليهم من الريح إلا قدر هذه الحلقة يعني حلقة الخاتم ثم قرأ:

" إنا أرسلنا عليهم الريح العقيم * ما تذر من شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم}(الذاريات: ٤١ ــ ٤٢)

قال ابن حجر في حديث (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) أي قتلا ً فلا يبقي منهم أحداً

لطيفة:

لمّا تجبر قوم عاد في ظل ظلل ضلالهم، حين أملي الأمل وطول البقاء، وزوي ذكر زوالهم، ومروا في مشارع عذاب الملاهي ناسين مَر عذابها، رافلين في حلل الغفلة عن الميته وآدابها، أقبل هود يهديهم، ويناديهم في ناديهم " اعبدوا الله " [الأعراف، ٦٥)



فبرزوا في عتو " من أشد منا قوة " [فصلت، ١٥)، فسحب سحاب العذاب ذيل الإدبار بإقباله إلي قبالهتم، فظنوه لما اعترض عارض مطر، فتهادوا تباشير البشارة، بتهادي بشارة " هذا عارض ممطرنا " [الأحقاف، ٢٤) فصاح بليل البلابل فبلبل " بل هو ما استعجلتم به " فكان كلما دنا وترامي تري ما كان كأن لم يكن فخطت شجرات مشاجرتهم هوداً، فجني من جني من جنا ما جني (من جني الثمر، ما جني من الجناية) في مغني " فما أغني عنهم سمعهم " [الأحقاف، ٢٦) فراحت ريح الدبور، لكي تسم الأدبار بكي الأدبار، فعجوا منها عجيج الأدبر. فلم تزل تكوي تكوينهم بميسم العدم وتلوي تلوينهم إلي حياض دم الندم. وتكفأ عليهم الرمال فتكفي تكفينهم وتبرزهم إلي البراز عن صون حصون كن يقيناً يقينهم (يمنعهم).

فإذا أصبحت أخذت تنزع في قوس " تنزع الناس " [القمر، ٢٠) وإذا أمست أوقعت عريضهم في عرض "كأنهم أعجاز نخل" [الحاقة، الآية رقم ٧) فما برحت بارحهم عن براحتهم حتى برحت بهم (الريح الحارة)، ولا أقلعت حتى قلعت قلوع (الشراع) قلاعهم، فدامت عليهم آفة وداء، لا تقبل فداء " سبع ليال وثمانية أيام حسوماً " [الحاقة، الآية ٧) فحسوا ما أذاقهم من سوء ما سوما، ونسفوا في قفز "ألابعداً " (الشراع) إلي يمٌ " وأتبعوا " (هود، الآية ٦٠) فلو عبرت في معبر الاعتبار، لتري ما آل إليه مآلهم لرأيت التُّوي (الهلاك) كيف التوي عليهم وكف ّالتوي كيف نوي الدنُّو إليهم، فانظر في عواقب الخلاف، فإنه شافٍ كافٍ (المدهش، ص ٧٧- ٧٨)

ثالثا: ثمـــود

وهم قوم نبي الله صالح عليه السلام وكانوا عرباً من العاربة، هم يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك، بعث الله فيهم رجلا ً منهم وهو صالح عبد الله ورسوله فدعاهم إلي عبادة الله وحده، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد، ولا يشركوا به شيئاً، فآمنت به طائفة منهم، وكفر جمهورهم، ونالوا منه بالمقال والفعال، وقد بلغت قلوبهم من الفساد والاستغلاق والانطماس درجة لا تستشعر بشاشة قول نبي الله صالح " قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب " [هود، الآية ٦٢) إنها للقاصمة! فكل شئ يا صالح إلا هذا! وما كنا لنتوقع أن تقولها! فيا لخيبة الرجاء فيك.

قال ابن كثير:

ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يوماً في ناديهم، فجاءهم رسول الله صالح (عليه السلام) فدعاهم إلي الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة ـ وأشاروا إلي صخرة هناك ناقة من صفتها كيت وكيت (قال ابن كثير (٤٣٦/٣) ناقلة عشراء تمخض أي يأخذها الطلق)وذكروا أوصافاً سموها ونعتوها وتعنتوا فيها وأن تكون طويلة من صفتها كذا وكذا فقال لهم النبي صالح (عليه السلام): أرأيتم إن أجبتكم إلي ما سألتم، علي الوجه الذي طلبتم أتأمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به؟ قالوا: نعم. فأخذ عهودهم ومواثيقهم علي ذلك ثم قام إلي مصلاه فصلي لله عز وجل ـ ما قدر له، ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلي ما طلبوا، فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفظر عن ناقة عظيمة عشراء، علي الوجه المطلوب الذي طلبوا،



أو علي الصفة التي نعتوا، فلما عاينوها كذلك رأوا أمراً عظيماً، ومنظراً هائلا ً وقدره باهرة ودليلا ً قاطعاً، وبرهاناً ساطعاً فآمن كثير منهم، واستمر أكثرهم علي كفرهم وضلالهم وعنادهم، ولهذا قال: "فظلموا بها " [الإسراء، الآية ٥٩)

وكان رئيس الذين آمنوا جندع بن عمرو، ودعا جندع ابن عمه شهاب بن خليفة، وكان من أشرافهم، فهم بالإسلام، فنهاه المشركون فمال إليهم، وفي هذا يقول رجل من المسلمين يقال له: مهرش بن غنمه بن الذميل ـ رحمه الله وقال لهم صالح (عليه السلام):

" هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب} هود: ٦٤.

فأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم ترعي حيث شاءت من أرضهم، وترد الماء يوماً بعد يوم، وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم، ويقال: إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم، ولهذا قال: " لها شرب ولكم شرب معلوم} الشعراء، الآية ١٥٥) وقال تعالي: "ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر " [القمر، ألآية ٢٨)

فلما طال عليهم الحال هذا اجتمع ملؤهم، واتفق رأيهم علي أن يعقروا الناقة ليستريحوا منها ويتوفر عليهم ماؤهم.

قال قتادة: بلغني أن الذي قتل الناقة طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها، حتى علي النساء في خدورهن وعلي الصبيان.

قال ابن كثير: وهذا هو الظاهر: لأن الله تعالي يقول: " فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها " [الشمس، الآية ١٤)

وقال: "وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها " [الإسراء، الآية ٥٩)، وقال(فعقروا الناقة) [الأعراف، ألآية ١٧) فأسند ذلك إلي مجموع القبيلة فدل علي رضي جميعهم بذلك، والله أعلم.

قال ابن كثير: ذكر الإمام ابن جرير رحمه الله وغيره من علماء التفسير في سبب قتل الناقة أن امرأة منهم، يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز، وتكني أم غنم كانت عجوزاً كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح (عليه السلام) وكانت لها بنات حسان ومال جزيل، وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود، وامرأة أخري يُقال لها: صدوف بنت المحيا بن دهر بن المحيا، ذات حسب وجمال، وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقته،فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدوف رجلا ً يقال له: الحباب وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة فأبي عليها، فدعت ابن عم يقال له: مصدع بن مهرج بن المحيا، فأجابها إلي ذلك. ودعت عنيزه بنت غنم قدار بن سالف بن جُندع وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً، يزعمون أنه ولد زني، وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه ـ وهو سالف ـ وإنما هو من رجل يقال له: صهياد، ولكن ولد علي فراش سالف، وقالت له: أعطيك أي بناتي شئت علي أن تعقر الناقة! فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستفزا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر، فساروا‌تسعة رهط وهم



الذين قال الله تعالي " وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) [النمل، الآية ٤٨) وكانوا رؤساء في قومهم، فاستما لوا القبيلة الكافرة، فطاوعتهم علي ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حيث صدرت عن الماء، وقد كمن لها قدار في أصل صخرة علي طريقها، وكمن لها مصدع في أصل أخري فمرت علي مصدع فرماها بسهم، فأنتظم به عضلة ساقها، وخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهاً لقدار وزمرته، فشد علي الناقة بالسيف، فكسف عرقوبها (أي قطعها) فخرت ساقطة إلي الأرض، ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها (أي ولد الناقة) ثم طعن في لبتها فنحرها وانطلق سقبها وهو فصيلها حتي أتي جبلاً منيعاً فصعد أعلي صخرة فيه ورغا ويقال: إنه رغا ثلاث مرات، وإنه دخل في صخرة فغاب فيها، ويقال: بل اتبعوه فعقروه مع أمه والله أعلم.

فلما فعلوا ذلك، وفرغوا من عقر الناقة بلغ الخبر صالحاً عليه السلام) فجاءهم وهم مجتمعون، فلما رأي الناقة بكي، وقال " تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ". [هود، الآية ٦٥)

وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء، فلما أمسي أولئك التسعة الرهط عزموا علي قتل صالح، وقالوا: إن كان صادقاً عجلناه قبلنا، وإن كان كاذباً ألحقناه بناقته: " قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون * ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون * فأنظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين " [النمل، الآيات ٥٠، ٥١)

فلما عزموا علي ذلك وتوطنوا عليه، وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله صالح، أرسل الله سبحانه وتعالي وله العزة ولرسوله ـ عليهم مجارة فرضختهم سلفاً وتعجيلا ً قبل قومهم وأصبحت ثمود يوم الخميس ـ وهو اليوم الأول من أيام النظرة ـ ووجوهم مصفره كما وعدهم صالح (عليه السلام). وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ـ ووجوهم محمرة، وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام التاجيل وهو يوم السبت ـ ووجوهم مسودة. فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه، عياذاً بالله من ذلك، لا يدرون ماذا يفعل بهم، ولا كيف يأتيهم العذاب، وأشرقت الشمس، فجاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأوراح وزهقت الأنفس في ساعة واحدة " فأصبحوا في دارهم جاثمين " [الأعراف، ألآية ٧٨) صرعي لا أرواح فيهم، ولم يفلت منهم أحد، لا صغير ولا كبير، ولا ذكر ولا أنثي ـ قالوا: إلا جارية كانت مقعدة واسمها كلبه ابنه السُلق ويقال لها الذريقة وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح (عليه السلام) فلما رأت ما رأت من العذاب أطلقت رجلاها فقامت تسعي كأسرع شئ، فأتت حياً من الأحياء، فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها، ثم استسقتهم من الماء، فلما شربت ماتت.

وفي مسند أحمد عن جابر قال: ((لما مر رسول الله (عليه الصلاه والسلام) بالحجر قال: ألا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح، فكانت ـ يعني الناقة ـ ترد هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله من كان تحت أديم السماء منهم، إلا رجلا ً واحداً كان في حرم



الله، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: أبو رغال، فلمّا خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه)" رواه أحمد والحاكم بإسناد حسن "

عن عمار بن ياسر عن رسول الله عليه السلام): ألا أحدثكم بأشقي الناس رجلين أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي علي هذه حتى يبل منها هذه " رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني "

رابعا: قوم إبراهيم

يقص الله تعالي ما كان بين إبراهيم وقومه بعد علمهم بتكسيره كبير أصنامهم: قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين* قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً علي إبراهيم *وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين"الأنبياء، الآية ٦٨- ٧٠)

وقال تعالي: " قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين " [الصافات، الاية ٩٨)

وقال ابن كثير ـ رحمه الله: شرعوا يجمعون حطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن فمكثوا مدة يجمعون له حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطباً لحريق إبراهيم ثم عمدوا إلي جوبة (أي حفرة) عظيمة فوضعوا فيها الحطب وأطلقوا فيه النار فاضطرمت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله قط. ثم وضعوا إبراهيم (عليه السلام) في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد يقال له: هزن فماذا كان جزاؤه؟

قال الألوسي: أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: تلوت هذه الآية علي عبد الله بن عمر فقال: أتدري يا مجاهد من الذي أشار بتحريق إبراهيم (عليه السلام) بالنار؟ قلت: لا قال: رجل من أعراب فارس يعني: الأكراد ونص علي أنه من الأكراد ابن عطية وذكر أن الله تعالي خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلي يوم القيامة، واسمه علي ما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن شعيب الجبائي: هيون.

وقال ابن كثير: وجعلوا إبراهيم في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد.

قال شعيب الجبائي: اسمه هيزن فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلي يوم القيامة.

وهكذا انتقم الله منه: أراد وضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق ليرفعه إلي أعلي ويهوي به إلي أسفل جزاءً وفاقاً. فأرسل الله تعالي عنقاً من النار فأحرقه.

وانظر رحمك الله كيف يبدو لك بجلاء انتقام الله ممن عصاه وما تفعله الذنوب بأصحابها:

" فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين"

قال العلامة القمي: أججوا ناراً عظيمة وبنوا بناء عالياً ورفعوه إليه ورموا به إلي أسفل فرفعه الله وجعلهم في الدنيا من السافلين وفي العقبي من السافلين.



قال ابن كثير: قوله تعالي: " وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين(الأنبياء، ٧٠) أي: المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا بنبي الله كيداً فكادهم الله ونجاة من النار فغلبوا هنالك.

وقال الألوسي: فأرادوا به كيداً بسوء احتىال فإنه عليه السلام لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم: "فجعلناهم الأسفلين" الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهاناً ظاهراً ظهور نار القري ليلا ً علي علم علي علو شأنه (عليه السلام) حيث جعل سبحانه النار عليه برداً وسلاماً.

خامسا: قوم لوط

وقوم لوط هولاء هم سكان مدينة سدوم وما حولها من القري بالأردن بطريق الشام مكان البحر الميت الآن وكانوا أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم طوية وأرداهم سريرة وسيرة يقطعون السبيل و يأتون في ناديهم المنكر ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي إتيان الذكران من العالمين وترك ما خلق الله من النسوان لعباده الصالحين فدعاهم لوط إلي عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات والأفاعيل المستقبحات فتمادوا في ضلالهم وطغيانهم واستمروا علي فجورهم وكفرانهم فأحل الله بهم من البأس الذي لا يرد ما لم يكن في خلدهم وحسبانهم وجعلهم مثله في العالمين وعبرة يتعظ بها اولي ألالباب من العالمين ولهذا ذكر الله تعالي قصتهم في غير ما موضع من كتابة المبين فقال تعالي: "ولوطا إذ قال لقومة أتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون * وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون * فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ". الأعراف، ألآيات ٨٠ – ٨٤)

وقال تعالي: " فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون * قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وإنا لصادقون * فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وأمضوا حيث تؤمرون * وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين "إلي أن قال تعالي: فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن في ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم " [الحجر، الآيات ٦١ – ٦٦)

وقال تعالي: " إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر * ولقدأنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر * ولقد راوده عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر * ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر " [القمر، الآيات ٣٤ – ٣٩)

لنقف مع هؤلاء القوم وتصوير القرآن لجرمهم وقفة. قال المفسرون: لما فصلت الملائكة من عند إبراهيم: جبريل وميكائيل وإسرافيل أقبلوا حتى أتوا أرض سدوم في صور شبان حسان اختباراً من الله تعالي لقوم لوط وإقامة للحجة عليهم فاستضافوا لوطاً



(عليه السلام) وذلك عند غروب الشمس فخشي إن لم يضيفهم يضيفهم غيره وحسبهم بشراً من الناس "سيئ بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب ". [هود، الآية ٧٧)

قال ابن عباس ومجاهد وقتاده ومحمد بن إسحاق: شديد بلاؤه وذلك لما نعلم من مدافعته الليلة عنهم كما كان يصنع بهم في غيرهم وكانوا قد اشترطوا عليه ألا يضيف أحداً ولكن رأي من لا يمكن المحيد عنه.

وذكر قتاده: أنهم وردوا عليه وهو في أرض له يعمل فيها فتضيفوا فاستحي منهم وانطلق أمامهم وجعل يعرض لهم في الكلام لعلهم ينصرفون عن هذه القرية وينزلون في غيرها فقال لهم فيما قال: (يا هؤلاء ما أعلم علي وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء ثم مشي قليلاً ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرره أربع مرات قال: وكانوا قد أمروا ألا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك.

وأنظر كيف يصور القرآن الكريم مجئ الظالمين إلي بيت نبيهم لوط قال تعالي: " وجاء أهل المدينة يستبشرون" [الحجر، الآية ٦٧) لقد تسامعوا أن في بيت لوط شباباً صباح الوجوه ففرحوا بأن هناك صيدا والتعبير عن هذا النحو يكشف مدي الشناعة والبشاعة التي وصل إليها القوم في الدنس والفجور في الفاحشة الشاذة المريضة يكشف عن هذا المدي في مشهد أهل المدينة يجيئون جماعة يستبشرون بالعثور علي شبان يعتدون عليهم جهرة وعلانية هذه العلانية الفاضحة في طلب هذا المنكر فوق المنكر شئ بشع لا يكاد الخيال يتصور وقوعه لولا أنه وقع فقد يشذ فرد مريض فيتواري بشذوذه أو يتخفي بمرضه ويحاول الحصول علي لذته المستقذرة في الخفاء وهو يخجل أن يطلع عليه الناس وإن الفطره السليمة لتتخفي بهذه اللذة حين تكون طبيعية بل حين تكون شرعية وبعض أنواع الحيوان يتخفي بها كذلك بينما أولئك القوم المنحوسون يجاهرون بها ويتجمهرون لتحصيلها ويستبشرون جماعات وهم يتلظون عليها؟إنها حالة من الإرتكاس معدومة النظير.

وفي موقف آخر يقول الله تعالي: " وجاءه قومه يهرعون إليه " (هود، ٧٨) رأي لوط ما يشبه الحمي في أجساد المندفعين إلي داره يهددونه في ضيفه وكرامته، قال تعالي: " ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راوده عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر" [القمر، الآية ٣٦) بلغ بهم الفجور والاستهتار أن يراودوه هو نفسه عن ضيفه من الملائكة قد حسبوهم غلماناً صباحاً فهاج سعارهم الشاذ الملوث القذر وساوروا لوطاً يريدون الاعتداء المنكر علي ضيوفه غير محتشمين ولا متحرجين من انتهاك حرمة نبيهم الذي أنذرهم عاقبة هذا الشذوذ القذر المريض.

ولقد حاول نبي الله لوط أن يوقظ فيهم الفطره السليمة ويوجههم إلي الجنس الآخر الذي خلقه الله للرجال: " قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم " [هود، ٧٨) يرشدهم إلي غشيان نسائهم وهن بناته شرعاً لأن النبي للأمة بمنزلة الوالد وهو الذي نص عليه مجاهد وسعيد بن جبير والربيع بن أنس ومحمد بن إسحاق وقتاده وهو الصواب أطهر بكل معاني الطهر: النفس و الحس فهن يلبين الفطرة النظيفة ويثرن مشاعر كذلك نظيفه: نظافة فطرية ونظافة أخلاقية ودينية ثم هن أطهر حسياً حيث جعلها الله بقدرته للحياة الناشئة مكمنا كذلك ظاهراً نظيفاً.



" فاتقوا الله ولا تخزونٌ في ضيفي " قالها يلتمس نخوتهم وتقاليد البدو في إكرام الضيف وقف يستثير النخوة الآدمية فيهم وهو يعلم أن هذه النفوس المرتكسه المطموسة لم تعد فيها نخوة ولا شعور إنساني يستجاش ولكنه في كربة وشدته يحاول ما يستطيع.

" أليس منكم رجل رشيد "[هود، الآية ٧٨) فالقضية قضية رشد وسفه إلي جوار أنها قضية فطرة ودين ومروءة ولكن هذا كله لم يلمس الفطرة المنحرفة المريضة ولا القلوب الميتة الآسنة ولا العقول المريضة المأفونة وظلت الفورة المريضة في إندفاعها المحموم.

وبدلاً من أن يثير هذا في نفوسهم رواسب المروءة والحياء إذا هم يتبجحون فيؤنبون لوطاً علي استضافة الرجال كأنما هو الجاني الذي هيأ لهم أسباب الجريمة ودفعهم إليها وهم لا يملكون له دفاعاً!!

" قالوا أولم ننهك عن العالمين". [الحجر، الآية ٧٠)

" قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد " [هود، الآية ٧٩) وهي إشارة خبيثة إلي العمل الخبيث وأسقط في يد لوط وأحس ضعفه وهو غريب بين القوم نازح إليهم من بعيد لا عشيرة له تحميه " قال لو أن لي بكم قوة أو أوي إلي ركن شديد " [هود، الآية ٨٠) وغاب عن لوط في كربته و شدته أنه يأوي إلي ركن شديد ركن الله الذي لا يتخلي عن أوليائه كما قال رسول الله (عليه السلام): (رحمة الله علي لوط لقد كان يأوي إلي ركن شديد) قال ابن كثير في ذكر المفسرون وغيرهم أن البني لوط (عليه السلام) جعل يمانع قومه الدخول ويدفعهم والباب مغلقاً وهم يرومون فتحه وولوجه وهو يعظهم وينهاهم من وراء الباب وذكروا أن جبريل (عليه السلام) خرج عليهم فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطمست أعينهم حتى قال: إنها غارت بالكلية. ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر فرجعوا يتحسسون الحيطان ويتوعدون رسول الرحمن ويقولون إذا كان الغد كان لنا وله شأن فتقدمت الملائكة إلي لوط أمرين له بأن يسري هو وأهله من أخر الليل ولا يلتفت منكم أحد عند سماع صوت العذاب إذا حل بقومه إلا امرأتك سيصيبها ما أصابهم. فلما جاء الأوان اقتلعهن جبريل بطرف جناحه من قرارهن وكن سبع مدن بمن فيهن من الأمم فقالوا: إنهم كانوا أربعمائة نسمة، وقيل: أربعة الآف نسمة وما معهم من الحيوانات وما يتبع تلك المدن من الأراضي والأماكن والمعتملات فرفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها " وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل " [الحجر، الآية ٧٤) وهو الشديد الصلب القوي " منضود " [هود، الآية ٨٢)أي يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم من السماء " مسومة " يعني معلومة مكتوب علي كل حجر اسم صاحبه الذي يهبط عليه فيدمغه لما قلبوا الفطرة قلب الله قرارهم " فجعلنا عاليها سافلها ". [هود، الآية ٨٢)

يقول الشنقيطي: قوم لوط لكونهم قلبوا الأوضاع بإتيان الذكور دون الإناث قلب الله عليهم قراهم.



قال تعالي: " والمؤتفكة أهوي " [النجم، الآية ٥٣). يعني المنقلبة أهوي بها منكسة عاليها سافلها، " وجعلنا عاليها سافلها ".

يقول الشيخ سيد قطب: هي صورة للتدمير الكامل الذي يقلب كل شئ ويغير المعالم ويمحوها وهذا القلب وجعل عاليها سافلها أشبه شئ بتلك الفطرة المقلوبة الهابطة المرتكسة من قمة الإنسان إلي درك الحيوان بل أحط من الحيوان فالحيوان واقف ملتزم عند فطرة الحيوان. " وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ". [النمل، ٥٨)

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله: (ولكننا نلمح في اختيار هلاك قوم لوط بالمطر وهو الماء المهين المنبت أنه مماثل لاستخدامهم ماء الحياة ماء النطف في غير ما جعل له وهو أن يكون مادة حياة وخصب والله أعلم بقوله ومراده وأعلم بسننه وتدبيره إن هو إلا رأي أراه في هذا التدبير.

وقال تعالي: " وأمطرنا عليها حجارة من سجيل "(حجارة ملوثة بالطين وهي كذلك مناسبة وعلي قدر المقام). "منضود " متراكم متتابع مثل تتابعهم علي بيت لوط، " مسومة عند ربك " كما تسوم الماشية أي تربي وتطلق بكثرة فكأنما هذه الحجارة مرباة ومطلقة لتنمو وتتكاثر لوقت الحاجة.

قال الشنقيطي: السجيل هو الطين الشديد القوي يصدق ذلك: " لنرسل عليهم حجارة من طين "[الذاريات، الآية ٣٣)

وقال الراغبي: حجر وطين مختلط.

يقول ابن كثير: جعل الله مكان تلك البلاد بحيرة منتنه لا ينتفع بمائها ولا بما حولها من الأراضي المتاخمة لفنائها لرداءتها ودناءتها فصارت عبرة ومثلة وعظة وآية علي قدرة الله تعالي وعظمته وعزته في انتقامة ممن خالف أمره وكذب رسله واتبع هواه وعصي مولاه وهذه نهاية العصاه المقترفين للذنوب.

سادسا: قوم مدين

كان أهل مدين عرباً يسكنون مدين في أطراف الشام وهم مدين بن مديان بن إبراهيم (عليه السلام)ويقال إنه أمن بإبراهيم يوم الحرق وهاجر معه إلي الشام فزوجه ابنه لوط فكان أهل مدين يقطعون الطريق ويعبدون الأيكة وهي شجرة حولها غيضه ملتفة بها يبخثون المكيال والميزان ويطفوفون فيها فأرسل الله إليهم شعيب لينهاهم عن ذلك وعن قطعهم الطريق لأنهم كانوا يأخذون عشر المال من المارة، قال تعالي: " وإلي مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخثوا الناس أشيائهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين "[الأعراف: ٨٥) فلم يستجيبوا لطلبه وتبجحوا وقالوا " لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنا في ملتنا " [الأعراف، الآية ٨٨)، فما كانت النتيجة لما عصوا الله وبارزوا الله بالمعاصي انتقم منهم شر انتقام وسلط عليهم أنواع من العقوبات وصنوفاً من المثلات وأشكالا ً من الباليات و ذلك لما اتصف به من قبيح الصفات سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات وظله أرسل عليهم منه شرر النار في سائر أرجائها والجهات.



قال قتاده: قال عبد الله بن عمر (إن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى ما يظلهم منه شئ ثم أن الله أنشأ سحابة فأنطلق إليها أحدهم واستظل بها فأصاب تحتها برداً وراحة فأعلم بذلك قومه فأتوها جميعها فاستظلوا تحتها فأججت ناراً وهكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتاده.

وقال محمد بن كعب القرظي: إن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب (أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا أن يدخلوا إلي البيوت فتسقط عليهم فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال: ما رأيت كاليوم ظلاً أطيب ولا أبرد من هذا هلموا أيها الناس فدخلوا جميعاً تحت الظلة فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا جميعاً ثم تلا محمد بن كعب: " فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ").

وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: بعث الله عليهم ومدة وحراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا البيوت فدخل عليهم أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هراباً إلي البرية فبعث الله سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها برداً ولذة فنادي بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسلها الله علي الناس، قال ابن عباس: فذلك "عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ".

سابعا: هلاك بني إسرائيل

أرسل الله موسي (عليه السلام)إلي فرعون عليه لعنة الله فاتهم موسي بالسحر وأحضر له السحرة لكي يهزموا موسي وهارون فنصر الله موسي ودحر فرعون الذي انتقم من السحرة واتهمهم بالاتفاق مع موسي (عليه السلام) ولم يزل موسي (عليه السلام) يدعو إلي الله. قال تعالي " فما آمن لموسي إلا ذرية من قومع علي خوف من فرعون وملائه أن يفتنهم إن فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن المسرفين ". [يونس، الآية ٣٣)

قيل لم يؤمن منهم إلا ثلاثه (امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون شمعان الرجل الناصح الذي جاء من أقصا المدينة يسعي غير السحرة) فأمرهم موسي بالخروج إلي الشام فخرجوا ليلاً فلما علم فرعون بالأمر ركب في جفورة طالباً موسي ومن آمن معه في جيش عظيم ولحق بموسي وقومه من المؤمنين فقال أصحاب موسي إنا لمدركون فقال موسي: " كلا إن معي ربي سيهدين ". ونظر إلي البحر وهو يتلاقي الأمواج ثم قال ها هنا أمرت وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وعند ذلك أوحي الله إلي موسي " أن اضرب بعصاك البحر " فلما ضربه انفلق بأذن الله فقال فرعون: انظروا عبيدي الآبقين من يدي الخارجين عن طاعتي وبلدي واقتحم البحر فعاد البحر كما هو وأشرف الذي قال " أليس لي ملك مصري وهذه الأنهار تجري من تحتى " علي الغرق. أجري الله الأنهار من فوقه ولما أدركه الغرق قال: " آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل ". فأخذ جبريل من طين البحر فدثه في فيه ونجي الله بدنه فقط ليكون لمن بعده آية وحتى لا يظن أتباعه أنه نجي من الغرق. قال تعالي " وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية " نجاهم الله من فرعون وعبروا البحر إلي الشام وبعد



النجاة وإذ بموسي يهب لمناجاة ربه ويغيب عن بني إسرائيل أربعين يوماً فيعود إليهم فيجدهم قد عبدوا العجل الذي أعده لهم السامري من الحلي وألقي فيه قبضة من التراب أخذه من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون فلما ألقاه فيه خار كما يخور الثور وقال لبني إسرائيل هذا إلهكم وإله موسي فنسي أي نسي موسي ربه عندنا وذهب يطلبه وهو ها هنا فتعالي الله عما يقول وقد حذرهم هارون من عبادتهم ولكنهم لم يرتجعوا ثم أقبل سيدنا موسي علي السامري وعنفه علي ذلك كثيراً وكان جزاء السامري

" قال فأذهب فإن لك في الحياة أن تكون لا مساس " وهذا دعاء عليه ألا يمس أحد وهذا عقاب الدنيا، وإن لك في الآخرة موعداً. وحرق سيدنا موسي العجل بالنار. قال تعالي " إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ".

قال ابن كثير في قصص الأنبياء:

يقال إنهم أصبحوا يوماً وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف وألقي الله عليهم ضباب حتى لا يعرف القريب قريبه والنسيب نسيبه فمالوا عليهم أي علي الذين عبدوا العجل فقتلوهم وذبحوهم، يقال أنهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين ألف.

قال ابن إسحاق: قد اختار موسي من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخَير فالخَير وقال انطلقوا إلي الله فتوبوا إليه بما صنعتم وسألوه التوبة علي ما تركتم صوموا وتطهروا وخرج بهم إلي طور سيناء لميقات وقته له ربه فلما دنا موسي من الجبل ضرب عنه الحجاب فسمعوا وهو يكلم ربه يأمره وينهاه فلما فرغ قال السبعون: يا موسي لن نؤمن لك حتى نري الله جهراً فأخذتهم الرجفة أي الصعقة فماتوا جميعاً. فقام موسي يناشد ربه اتهلكنا بما فعل السفهاء منا أي الذين عبدوا العجل فرفع الله عنهم العذاب.

قصة أصحاب القرية:

وها هم أهل القرية من بني إسرائيل لما أصروا علي المعاصي أرسل الله إليهم رسولين لكي يدعوهم إلي عبادة الله ونبذ ما سواه فكذبوهما فقال الرسل ولم التكذيب، ونحن رسل الله، قالوا: ما أنتم إلا بشراً مثلنا لو كنتم رسلاً لكنتم ملائكة إنا تشاءمنا منكم ونتوقع الشر في دعوتكم، فإن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم أي لنقتلنكم شر قتله، وهنا عزز الله برسول ثالث من أقصي المدنية لينصر الرسل ولكن قومه أبوا بل ووثبوا عليه وقتلوه قتله فظيعة منزوعة الرحمة وذلك بأن ظلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول اللهم أهدي قومي فإنهم لا يعلمون فلم يزل يقولها حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

قال ابن مسعود: إنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرجت أمعاؤه من دبره وقال الله له بعد موته: أدخل الجنة فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها وقال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين.

وقال ابن عباس: (نصح قومه حياً وميتاً). فلما عصوا وبارزوا الله بالذنوب قال:

" إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون " [يسن، الآية ٢٩)



بعث الله عليهم جبريل (عليه السلام) فأخذ بعضادتي الباب الذي لبلادهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون أي قد أخمدت أصواتهم وأسكنت حركاتهم ولم يبقي منهم عيناً تطرف ولا روح تتردد في جسد " وما ربك بظلام للعبيد ". قال تعالي " واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * إذا أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم لمرسلون * قالوا ما أنتم إلا بشراً مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين * قالوا إن تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون * وجاء من أقصا المدينة رجل يسعي قال يقوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون * ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون *ءأتخذ من دونه ألهه إن يردن الرحمن بضرٍ لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون * إني إذا لفي ضلال مبين * إن آمنت بربكم فاسمعون * قيل أدخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين " [يسن: الآيات ١٢ – ٢٧]

قصتهم مع نبي الله إلياس (عليه السلام):

قال تعالي: " وإن إلياس لمن المرسلين * إذ قال لقومه ألا تتقون * أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين * فكذبوه فإنهم لمحضرون " [الصافات، الآيات ١٢٣ - ١٢٧)

إلياس (عليه السلام) نبي أرسله الله إلي بني إسرائيل عندما ضلوا في بعلبك غرب دمشق فدعاهم إلي عبادة الله وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه (بعلا) وقيل كانت امرأة اسمها بعل والله أعلم.

فكذبوه وأرادوا قتله فيقال أنه هرب منهم واختفي عنهم - قال كعب الأحبار: إن إلياس اختفي عن ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين حتى أهلك الله الملك وولي غيره فأتاه إلياس فعرض عليه الإسلام وأسلم من قومه خلق عظيم غير عشرة الآف منهم فأمر بهم فقتلوا عن أخرهم.

قصتهم مع حزقيل (عليه السلام):

قال تعالي " ألم تر إلي الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال الله لهم موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضلاً علي الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ". [البقرة، الآية ٢٤٣)

قال ابن كثير:

ظهر وباء ففروا منه ونزلوا بصعيدا من الأرض فقال لهم الله موتوا فماتوا جميعاً فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فمضت عليهم دهور طويلة فمر بهم حزقيل (عليه السلام) فوقف عليهم متفكراً فقيل له أتحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر فقال: نعم، فأمر أن يدعو تلك العظام أن تكتس لحماً وإن يتصل العصب بعضه ببعض فناداهم عند أمر الله له بذلك، فقام القوم أجمعون وكبروا تكبيرة رجل واحد، وكان يقال لهذه القرية داوردان (قصص الأنبياء لابن كثير)



قصتهم مع نبي الله يحي بن زكريا وزكريا (عليهما السلام):

إزدادوا في الفحش والضلال حتى إنهم كانوا يقتلون الأنبياء ثم طردوا من القدس علي يد ملك ظالم ملك الدنيا بختنصر نظر بعض أنبيناء بني إسرائيل إلي ما يصنع بهم بختنصر من التنكيل والتشريد فقال النبي بما كسبت أيدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا وقال بختنصر لدنيال: ما الذي سلطني علي قومك قال عظم خطيئتك وظلم قومي أنفسهم وكان بختنصر من العماليق هزم اليهود وأخذ التابوت من بني إسرائيل ودمر المسجد الأقصي حتى أعاد بناؤه سليمان (عليه السلام) واستمر معهم نبيهم سليمان حتى مات وخلفه أنبياء منهم يحيي (عليه السلام) ولننظر ماذا فعلوا معه كان في زمانة ملك فاجر طاغية أراد أن يتزوج بابنه أخيه البغي الزانية وأرادت هي ذلك حتى ترث الملك وكانت أمها تحرضها وأرادوا من نبي الله يحي أن يستثنيهم من هذه القاعدة التي تحرم علي الإنسان أن يتزوج ابنه أخيه ولكن يحيي خطب في الناس وأفتي بتحريم زواج البنت من عمها فغضب الملك والبنت وفي ليلة من لياليهم المحرمة أخذت تغني للملك وترقص له فأرادها لنفسه فأبت إلا أن يتزوجها قال: كيف ويحيي قد نهي قالت: مهري أن تأيني برأس يحيي فأمر في جيشه قال ائتوني برأس يحيي فذهب الجنود ودخلوا علي يحيي المحراب وقتلوه وقطعوا رأسه وجاءوا بها علي صحن إلي الملك فدفعه إلي البغي وقدمه إلي الزانية فكان انتقام الله من هذه المرأة كما قال ابن كثير عن الحافظ ابن عساكر في (المستقصي في فضائل الأقصى) عندما أتاها الطبق وعليه رأس يحيي حملته علي رأسها وأتت به أمها فلما تمثلت بين يدي أمها خسف بها إلي قدمها ثم إلي حقويها وجعلت أمها تولول والجواري يصرخن ويلطمن وجوههن ثم خسف بها إلي منكبيها فأمرت أمها السياف أن يضرب عنقها لتتسلي برأسها ففعل فلفظت الأرض جثتها عند ذلك. وقعوا في الذل والفناء ولم يزل دم يحيي يفور حتى قدم بخت نصر فقتل عليه خمسة وسبعين ألفا.

وقتلوا أيضا نبي الله زكريا والد يحيي (عليهما السلام). قال ابن المبارك فقد زكريا ابنه يحي ثلاثة أيام فخرج يلتمسه في البرية وأخذ يبحث عن ولده فعلم أنه مات فخرجوا في طلب زكريا عليه السلام فهرب منهم وإبليس أمامه يدلهم عليه فعرضت لزكريا شجرة وانصدعت فدخل فيها فجاء إبليس وأخذ بطرف ردائه والتئمت الشجرة وبقي طرف ردائه خارجاً من الشجرة وجاء بنو إسرائيل فقال إبليس أما رأيتموه دخل الشجرة هذا طرف ردائه فاشقوا الشجرة بالمنشار وقتلوه فيها؟ ولم يزالوا يفعلوا بأنبيائهم من التنكيل والتعذيب حتى وصلوا إلي نبي الله عيسي وهموا بقتله ولكن الله رفعه إليه ومكثوا علي غيهم وغشهم وخداعهم وقبح سريرتهم حتى بعث الله رسوله محمد (صلي الله عليه وسلم) واخذوا يناصبونه العداء ويحرضون عليه الكفار تارة ويحاولون اغتياله أخري ويتهمون زوجته بالزني ويشعلوا نار الوقيعة بين المسلمين حتى طردهم الرسول من الجزيرة ولم يجتمعوا إلا عند ما هدمنا الإسلام وبارزنا الله بالمعاصي وضيعنا دولة الإسلام التي أصبحت ميراثاً مباحاً لغير المسلمين.

قصة أصحاب السبت:



قال تعالى: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ }[الأعراف: ١٦٣]

قال ابن كثير: قال ابن عباس ومجاهد هم أهل أيله وكانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان فكانت الحيتان قد ألفت منهم السكينة في مثل هذا اليوم وذلك أنهم كانوا يحرم عليهم الاصطياد فيه وكذلك جميع البضائع والتجارة والمكاسب فكانت الحيتان في مثل يوم السبت يكثر غشيانها لمحلتهم من البحر فتأتي من هنا هنا وهنا ظاهرة أمنه مسترسله فلا يهيجونها ولا يفزعونها " ويوم لا يسبتون لا تأتيهم " وذلك لأنهم كانوا يصطادون في ماعدا السبت قال تعالي " كذلك نبلوهم " أي نختبرهم بكثرة الحيتان يوم السبت بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المتقدم. أ. هـ

مرت الأيام وبنو إسرائيل علي عادتهم يقدسون يوم السبت ويفردونه بطاعة يتقربون بها أو لعبادة يسبحون الله فيها وتكاثرت أعقابهم وتوالت أيامهم وهم علي هذه الحالة مقيمون وفي قرية من قراهم علي شاطئ البحر الأحمر يقال لها آيلة. (مدينة علي ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام)

كان يسكنها قوم من سلالة بني إسرائيل في زمن داود (عليه السلام) وكان عليهم أن يلتزموا سنة أنبيائهم وأجدادهم فيسيروا علي عبادة الله في يوم السبت فكانوا لا يزاولون فيه عملا ً من أعمال دنياهم من صيد أو متاجرة. وكان علي ساحل البحر بجانب آيلة حجران أبيضان تخرج الحيتان إليهما ليلة السبت ويومه إذ قد أمنت أن تصاد فهي تأتي في هذا الزمن وتأمن فتتكاثر وتتزاحم والقوم حينئذ محرم عليهم أن يفزعوا صيداً أو يمارسوا في الدنيا عملا ً وإذا جاءوا ليلة الأحد تسربت الحيتان إلي البحر فانبعث إلي باطنه فتعذر علي القوم أن يصطادوها في أيام هي حلال لهم. تحركت دواعي الطمع وثارت عوامل الجشع في نفوس الفساق من أهل هذه القرية فغفلوا عن تعاليم أنبيائهم ونسوا حظاً مما ذكروا به فتشاوروا فيما بينهم وتبادلوا زمام الراي وقالوا ما بالنا نترك هذه الحيتان في يوم تكثر فيه وتزيد ثم نأتي إلي صيدها في أيام تحجم فيها وتدبر فلا سبيل لها إلا بمشقة وجهاد أننا بذلك لحائدون عن طريق الصواب.

قال صاحب الظلال فإذا جماعة منهم يحتلون الحيل ويثنون عهد ربهم وما لكثر حيل اليهود فلما رأوا ذلك احتالوا علي صيدها في يوم السبت بأن ينصبوا الحبال والشباك والشصرص وحفروا الحفر التي يجري معها الماء إلي مصائد قد اعدوها إذا دخلها السمك لا يستطع أن يخرج منها ففعلوا ذلك في يوم الجمعة فإذا جائت الحيتان يوم السبت علقت بهذه المصايد فإذا خرج سبتهم أخذوها فغضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا علي خلاف أمره وانتهكوا محارمه بالحيل الباطلة فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق اللذين لم يفعلوا فرقتين فرقة أنكروا عليهم صنيعهم وفرقة أخري لم يفعلوا ولم ينهوا بل أنكروا علي الذين نهوا وقالوا " لما تعظون قوماً الله مهلكم أو معذبهم عذاباً شديداً " فكانت العقوبة من الله قال فقال" فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون* فلما عوتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين" [الأعراف، الآيات ١٦٥، ١٦٦)



روي عثمان بن عطاء عن أبيه قال: نودي الذين اعتدوا في السبت ثلاثة أصوات نودوا يا أهل القرية فانتبهت طائفة أكثر من الأولي ثم نودوا يا أهل القرية فانتبهت الرجال والنساء والصبيان فقال الله لهم كونوا قرده خاسئين فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون يا فلان ألم ننهكم فيقولون برؤوسهم بلي، قال قتادة فصار القوم قردة تعاوي لها أذناب بعدما كانوا رجالاً ونساء، في رواية عن قتادة صار الشبان قرده والشيوخ خنازير وما نجي إلا الذين نهوا وهلك سائرهم، وقال غيره كان القوم سبعين ألفاً. حقا إن بطش ربك لشديد!!

يهود بني قريظة:

لما دخل الرسول المدينة عقد الصلح والمعاهدات مع اليهود ومنهم بني قريظة ولما جاء الأحزاب لحرب الرسول ذهب شيطان خيبر حيي بن أخطب إلي حصن بني قريظة قائلاً ويحك يا كعب افتح لي فقال له كعب وقد تمنع يا حيي إنك امرؤ مشئوم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبين محمد ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً فقال له حيي ويحك افتح لي أكلمك فقال ما أنا بفاعل فغاظ ذلك حييا فقال لكعب والله ما أغلقت دوني إلا تخوفاً علي حشيشتك أن أكل معك منها فخجل منه كعب ففتح له. فقال له حيي جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى جمع الاسيال وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه.

فقال كعب جئتني والله بذل الدهر وكل ما يخشي فإني لم أر في محمد إلا صدقاً ووفاء جئتني يا حيي بجهام قد هراق ماؤه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شئ ثم أردف كعب قائلاً ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه ومازال به حيي وبقومه يفتل في الذروة والغارب حتى أجابوه إلي ما طلب فوافقوا علي نقض العهد والغذر بالمسلمين والانضمام إلي جيش الأحزاب ولم يشذ إلا الزعيم القرظي عمرو بن سُعدي وقال والله لا أغدر بمحمد أبداً وبقي علي عهده وسانده ثلاثة من اليهود وأخذ كعب بن أسد الصحيفة ومزقها.

غدروا برسول الله وجيوش الأحزاب علي أبواب المدينة وهنا أوفد إليهم النبي وفداً من الأنصار فقال اليهود للوفد وقد تملكهم الغرور الآن جئتم تطلبون منا الوفاء بالعهد الذي بيننا وبين محمد وهو الذي كسر جناحنا وأخرج إخواننا بني النضير إذهبوا لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد من هو رسول الله هذا؟ فغضب الوفد بقيادة سعد بن عباده وسعد بن معاذ الذي فشل في إقناعهم ونالوا من رسول الله بألسنتهم وعادوا إلي الرسول وقالوا إن القوم قد غدروا وقد هزم الله الأحزاب وأجلاهم وحان وقت المحاسبة مع بني قريظة جاء جبريل لرسول الله قائلاً أو قد وضعت السلاح يا رسول الله قال: نعم فقال: جبريل ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم إن الله يأمرك بالمسير إلي بني قريظة فإني عائد إليهم فمزلزهم ونادي رسول الله من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة وعندما بلغ عمرو بن سعد انسحاب الأحزاب جاء إلي قومه بني قريظة ودعاهم إلي اجتماع عاجل حضره كل زعماء بني قريظة ووبخهم علي نقض العهد ونصحهم يا بني قريظة لقد رأيت عبراً رأيت دار إخواننا خالية بعد العز والشرف والرأس الفاضل تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل وأقسم لهم بالتوراة أنه لا يعادي أحد محمداً إلا كان مصيره الخذلان ثم دعاهم إلي الدخول في



الإسلام فرفضوا فعرض عليهم دفع الجزية فرفضوا وظهرت طلائع الجيش النبوي بقيادة علي ابن أبي طالب والذي أسمعوه من السب في الرسول ما لا يستطع كاتب أن يكتبه فانطلق علي مسرعا نحو الرسول ليستوقفه علي بعد من حصون اليهود حتى لا يسمع ما يتأذي به ثم واصل الرسول سيرة نحو الحصون حتى دنا منهم ونادي نفراً من قادتهم فلما ظهروا في أبراج حصونهم قال لهم يا إخوان القردة وعبدة الطاغوت هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته وهنا اسقط في أيدي اليهود فأنكروا أن يكونوا شتموه ونساءه وانطلقوا في ليونة الأفاعي يسمعون رسول الله من لين القول وطيب الكلام وجميل الأطراء ما ظنوا أنه سيساهم في تخفيف العقوبة فقالوا يا آبا القاسم ما كنت جهولا واشتد حصار المسلمين لليهود وطلبوا المفاوضة والسماح لهم بالخروج من يثرب مع نسائهم وذراريهم وما تقدر الإبل حمله من متاع سوي السلاح علي أن يتركوا بقية كل ما يملكون في يثرب للمسلمين ورفض طلبهم.

ولقد كان المسلمون المحاصرون لليهود في حالة تعب شديد نتيجة للجهد المضي الذي بذلوه في ليالي الخندق المخيفة التي تحالف فيها البلاء علي المسلمين وأحاطهم من كل جانب طيلة أكثر من خمس وعشرين ليلة حرموا فيها حتى من النوم لشدة الخوف ودوام الحراسة والمرابطة في وجه عدوهم المحاصر لهم والذي ما كان يترك لهم فرصة يستريحون فيها يضاف إلي ذلك المجاعة الشديدة والجو البارد النازل بالمسلمين بينما بنو قريظة يحتمون بحصونهم في مأمن من لفح البرد القارص موفوراً لديهم كل ما يحتاجون من الطعام لأشهر طويلة كما أن الماء كان موجوداً لديهم بصفة دائمة. ومع هذا انهارت أعصاب اليهود وتحطمت معنوياتهم إلي درجة لم يحتملوا معها الحصار أكثر من خمس وعشرين ليلة وقذف الله في قلوبهم الرعب وقرر الصحابة اقتحام حصون اليهود مهما كان الثمن. وصاح علي بن أبي طالب حامل لواء الجيش وابن عمه الزبير بن العوام، صاح: والله لأذوقن ما ذاق حمزة ولأقتحمن حصنهم.

ولما سمع اليهود الإنذار من حامل لواء الجيش علي بن أبي طالب أيقنو أن الهجوم علي حصونهم أمرلا مفر منه طلبوا إيقاف الهجوم وأعلنوا الاستسلام والنزول علي حكم الرسول صلي الله عليه وسلم دونما قيداً أو شرط.

وسارع اليهود إلي فتح أبواب معاقلهم وحصونهم فوراً، بعد أن القوا سلاحهم، وأخذوا في مغادرة الحصن مسلمين، وأمر النبي الرسول صلي الله عليه وسلم باعتقال الرجال ووضع القيود في أيديهم وقد تم ذلك تحت إشراف محمد بن مسلمة قائد الحرس النبوي، وقد حبس الرجال من بني قريظة وعددهم حوالي ثمانمائة مقاتل في دار أسامة بن زيد أما النساء والأطفال فقد رأي النبي (الرسول صلي الله عليه وسلم) بعد أن أوكل أمرهم إلي عبد الله بن سلام، أن يحفظوا في مكان ليس فيه صفة الحبس والضيق وأنزلوا دار الضيافة، وهي دار ابنه الحرث النجارية المعدة لنزول الوفود التي تقصد الم الرسول صلي الله عليه وسلم دينة وكان عدد هؤلاء النساء والذراري يناهز الألف وشفع الأوس لحلفائهم يهود الرسول صلي الله عليه وسلم بني قريظة عند رسول الله (الرسول صلي الله عليه وسلم ففوض أمر هؤلاء اليهود إلي سيد الأوس سعد بن معاذ، قال رسول الله



الرسول صلي الله عليه وسلم الأ ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم؟، قالوا: بلي، قال (فذاك سعد بن معاذ).

وروي الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله أنه قال: رُمي سعد بن معاذ، فقطعوا أكحله فحسمه رسول الله الرسول صلي الله عليه وسلم بالنار فانتفخت يده فحسمه أخري فانتفخت يده فنزف فلما رأي ذلك قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة، فاستمسك عرقه فما قطر، حتى نزلوا علي حكم سعد، فحكم أن نقتل رجالهم وتسبي نسائهم وذراريهم فلما فرغ منهم انفتقا عرقه فمات. رضي اليهود، ونزلوا علي حكم الله أولاً ثم حكم سعد بن معاذ، ثانياً: لما قال لهم: أترضون بحكمي، قالوا: نعم. قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتل المقاتلة وتسبي النساء والذرية، وان تقسم أموالهم.

فأخذهم من الغم ما أخذهم، وصعق اليهود لهذا الحكم الصارم، وعلاهم الذهول وخيم عليهم الوجوم، وأمر بحفر خنادق عميقة في سوق المدينة، وأمر رسول الله الرسول صلي الله عليه وسلم بإحضار الرجال المحكوم عليهم وأمر بإعدامهم، فاعدموا دفعة بعد دفعة حتى لم يبق منهم أحد وكان الصحابة كلما تم إعدام دفعة من هؤلاء اليهود قذفوا في الخنادق وواروهم بالتراب، واختلف المؤرخون في عدد اليهود الذين تم إعدامهم، فالبعض يقول: إنهم ما بين ستمائة إلي سبعمائة، والبعض الأخر: يقول أنهم مابين ثمانمائة إلي تسعمائة.

بنو النضير:

خرج رسول إلي بني النضير يستعين بهم في ديه قتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري للعهد الذي كان رسول الله قد أعطاها وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف فلما آتاهم النبي قالوا: نعم نعينك يا أبا القاسم علي ما أحببت فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل علي مثل حالة هذه ورسول الله إلي جنب جدار من بيوتهم قاعد فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخره ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال: أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخره كما قالوا ورسول الله في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمرو وعلي فأتي رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلي المدينة فلما استلبث النبي أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينه فسألوه عن النبي فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب الرسول حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به قال الواقدي فبعث الرسول محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده فبعث إليهم أهل النفاق يثبتوهم ويحرضونهم علي المقام ويعدونهم النصر فقويت عند ذلك نفوسهم وحمي حيي بن أخطب وبعثوا إلي رسول الله أنهم لا يخرجون ونابذوه بنقض العهود فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم.

قال ابن إسحاق: فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال وتحصنوا في الحصون فأمر رسول الله بالشروع في إتلاف وإحراق اللينة أردأ أنواع نخيل اليهود الذي لا يقتاتون منه وهو أنواع النخيل عند اليهود الذي لا يقتاتون منه وهو نوع يخالف العجوة الذي كان الغذاء الرئيسي لأهل المدينة ولم يكد اليهود أن يروا الدخان يتصاعد وفروع هذه النخيل تتساقط حتى دخلهم الرعب فنادوا أن يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيب



من صنعه فما بال النخيل وتحريقها؟ فأنزل الله عز وجل {مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ }[الحشر: ٥]

ولم يستمر اليهود في المقاومة طويلاً فقد خارت قواهم إذا لم يمض علي ضرب الحصار أكثر من عشرين يوماً حتى بعثوا مندوبهم إلي النبي للتفاوض وكانت نهاية التفاوض الجلاء أي أن يجلو يهود بني النضير عن منطقة يثرب جلاءً تاماً أن يسلم اليهود للمسلمين كل ما يملكون من سلاح بكافة أنواعه ويكونوا ساعة جلائهم من يثرب مجردين من السلاح تماماً ولليهود أن يحملوا من أموالهم ما يقدرون علي حمله ماعدا السلاح وبعد حمل ما يقدرون علي حمله من المال يكون كل ما بقي من أموالهم فيئا للمسلمين.

وعلي المسلمين أن يضمنوا لليهود أرواحهم حتى يخرجوا وحمل اليهود علي إبلهم ما يقدرون علي حمله حتى إن أحدهم صار يحمل إلي عتبه باب داره فيخلعها ثم يضعها علي ظهر البعير.

أوقر اليهود ستمائة بعير من الأموال التي قدروا علي حملها خرجوا وكلهم رعب وغيظ يقول سلام بن أبي الحقيق وقد حمل معه جلد ثور مملوء ذهباً فكان يضرب بيده علي هذا الجلد ويقول: هذا الذي أعددناه لرفع الأرض وخفضها وإن كنا تركنا نخلاً ففي خيبر النخل.

وكان اليهود يعمدون عند مغادرتهم المدينة إلي سقف بيوتهم وعمدها وجدرانها فنقضوها لئلاً يستفيد منها المسلمون.

وهذه سنة الله في إذلال المفسدين العاصين المعاندين فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا أتاهم من قلوبهم فقذف في قلوبهم الرعب وأذلهم وخرب بيوتهم، يقول تعالي {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ }[الحشر: ٢]

وهكذا يسلط الله علي اليهود إلي قيام الساعة من يسومهم سوء العذاب بسبب عصيانهم وذنوبهم وقد سلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم وسلط عليهم النصارى فأزلوهم وضربوا عليهم الجزية وسلط عليهم النبي محمد الرسول صلي الله عليه وسلم فطهر الأرض من رجسهم وأجلاهم عن الجزيرة العربية.

أخيراً: هتلر فأسبتاح حماهم وكادا أن يفنيهم ولا يزال وعد الله بتسليط العذاب عليهم سارياً إلي أن يقتلهم المسلمون في المعركة الفاصلة إن شاء الله " ويومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله. [الحشر، الآية ٢)

قوم سبأ:

قال تعالي: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ{١٥} فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ{١٦} ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا



وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ{١٧} وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ{١٨} فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ{١٩}] سبأ، الآيات ١٥ ـ ١٩]

روي الإمام أحمد في مسنده وقال ابن كثير حسن الإسناد (أن رجلا ً سأل رسول الله الرسول صلي الله عليه وسلم عن سبأ ما هو؟ رجل أم امرأة أم أرض؟ فقال: الرسول صلي الله عليه وسلم: بل هو رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم أربعة فأما اليمانيون: " فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير "، وأما الشامية: فلخم وجذام وعاملة وغسان". " رواه أحمد "

ثم جاءتهم الرسل تأمرهم بتوحيد الله تبارك وتعالي فكانوا كذلك فأرسل الله عليهم ماء كان يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليه أيضاً سيول أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم الأقادم فبنوا بينهم سداً عظيماً محكماً حتى ارتفع الماء وحكم علي حافات ذينك الجبلين فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتاده: أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلي رأسها مكتل أو زنبيل فيتساقط من ثمار ا الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير كلفة ولا قطاف لكثرته ونجه واستوائه وكان هذا السد بمأرب وهذه الجنات عن اليمين والشمال ولذلك الخصب والوفرة والمتاع الجميل ومن ثم كانت آية لذكر بالمنعم الوهاب وقد أمروا أن يستمتعوا برزق الله شاكرين " كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور " وذكروا بالنعمة نعمة البلد الطيب وفوقها نعمة الغفران علي القصور من الشكر والتجاوز عن السيئات سماحة في الأرض بالنعمة والرخاء وسماحة في السماء بالعفو والغفران فماذا يقعدهم عن الحمد والشكران؟!

" بلدة طيبة " ليست بسبخة قال ابن زيد " لم يكن يري في قريتهم بعوضة قط ولا ذبابه ولا برغوثا ولا عقربا ولا حية وإن كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب فما هم إلا أن ينظروا إلي بيوتهم فتموت الدواب.

يقول ابن جرير: فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن إتباع مادعتها إليه رسلها من أنه خالقها.

قال ابن عباس: سيل العرم الشديد وكان السبب الذي سبب الله لإرسال ذلك السيل عليهم فيما ذكر لي جرذاً ابتعثه الله علي سدهم فثقب فيه ثقباً.

وقال ابن زيد: بعث الله عليه جرذاً وسلطة علي الذي كان يحبس الماء الذي يسقيها فأخرب في أفواه تلك الحجارة وكل شيء منها من رصاص وغيره حتى تركها حجارة ثم بعث الله سيل العرم فاقتلع ذلك السد وما كان يحبس واقتلع تلك الجنتين فذهب بهما.

يقول ابن جرير: وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جني ثمر الأراك هو الخمط.

قال الضحاك: بدلهم الله بجنات الفواكه والأعناب إذ أصبحت جناتهم خمطاً وهو الأراك.



عن ابن عباس قال: الأثل الطرفاء قال ابن زيد: أذهب تلك القري والجنتين وأبدلهم الذي أخبرك: " ذواتي أكل خمط" قال: فالخمط: الأراك.

قال: جعل مكان العنب أراكاً والفاكهة أثلاً وشيئاً من سدر قليل.

وقال قتاده: بينما شجر القوم خير شجر إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم.

قال تعالي " ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور "

يقول ابن جرير: هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم حتى هلكت أموالهم وخربت جناتهم جزءاً منا علي كفرهم بنا وتكذيبهم لرسلنا.

قصة أهل ضروان:

وهذه قصة ظاهرة ومثل بارز قدمته لنا آيات الله في سورة القلم عن أهل هذه القرية " ضروان " وهي من قري اليمن وقد ترادفت الأحاديث عن هذه القصة وتناقل الرواة حديثها وهي قصة أصحاب الجنة " البستان " التي احترقت وهلكت بذنوب أصحابها عندما خانوا وصية أبيهم الرجل الصالح وهي قصة نفر من الشباب الجاحد المعاند الذين غرتهم الحياة الدنيا وأعماهم المال وطغي عليهم حبه فنسوا الله فهلك المال وأسقط في أيديهم. لقد كان صاحب هذه الجنة رجلاً صالحاً كريماً معطاء يفرق علي الفقراء والمساكين مما آتاه الله من ثمار جنته عند قطافها ومن محاصيل حقله يوم حصاده وجعل لهم نصيباً مفروضاً يزيده كل مرة ويترك للفقراء والمساكين من فواكه بستانه ما أخطأه المنجل أو أهمله القاطفون أو ألقت به الريح أو تناثر حول الفرش الممدودة تحت الأشجار والنخيل رزقاً حلالاً وهو كثير مبارك موفور يكفهم قوت سنة حتى اعتاد الفقراء ذلك.

وكان هذا الشيخ مثالاً صادقاً يحتذيه أهل اليسار وأصحاب البساتين في ضروان وما حولها من القري يقتدون مروءته ويفيدون من خبرته وكرمه حتى أصبح بستانه مطاف العائزين ومنتجع الغادين والرائحين. ومرض الرجل الصالح وأوصي بنيه الشباب أن يكونوا من بعده أبراراً بالفقراء رحماء بالمساكين حتى لا يفقدوا منه بعد موته غير شخصه ولكن ما كاد الرجل يتواري في قبره حتى جحد أولاده نصيحته ودفنوا معه وصيته ولم يطالعهم موسم القطاف والحصاد ثمرة تلك الجنة حتى تآمروا علي الفقراء ومنعوهم حقهم الذي اعتادوا أيام أبيهم الصالح وأجمعوا أمرهم وأقسموا أن ينقدوا علي حرثهم عند غلس الفجر الأول لجمع الثمار والعود بها قبل أن يصل إليهم الفقراء مجموعهم " ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ونسوا الله ولم يسبحوه غير واحد منهم هو أوسطهم وأعقلهم وقد أنذرهم وذكرهم فلم تنفعهم الذكري فأرسل الله علي جنتهم النار الآكلة ما تذر من شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم وطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم المقطوع الممنوع وحرموا كل شئ وأقبل بعضهم علي بعض يتلامون ويندمون يوم لا ينفع الندم.

وإليكم هذه القصة في كتاب الله قال تعالي: " إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ



كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) سورة القلم

إن هؤلاء الأبناء الجهلاء لم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن إخفاء شئ عن الله محال فالله سبحانه لا تغيب عليه غائبة في الأرض ولا في السماء يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. ولقد كان بعض كفار مكة يقول بعضهم لبعض عن جهالة وضلال: لا تجهروا بأحاديثكم حتى لا يسمعكم إله محمد (صلى الله عليه وسلم) فأنزل الله عز وجل في شأنهم " وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ".

قصة أهل ضروان في الحديث:

وقد ترادفت الأحاديث عن قصة أهل ضروان التي تناقل الرواة حديثها وهي قصة ذات عبرة و ذكري كما رأينا والحديث الذي ورد في شأنها حديث عام شامل في أهل الذنوب والمعاصي وما قد يعجل الله لهم من العقوبات الدنيوية قبل العقوبات في اليوم الآخر.

فقد روي ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي الرسول صلي الله عليه وسلم قال: إياكم والمعصية فإن العبد ليذنب الذنب الواحد فينسي به الباب من العلم وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً كان هيئ له "، ثم تلا رسول الله الرسول صلي الله عليه وسلم: (فطاف عليها طائف من ربك قد حرموا خير جنهم بذنبهم) " أخرجه ابن أبي حاتم وابن مرجدويه "

قصة أهل ضروان في قصيدة

الشاعر المؤمن الأستاذ / الصاوي شعلان له نفثات شعرية رائعة خاصة ما قام به ونظمه من شعر شاعر الإسلام / محمد إقبال (رحمه الله) وقد نظم قصة أهل ضروان في قصيدة من الأدب الإسلامي المعاصر قال في مطلعها: -

الحرص قد يجعل الأحرار عبدانا * * * وقد يصوغ من الأموال أوثان.

وقد كتب الشاعر " الصاوي شعلان " هذه القصة في قصيدة من الشعر أحببت أن أذكرها هنا لما لها من عظيم الأثر وها هي:

الحرص قد يجعل الأحرار عبدانا . وقد يصوغ من الأموال أوثاناً!

إذا رأيت قلوباً بالندي بخلت. . . . . . فاصنع بها في أثاث البيت جدرانا!

كم قصة في كتاب الله ناطقة. . . . . يعيدها الناس في دنياهم الآنا!

أصحاب جنة ضروان وقصها. . . . قد أنزل الله فيها الوحي قرآناً!

قد كان صاحبها في الفضل ذا شيم. . . . أندي من الروض أزهار أو أفنانا!

فما بكي حوله الأيتام من سغب. . . . . ولا شكا عنده المضعوف حرمانا!



لا يكتفي بزكـــاة الزرع يبذلهـا. . . . . . حتى يضيف إلي الإحسان إحساناً!
وأشرق الصبح فياض الندي عبقا. . . . . . . يختال نــوراً وأنـداء وريحانــاً!!
وأقبـل الشيخ يمشي في مهابته. . . . . . . متوجاً بوقار الشيب جذلانــاً!!
يحدو خطاه إلي البستان راعشه. . . . . وما يزال شباب القلب ريـانــاً!!
رأي عجائب صنع الله قد رسـمت. . . . . ما يسحر اللب أطيافــاً وألوانــاً!!
والـورد في الحلل الخضراء تحسبه. . . . . . زمرداً ضم يـا قــوتاً ومرجاناً!!
زي الفواكه مما يشهـون بها. . . . . . . طلعاً وطلحاً وأعنــابـاً ورمانــاً!!
والطـير ترسـل في تسبيح خالقها. . . . . . مـا يعجز الفصحاء اللسن تبيانــاً!!
مـا صـــور الله لا يرقي لـه بشر. . . . . سبحانه في علاه ألـف سبحانــاً!!
وكان للشيخ أبنــاء قد ازدهروا. . . . . وأورقـوا في ربيع العمر فتيـاناً!!
وحـين شارف قربــاً من نـهايتـه. . . . . وإن يومـاً وشيك البين قد حانـاً!!
أوصـي بنيــه بأن تبقـي مكارمه. . . . . إرثاً يقيـم لـهم في المجد بنياناً!!
لا تنبتوا الشح بعدي في مزارعكم. . . . . . ولا تجعلوا جنتي بالحـرث نيرانــاً!!
فما احتجـزت عن الآهلين ثروتها. . . . . . يـوم الحصاد ولا أهملـت جيراناً!!
لا يستـر الحـر ً في بدولا حضر. . . . . من كان من جبله المعروف عرياناً!!
النمل تبني قــراها في تماسكها. . . . . والنحل تجني رحيق الشهـد أعواناً!!
والنهـر يسقي العطاشي من مناهله. . . . . ريـاً ورزقاً ويبقـي النهر مـلآنــا!!
وفارقا الشـيخ دنيا لا يدوم بها. . . . . غير الثناء لأهل الفضل عنوانــاً!!
فبـدل الإخوة الأبنــاء سـنته. . . . . وارتـــد إيمـانـهم بالعهد كفراناً!!
وأضمروا خطة نكراء غادرة. . . . . كان عواقبها ويلا وخــــذلانــاً!!
وأقسموا أن يهيوا مصبحين إلي. . . . . . . جمع الثمـار ولا يـألــون كتمانــاً!!
كي لا يراعـو بمسكين يطالعهم. . . . . في ظمره لاهث الأنفاس جوعانــاً!!
فأرسل المــلك الجبار نقمته. . . . . جزاء مــا أضمروا بغياً وعدوانــاً!!
ألقت بأشجارهم صرعي فما تركت. . . . . حتى لأغصـانـهـا الأوراق أكفاناً!!
غدوا علي حرثهم صبحاً فما وجدوا. . . . . . . في الحقل نبتاً ولا في الأرض بستاناً!!
ضل الطريق بهــم بل ضل مذهبهم. . . . . وصار مبصرهم في النــور حيراناً!!
وقال أوسطهـم إني نصحت لكم. . . . . فلم أجد بينكـم للنصح أذانــاً!!
الله يعلـم مــا تخفي الصدور وما. . . . . يكون سـراً يـراه الله إعلانــاً!!



ماذا ظننتم بعلام الغيوب إذن. . . . . . أكان جهلا بكـم أم كان نسيانـاً؟!!

خزائن الله ملأي لا نفـاد لهـا. . . . . سبحانه قال: " كن" فالأمر قد كانـاً!!

إن الألي حرموا المسكين قد رجعوا. . . . . أذل مسـكنه منـــه وحرمانـاً!!

وقد مضي قدر لـم يمحه ندم. . . . . مكر البخيل بخيل الربح خسـرانــاً!!

إن رمت جنة رضوان فكن حذراً. . . . . . ولا تكن واحداً من أهل ضروانــاً!!

أصحـــاب الفيل:

قال تعالي: " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف المأكول " [الفيل)

قال صاحب الظلال إن الحاكم الحبشي لليمن في الفترة التي خضعت فيها اليمن لحكم الحبشة بعد طرد الحكم الفارسي منها (أبرهة) كان قد بني كنيسة في اليمن جمع لها كل أسباب الفخامة علي نية أن ينصرف الناس إليها عن البيت الحرام في مكة وكتب إلي ملك الحبشة بهذه النية ولكنه رأي العرب لا تتجه إلا إلي البيت العتيق فاشتد غيظه وعمدا إلي هدم الكعبة ثم سار بجيش عظيم معه فيل حتى وصل إلي مكة أصاب إبل عبد المطلب ثم أرسل إلي أهل مكة يقول إني ما جئت لحربكم وإنما جئت لهدم البيت وسأل عن سيد قريش فقيل له هو عبد المطلب فأرسل إليه فسأله عبد المطلب أن يرد إليه إبله فقال له لقد كنت في عيني من قبل مرجوا لما طلبت مني الإبل سقطت من عيني فقال عبد المطلب أنا رب الإبل و للبيت رب يحميه فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ووجهوا الفيل إلي الكعبة وضربوا الفيل فأبي فضربوا رأسه بالفأس ليقوم فأبي فبرك وإذا وجهوه إلي الشام هرول ففعل ذلك مرات وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها في رجليه ومنقاره في حجم الحمص والعدس لا تصب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وعادوا هاربين يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط لحمه أنملة أنملة كلما سقطت أنملة أتبعتها أخري قبيحا ودماً حتى قدموا به صنعاءً وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

الأمة الإسلامية

والآن نستعرض أحوال الأمة الإسلامية في عصورها المختلفة ومراحلها المتتابعة وكيف كان حالها علي قله عددها عندما كانت تسير علي نهج ربها وما آل إليه حالها عندما حادت عن أمر ربها وأهملت سنة نبيها. وقد حاولت استعراض مراحل الأمة في تتابع الخلافات المختلفة من أموية وعباسية وحال المسلمين في الأندلس وبعض الدول الخاصة مثل الدولة الفاطمية والدولة الطولونية وحالها وقت مجئ الحملات الصليبية وسقوط الخلافة الإسلامية.

الدولة الأموية (٤١ هـ / ١٣٢ هـ)

جاءت هذه الدولة في عام الجماعة الأول وهو العام الذي تنازل فيه سيدنا الحسن بن علي عن الخلافة لسيدنا معاوية بن أبي سفيان وهو عام الجماعة الأول واستمرت هذه



الدولة حتى عام ١٣٢ هـ وكان أخر خليفة لها هو مروان بن محمد الملقب " بالحمار " لاقتراب الدولة الأموية من إكمال المائة عام لأن العرب كانت تطلق علي كل مائه عام حمار. وهذه الدولة امتدت في ظلها الفتوحات الإسلامية شرقاً إلي السند وغرباً إلي أسبانيا وكانت متماسكة الأجزاء موحدة السلطان ولكنها في بعض فتراتها وقعت في ذنوب وآثام وذلك لما تولي الخلافة ملوك انغمسوا في شهوات الدنيا وأهملوا شرع الله الذي عجل بفنائها ويكفي دليلا ً علي ذلك أنهم فتكوا بآل البيت وشيعتهم أشع فتك ويكفيهم إثما وعاراً قتلهم الحسين بن علي سنة ٦١ هـ بكربلاء وعدد من أبنائه ولم يمضي عامان حتى أرسل يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ جنده إلي المدينة بقيادة مسلم بن عقبة لمعاقبة أهلها علي خروجهم عن طاعة بني أمية فأقتحم الجند الأمويون مدينة الرسول وعاثوا فيها واستباحوا الحرم المقدسة وارتكبوا أشنع صنوف الكبائر فأباحوا المدينة ثلاثة أيام قتلوا الكثير ونهبوا الأموال حتى إنهم يكادوا أن يكونوا قتلوا كل من بقي من أصحاب الرسول صلي الله عليه وسلم في المدينة ثم سار الجيش إلي مكة وحاصروها وضربوا البيت الحرام بالمنجنيق أراد يزيد أن يوطد ملكه وسلطانة كم يقول بن كثير في " البداية والنهاية "

فعاقبة الله بنقيض قصده وحال بينه وبين ما يشتهيه وأخذه أخذ عزيز مقتدر، روي الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله قال " لا يريد أحد المدينة بسوء إلا أذابه الله في نار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء" ولنأخذ مثال: ذكره ابن قيبة الدينوري في (كتابة تأويل مختلف الحديث)أنه حدثه رجل من أصحاب الأخبار أن المنصور سمر ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرتهم وأنهم لم يزالوا علي استقامة حتى أفضي الأمر إلي أبنائهم المترفين فكان همهم من عظيم شأن الملك وجلاله قدرة قصد الدخول في المعاصي وإتيان الشهوات واللذات والأمان من مكر الله. فسلبهم الله الملك والعز ونقل عنهم النعمة فقال له صالح بن علي يا أمير المؤمنين إن عبيد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هارباً ممن تبعه سأل ملك النوبة عنهم، فاخبر بأمرهم فركب إلي عبيد الله فكلمة بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده، فإن رأي أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة وسأل عن ذلك فأمر الجنود بإحضاره وسأله عن القصة فقال:

(يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلم لي فافترشه بها وأقمت ثلاثاً فأتاني ملك النوبة وقد خبر أمرنا فدخل علينا رجل طويل أقني حسن الوجه فقعد علي الأرض ولم يقرب الثياب فقلت ما يمنعك أن تقعد علي ثيابي فقال: أني ملك وحق علي كل ملك أن يتواضع لعظمة الله عز وجل إذا رفعه ثم أقبل عليا فقال لما تشربون الخمور وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ علي ذلك عبيدنا وسفهاؤنا قال: فلما تطئون الزرع بدوابكم والله حرم الفساد في كتابكم قلت يفعل ذلك جهالنا قال: فلما تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وهو محرم عليكم فقلت ذال عنا الملك وقل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبثوا ذلك علي الكره منا فاطرق ملياً وجعل يقلب يده وينكت في الأرض ثم قال ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم عليكم وركبتم ما نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله تعالي العز والبسكم الذل بذنوبكم



ولله نقمة لم تبلغ نهايتها وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم وإنما الضيافة ثلاثاً فتزودوا ما احتجتم إليه وارتحلوا عن بلدي ففعلت ذلك).

وهذه عبرة من العبر وما أكثر العبر وما أقل المعتبرين في الأرض وفي الأرض آيات وذكريات وعبر ولكن الناس عنها غافلون، قال تعالي " وكأين من أية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون " وبسبب انغماس الحكام في الشهوات والذنوب الحرام لم تأتي فاتحة القرن الثاني حتى هرمت دولتهم وساد الانحلال والوهن وتصدع صرح وحدتها الباذخ.

وسادت الفتن في كل أرجائها حتى هب عليها العباسيون بقيادة أبي العباس السفاح وقائده أبو مسلم الخرساني في موقعة الذاب السري هزم فيها الأمويون هزيمة منكرة سنة ١٣٢ هـ الموافق ٢٥ يناير وغرق في النهر الأف من الجند الأمويين وفر أخر خلفاء الدولة مروان بن محمد إلي الشام فصار في أثره العباسيون وحاصروا دمشق ففر مروان إلي فلسطين ثم إلي مصر فبعث السفاح في أثره جيش بقيادة عمه صالح بن علي وظل يطارده حتى ظفر به في قرية بوصير علي مقربة من الجيزة وهناك مزق البقية من أنصار الدولة الأموية وقتل مروان أخر الخلافاء الأمويين وأرسلت رأسه إلي السفاح في العشرين من ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ.

وهكذا انهارت دعائم الدولة الأموية بسرعة مدهشة " وما ربك بظلام للعبيد ".

الدولة العباسية(من عام ١٣٢ هـ إلي ٦٥٦ هـ)

وتنقسم إلي عصرين:

(١) العصر العباسي الأول سنة ١٣٢ هـ إلي سنة ٣٣٤ هـ

(٢) العصر العباسي الثاني سنة ٣٣٤ هـ إلي سنة ٦٥٦ هـ

ذكر بن عساكر في ترجمة محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي قال: كنت مع عبد الله بن علي أول ما دخل دمشق دخلها بالسيف وأباح القتل فيها ثلاث ساعات، وجعل جامعها سبعين يوماً أسطبلاً لدوابه وجماله ثم نبش قبور بني أمية، فلم يجد في قبر معاوية إلا خيطاً أسود مثل الهباء، ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجد جمجمة وكان يجد في القبر العضو بعد العضو إلا هشام بن عبد الملك فإنه وجده صحيحاً لم يبل منه غير أربنه أنفه فهزبه بالسياف وهو ميت، وصلبه أياماً، ثم أحرقه ودق رماده، ثم زراه في الريح وذلك أن هشاماً كان قد ضرب أخاه محمد بن علي حين كان قد أتهم بقتل ولد له صغير سبعمائة سوط، ثم نفاه إلي الحميمة بالبلقاء، قال: ثم تتبع عبد الله بن علي بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فقتل منهم في يوم واحد اثنين وتسعين ألفاً عند نهر بالرملة وبسبط عليهم الأنطاع، وجعل عليهم سماطاً فأكل وهم يختلجون تحته وهذا من الجبروت والظلم الذي يجازيه الله عليه، وقد مضي ولم يدم له مار أده ورجاه، كما سيأتي في ترجمته، وأرسل امرأة هشام بن عبد الملك وهي عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية صاحب الخال مع نفر من الخراسانيين إلي البرية ماشية حافية حاسرة عن وجهها وجسدها عن ثيابها ثم قتلوها، ثم أحرق ما وجده من عظم ميت منهم وأقام بها عبد الله خمسة عشر يوماً



وقد استدعي الأوزاعي فأوقف بين يديه فقال له: يا أبا عمرو ما تقول في هذا الذي صنعناه؟ قال فقلت له: لا أدري غير أنه قد حدثني يحيي بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم) ((إنما الأعمال بالنيات)) فذكر الحديث، قال الأوزاعي: وانتظرت رأسي أن يسقط بين رجلي ثم أخرجت وبعث إلي بمائه دينار. ثم سار وراء مروان فنزل علي نهر الكسوة، ووجه يحي بن جعفر الهاشمي نائباً علي دمشق ثم سار فنزل صرح الروم ثم أتي نهر أبي فطرس فوجد مروان قد هرب فدخل صهر وجاءه كتاب السفاح : ابعث صالح بن علي في طلب مروان، وأقم أنت بالشام نائباً عليها فسار صالح يطلب مروان في ذي القعدة من هذه السنة، ومعه أبو عمر وعامر بن إسماعيل فنزل علي ساحل البحر، وجمع ما هناك من السفن، وبلغه أن مروان قد نزل الفرما (سنة ٢١٦) وقيل (سنة ٢١٧) فجعل يسير علي الساحل والسفن تقاد معه في البحر حتى أتي العريش (سنة ٢١٨) ثم سار حتى نزل علي النيل ثم سار إلي الصعيد، فعبر مروان النيل، وقطع الجسر وحرق ما حوله من العلف والطعام، ومضي صالح في طلبه، فالتقي بخيل لمروان فهزمهم، ثم جعل كلما التقوا مع خيل لمروان يهزموهم حتى سألوا بعض من أسروا عن مروان فدلهم عليه، وإذا به في كنيسة أبو صير، فوافوه من أخر الليل فانهزم من معه من الجند وخرج إليهم مروان في نفر يسير معه فأحاطوا به حتى قتلوه. طعنه رجل من أهل البصرة يقال له معود، ولا يعرفه حتى قال رجل صرع أمير المؤمنين فابتدره الرجل من أهل الكوفة كان يبدع الرمان فاجتز رأسه، فبعث بها عامر بن إسماعيل أمير هذه السرية إلي أبي عوف إلي صالح بن علي فبعث به صالح مع رجل يقال له خزيمة بن يزيد بن هانئ كان علي شرطته لأمير المؤمنين السفاح.

وكان مقتل مروان يوم الاحد لثلاث بقين من ذي الحجة وقيل يوم الخميس لست مضين منها سنة ثنتين وثلاثين ومائة وكانت خلافته خمس سنين، وعشرة أشهر وعشرة أيام علي المشهور وأختلفوا في سنة فقيل: أربعون سنة، وقيل: ست او ثمان وخمسون سنة، وقيل: ستون، وقيل: اثنتان، وقيل: ثلاث، وقيل: تسع وستون سنة، وقيل: ثمانون، فالله اعلم ثم أن صالح بن علي سار إلي الشام واستخلف علي مصر أبا عوف بن أبي يزيد والله سبحانه أعلم. ولننقل الآن إلي بعض ما كان يحدث أيام الدولة العباسية من بذخ ومعاص كان سببا في زوال النعم عنها وحلول النقم بها واليك بعض الأمثلة.

البرامكة:

البرامكة كانوا وزراء في الدولة العباسية وكانوا في عيش رغيد وفير أعطاهم الله من الذهب والفضة، قال بعضهم أنهم كانوا يطلون قصورهم بماء الذهب لكنهم ضيعوا أوامر الله في داخل هذه القصور غناء وخمر ضياع صلاة ضياع زكاة فأخذهم علام الغيوب الذي إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون الذي يمهل ولا يهمل سلط عليهم أحب الناس إليهم أمير المؤمنين هارون الرشيد فغضب عليهم غضبه تعددت أسبابها وليس هذا موضوع حديثنا فأخذ شبابهم فقتلهم قبل الظهر وأخذ أبنائهم فجعلهم في المستعمرات



تحت الأرض وأخذ النساء فأوصد عليهن الغرف بكاء هنا وبكاء هناك ودموع هنا ودموع هناك " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القري وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد "

وفي مراسيل الحسن عن النبي لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يُملي (أي يتعاوناً علي الاستقامة) قراءها وأمراءها وما لم يزكّ صلحاؤها فجارها وما لم يُهن خيارهَا أشرارُها فإذا فعلوا ذلك رفع الله يده عنهم ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر. " قال ابن القيم مرسلا "

الدولة العباسية والتتار:

ولما زاد طغيانهم سلط الله عليهم بذنوبهم من يسومهم سوء العذاب ففي سنة ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م سقطت الخلافة الإسلامية في بغداد علي يد التتار بقيادة هولاكو و قد أحاطوا بدار الخلافة يرشقونها بالنبال حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وترقص فجاءها سهم فقتلها ونزع السهم فكان مكتوب عليه (إذا أراد الله إنفاذ قضاء أذهب من ذوي العقول عقولهم) فدخلوها كالريح العقيم التي لا تذر شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم دمروا المدن وخربوا العمران وأسالوا الدماء وأسقطوا الخلافة وعطلوا الصلوات وألقوا الأسفار في نهر دجلة حتى أسود مائه من أحبار الكتب وقتلوا الخليفة خنقاً وقيل غرقاً وقتلوا كل من وجدوه رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً حتى إن الناس دفنوا أنفسهم في الحفر فقتل في هذا اليوم من المسلمين قيل ألف ألف مسلم وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف حتى إن أنهار الدم كانت تملأ الشوارع " إنا لله وإن إليه راجعون " أصبحت بغداد خراباً بعد أن كانت عماراً استمر القتل أربعين يوما وبعد ذلك أصبحت بغداد خاوية علي عروشها والقتلي في الطرقات كأنها التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأسن من جيفهم البلاد وتغير الهواء وانتشر الوباء والفناء والطعن والطاعون " إنا لله وإنا إليه راجعون ".

ومكثت كذلك حتى سنة٦٥٨هـ لما قضي عليهم سيف الدين قطز في موقعة عين جالوت. وقد ظهر في زمانهم بعض الفرق المنحلة بسبب انشغال الأمراء بأمور الدنيا مما أفسح الطريق أمام جماعه تسمي القرامطة للظهور وهي جماعه مارقة من الدين. وهذا لا يمنع أن بعض الأمراء كانوا ليس لهم نظير في الورع والتقوي مثل هارون الرشيد والمعتصم.

القرامطـــة:

تحركت سنة ٢٧٨ هـ وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة إتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون ببنوة زرادشت ومزك وكانا يبيحان المحرمات. ثم هم بعد ذلك إتباع كل ناعق وباطل وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلي الباطل من جهتهم ويقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلي إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق ويقال لهم القرامطة نسبة إلي قرمط بن الأشعث البقار وقيل إن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر من اتبعه بخمسين صلاة في كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة ثم اتخذ نقباء أثني عشر وأسس لأتباعه دعوه ودعا إلي إمام أهل البيت ويقال لهم الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض ويقال لهم السبعية نسبة إلي القول بأن



الكواكب السبعة المتحيزة السائرة مدبره هذا العالم فيما يزعمون. ويقال لهم البابكية نسبة إلي بابك الجرمي الذي ظهر أيام المعتصم وقد قتل.

قال ابن الجوزي: وقد بقي من البابكبه جماعة يقال أنهم يجتمعون في كل سنة ليلة هم ونساؤهم ثم يطفئون المصباح وينتهبون النساء فمن وقعت يده في امرأة حلت له ويقولون هذا اصطياد مباح. ثم بعد ذلك لهم مقامات في الكفر والزندقة والسخافة مما ينبغي لضعيف العقل والدين أن ينزه نفسه عنها وهو مما فتحه إبليس عليهم من أنواع الكفر والجهالات. وذلك لنعلم كم عانت الأمة الإسلامية من أفراد انتسبوا للإسلام أسما ولكن الإسلام منهم براء. وكانوا عليه أشد خطراً من الكفره والملاحده. والإنسان يتعجب من صمود الإسلام وانتشاره رغم تلقيه لضربات موجعه بين الحين والأخر وهذه الضربات تكفي الواحدة منها لزلزلة أعظم الأديان ولكن الله تكفل بحفظه عند ذلك يستريح الإنسان لأن الله ناصر دينه لا محالة.

ظهور أبي سعيد الجنابي رأس من رؤوس القرامطة

وكان ظهوره في سنة ست وثمانين ومائتين بنواحي البصرة فالتف عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير وقويت شوكته وقتل من حوله من أهل القري ثم سار إلي القطيف قريباً من البصرة ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلي نائبها يأمره بتحصين سورها فعمروه وجددوا معالمه بنحو من أربعة الآف دينار فامتنعت من القرامطة بسبب ذلك وتغلب أبو سعيد ومن معه من القرامطة علي هجر وما حولها من البلاد وأكثروا في الأرض الفساد وكان أصل أبي سعيد هذا أنه كان سمساراً في الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان فقدم رجل به يقال له يحي بن المهدي في سنة أحدي وثمانين ومائتين فدعا أهل نظيف إلي بيعه المهدي فأستجاب له رجل يقال له علي بن العلاء بن حمدان الزيادي وساعده في الدعوي إلي بيعه المهدي رجع الشيعة الذين كانوا بالقطيف فاستجابوا له وكان في جملة من استجاب أبو سعيد الجنابي قبحه الله ثم تغلب علي أمرهم وأظهر فيهم القرمطة فاستجابوا له والتفوا عليه فتأمر عليهم وسار هو المشار إليه فيهم وأصله من بلده هناك يقال لها جنابه وبعد سنه تفاقم أمر القرامطة صحبه أبي سعيد الجنابي فقتلوا وسبوا وأفسدوا في بلاد هجر فجهز الخليفة إليهم جيشا كثيفا وأمر عليهم العباس بن عمرو الفنوي وأمره علي اليمامه والبحرين ليحارب أبا سعيد هذا فالتقوا هنالك وكان العباس في عشرة الآف مقاتل فأسرهم أبو سعيد كلهم ولم ينج منهم إلا الأمير وحده وقتل الباقون عن أخرهم صبراً بين يديه قبحه الله ويقال: إن العباس لما قتل أبو سعيد اصحابه صبرا بين يديه وهو ينظر وكان في جملة من أسر أقام عند أبي سعيد أيام ثم أطلقه وحمله علي رواحل وقال إرجع إلي صاحبك وأخبره بما رأيت وفي سنة ٢٨٩ هـ عاثت القرامطة بسواد الكوفة فظهر بعض العمال بطائفه منهم فبعث برئيسهم إلي المعتضد وهو أبو الفوارس فنال من العباس بين يدي الخليفة فأمر به فقلعت اضراسه وخلعت يداه ثم قطعتا مع رجليه ثم قتل وصلب ببغداد وفي هذه السنة قصدت القرامطة دمشق فقاتلهم نائبها طغج بن جف فهزموه مرات عديدة وتفاقم الحال بهم وكان ذلك بسفارة يحي بن زكرويه الذي أدعي عند القرامطة أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي وقد كذب في ذلك وزعم لهم أنه قد اتبعه علي



أمره مائه ألف وأن ناقته مأموره حيث ما توجهت به نصر علي أهل تلك الجهة فراج ذلك عندهم ولقبوه الشيخ واتبعه طائفة من بني الأصبع وسموا بالفاطميين وقد بعث إليهم الخليفة جيشاً كثيفاً فهزموه ثم اجتاز بهم بالرصافة فأحرقوا جامعها ولم يجتازوا بقرية إلا نهبوها ولم يزل ذلك دأبهم حتى وصلوا دمشق فقاتلهم نائبها فهزموه مرات وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وانتهبوا عن أموالهم شيئا كثيراً وفي هذه الحالة الشديدة اتفق موت الخليفة المعتضد بالله وفي سنة ٢٩٠ هـ أقبل يحي بن زكروبه هذا القرمطي اللعين فعاث بناحية الرقة فساداً ثم قتل يحي بن زكرويه رجل علي باب دمشق يقال له زرقه رجل من المغاربة ففرح الناس بقتله وقام بأمر القرامطة من بعده أخوه الحسين وتلقب بأمير المؤمنين وحاصر دمشق وصالحه أهلها علي مال ثم سار إلي حمص ففتحها واستباح أموالهم وحريمهم وكان يقتل الدواب والصبيان في المكاتب ويبيح لمن معه وطء النساء فربما وطء الواحدة الجماعة الكثيرة من الرجال فإذا ولدت هنأ به كل واحد منهم الأخر فكتب أهل الشام إلي الخليفة ما يلقون من هذا اللعين فجهز جيوشاً كثيفة ثم دخل الرقه وبث الجيوش في كل جانب لقتال القرامطة كان هذا القرمطي من أشد أعداء قريش رغم أنه كان يدعي أنه هاشمي دخل سلمية فلم يدع بها أحداً إلا من بني هاشم حتى قتلهم وقتل أولادهم واستباح حريمهم، وفي سنة ٢٩١ هـ انتقم الله من هذا القرمطي وجعله الله عبره لمن اعتبر حيث جرت وقفه عظيمة بين القرامطة وجند الخليفة فهزموا القرامطة وأسروا رئيسهم الحسن بن زكرويه فلما أسر حمل إلي الخليفة في جماعة كثيرة من أصحابه وأدخل بغداد علي فيل مشهور وأمر الخليفة بعمل دفه مرتفعه فأجلس عليها وجئ بأصحابه فجعل يضرب أعناقهم بين يديه وهو ينظر وقد جعل في خمسة خشب معترضة مشدودة إلي قفاه ثم أنزل فضرب مائتي سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وكوي ثم حرق وحمل رأسه علي خشبه وطيف به أرجاء بغداد وقد أخزاه الله وجعل النار مثواه.

وفي سنة ٢٩٣ هـ التف علي آخي الحسين القرمطي المعروف بذي الشامة خلائق من القرامطة بطريق الفرات فعاث بهم في الأرض الفساد ثم قصد طبريه فامتنعوا منه فدخلهما قهرا فقتل بها خلقاً كثيراً من الرجال وأخذ شيئاً كثيراً من الأموال ثم كر راجعاً إلي البادية ودخلت فرقه أخري منهم إلي هيث فقتلوا أهلها إلا القليل وأخذوا منها أموالاً جزيلة حملوها علي ثلاثة الآف بعير فبعث إليهم المكتفي جيشاً فقاتلوهم وأخذوا رئيسهم فضربت عنقه. ونبغ رجل من القرامطة يقال له الداعية باليمن فحاصر صنعاء فدخلها قهراً وقتل خلقاً من أهلها ثم سار إلي بقيه مدن اليمن فأكثر فيها الفساد وقتل خلقاً من العباد ثم قاتله أهل صنعاء فظفروا به وهزموه فأغار علي بعض مدنها وبعث الخليفة إليه مظفر بن حجاج نائباً فسار إليها فلم يزل بها حتى مات،وفي يوم الأضحي دخلت طائفة من القرامطة إلي الكوفة فنادوا: يا ثارات الحسين يعنون المصلوب ببغداد فبادر الناس الدخول من المصلي إلي الكوفة فدخلوا خلفهم فرقهم العامة بالحجارة فقتلوا منهم نحو عشرين رجلا ورجع الباقون خاسئين. ثم بعث القرامطة جيشاً إلي بصري وأذرعات والبثنيه فحاربوا أهلها ثم أمنهم فلما تمكن منهم قتل المقاتلة وسبي الذرية ورام الدخول إلي دمشق فحاربوا نائب دمشق وهزموه وقتلوه وحاصروا دمشق فلم يتمكنوا من دخولها فانصرفوا إلي طبريه فقتلوا أكثر أهلها ونهبوا منها شيئاً كثيراً. وفي



سنة أربع وتسعين ومائتين أعترض زكرويه في أصحابه إلي الحجاج من أهل خراسان وهم قافلون من مكة فقتلهم عن أخرهم وأخذ أموالهم وسبي نساءهم فكان قيمة ما أخذه منهم ألفي ألف دينار وعده من قتل عشرين ألف إنسان وكانت نساء القرامطة يطفن بين القتلي من الحجاج وفي أيديهن إلآ نيه من الماء يزعمن أنهن يسقين الجريح العطشان فمن كلمهن من الجرحي قتلنه وأجهزن عليه لعنهن الله ولعن أزواجهن ولما بلغ الخليفة أمر الحجيج وما أوقع بهم الخبيث جهز إليه جيشاً كثيفاً فالتقوا معه واقتلتوا قتالاً شديداً قتل من القرامطة خلق كثير ولم يبق منهم إلا القليل وضرب رجل زكرويه بالسيف في رأسه فوصلت الضربه إلي دماغه وأخذ أسيراً فمات بعد خمسة أيام فشقوا بطنه وصبروه وحملوه في جماعة من رؤس أصحابه إلي بغداد واحتوي عسكر الخليفة علي ما كان بأيدي القرامطة من الأموال وأمر الخليفة بقتل أصحاب القرمطي وأن يطاف برأسه في سائر بلاد خرسان لئلا يمنع الناس من الحج وأطلق من كان بأيدي القرامطة من النساء والصبيان الذين أسروهم.

وفي سنة أحدي عشر وثلاثمائة دخل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي أمير القرامطة في الف وسبعمائه فارس إلي البصرة ليلاً ونصب السلالم الشعر في سورها فدخلها قهرا وفتحوا أبوابها وقتلوا من لقوه من أهلها وهرب أكثر الناس فألقوا أنفسهم في الماء فغرق كثير منهم ومكث بها سبعة عشر يوماً يقتل ويأسر من نسائها وذراريها ويأخذ ما يختار من أموالها ثم رجع إلي بلده هجر، كلما بعث إليه الخليفة جنداً فرهارباً.

وفي المحرم من سنة ٣١٢ هـ اعترض القرمطي هدا لعنة الله ولعن أباه للحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام فقطع عليهم الطريق فقاتلوه فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر من نسائهم وأبنائهم ما اختاره واصطفي من أموالهم ما أراد فكان مبلغ ما أخذه من الأموال ما يقوم بألف ألف دينار وترك بقية الناس بعدما أخذ جمالهم وزادهم وأموالهم ونسائهم وأبناءهم علي بعد الديار وكان هذا الملعون عمره سبع عشرة سنه.

وفي سنة ٣١٦ هـ عاث أبو طاهر القرمطي في الأرض فساداً حاصر الرحبة فدخلها قهراً وقتل من أهلها خلقا وطلب من أهل قرقيسيا الآمان فآمنهم وبعث سراياه إلي ما حولها من الأعراب فقتل منهم خلقاً كثيراً وقدر علي الأعراب إمارة يحملونها إلي هجر في كل سنة عن كل رأس ديناران وخرب الديار وقتل وسلب ونهب فقصده مؤنس الخادم فلم يتواجها بل رجع إلي بلده هجر فابتني بها دار أسماها دار الهجرة ودعا إلي المهدي الذي ببلاد المغرب بمدينة المهدية وتفاقم أمره وكثرت أتباعه فصاروا يكبسون القرية من أرض السواد فيقتلون وينهبون ولما رأي الوزير علي بن عيسي ما يفعله هذا القرمطي في بلاد الإسلام وليس له دافع استعفي من الوزاره ثم ولي الوزارة علي عبد الله البريدي. ثم جهز الخليفة جيشاً بقيادة مؤنس الخادم واقتتلوا مع القرامطة فقتلوا من القرامطة خلقاً كثيراً وأسروا منهم طائفة وانكسرت شوكة القرامطة وفوضوا أمرهم إلي رجل يقال له حريث بن مسعود ودعوا للمهدي الذي ظهر ببلاد المغرب وهم أدعياء كذبه وفي سن ٣١٧ هـ خرج ركب العراق إلي الحج ووفدت الركوب من كل مكان فوصلوا سالمين فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعة يوم التروية فانتهب أموالهم واستباح قتالهم فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من



الحجاج خلقاً كثيراً وجلس أميرهم أبو طاهر سليمان بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي لعنة الله علي باب الكعبة والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية الذي هو أشرف الأيام وهو يقول:

أنا اله وبالله أنا *** بَخلق الخلق وأفْنيهم أنا

فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً بل يقتلون وهم كذلك ويطوفون فيقتلون في الطواف وقد كان بعض أهل الحريث يؤمئذ يطوف فلما قضي طوافه أخذته السيوف ثم أمر القرمطي الملعون أن تدفن القتلي في بئر زمزم ودفن كثيرا منهم في أماكنهم من الحرم وفي المسجد الحرم وهدم هذا الملعون قبة زمزم وأمر يقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها وقسمها بين أصحابة وأمر رجلا أن يصعد إلي ميزاب الكعبة فيقتلعه فسقط علي أم رأسه فمات إلي النار فعند ذلك انكف الخبيث عن الميزاب ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود فجاءه رجل فضربه بمثقل في يده وقال أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل: ثم قلعوا الحجر الأسود وأخذوه حين راحوا معهم إلي بلادهم فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة حتى ردوه سنه تسع وثلاثين وثلاثمائة. ولما رجع القرمطي ومعه الحجر وتبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده وسأله وتشفع إليه أن يرد الحجر الأسود ليوضع في مكانة وبذل الكثير من الأموال فلم يلتفت إليه فقتله القرمطي وقتل أكثر أهل بيته وقد الحد هذا الملعون في البيت ألحادا لم يلحده أحد قبله وسيجازيه علي ذلك الذي لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد. روي بعضهم قال كنت في المسجد الحرام يوم اقتلع الحجر الأسود إذ دخل رجل سكران راكب علي فرسه فصفر لها حتى بالت في المسجد الحرام في مكان الطواف فحمل علي رجل كان إلي جانبي فقتله القرمطي ثم قال يا حمير ورفع صوته بذلك أليس قلتم في بيتكم هذا " ومن دخله كان آمنا " [آل عمران: الآية رقم ٩٧)

فأين الآمن قال: فقلت له أتسمع جواباً؟ قال: نعم قلت إنما أراد الله: فأمنوه قال فأثني رأس فرسه وانصرف. وهنا يتبادر إلي الذهن سؤال: قدا أحل الله سبحانه وتعالي بأصحاب الفيل وكانوا نصارى ما ذكره في كتابة ولم يفعلوا بمكة شيئاً مما فعله هؤلاء ومعلوم أن القرامطة شر من اليهود والنصارى والمجوس وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعله أحد فهلا ا عوجلوا بالعذاب والعقوبة كما عوجل أصحاب الفيل؟

أجيب علي ذلك بأن أصحاب الفيل أنما عوقبوا إظهارا لشرف البيت وما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبي الكريم من البلد الذي فيه البيت فلما أرادوا أهانة هذه البقعة أهلكهم الله سريعاً عاجلا ً ولم يكن شرائع مقرره تدل علي فضله فلو دخلوه واخرجوه لا نكرت القلوب فضله وأما هؤلاء القرامطة فإنما فعلوا ما فعلوا بعد تقرير الشرائع والعلم بشرف الكعبة وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء الحدوا في الكعبة فلذا لم يحتج الحال إلي معاجلتهم بالعقوبة بل اخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار والله سبحانه يمهل ولا يهمل ثم ردوا الحجر إلي مكانه

سنة ٣٣٩ هـ وفي سنة٣٦٣ هـ لما استقر المعز الفاطمي بالديار المصرية وتأكد ملكه سار إليه الحسين بن أحمد القرمطي زعيم القرامطة في هذا الوقت من الإحساء في جمع كثيف من أصحابه والتقي معه أمير العرب ببلاد الشام وهو حسان بن الجراح في عرب



الشام يكملهم فلما سمع بهم المعز الفاطمي أسقط في يده لكثرتهم وكتب إلي القرمطي يستميله إليه وبالفعل أتي القرامطة فلما انتهوا إلي ديار مصر عاثوا فيها قتلا ونهباً وفساداً وحار المعز فيما يصنع وضعف جيشه عن مقاومته فعدل إلي المكيدة والخديعة فراسل حسان بن الجراح أمير العرب ووعده بمائه الف دينار أن هو خذل بين الناس فبعث إليه حسان يقول: أن ابعث إلي بما التزمت وتعال بمن معك فإذا التقينا انهزمت بمن معي فلا يبقي للقرمطي قوة فتأخذه كيف شئ ونجحت الخطة وانهزمت القرامطة ورجعوا إلي اذرعات وبعث المعز في أثارهم القائد أبا محمود بن إبراهيم في عشرة الآف فارس ليحسم ماده القرامطة.

وبعث المعز سريه أم عليهم ظالم بن موهوب فجاءوا إلي دمشق فتسلمها من القرامطة بعد حصار شديد واعتقل متوليها أبا الهيجاء القرمطي وابنه. وبذلك انكسرت شوكتهم وتبدد ملكهم لعنهم الله وجعل النار مثوالهم. وقد أطلت الحديث عنهم لسببين:

الأول: أنهم أهملوا فلا أكاد أجد الحديث عنهم إلا في عجالة وباختصار مع ما فعلوه بالإسلام والمسلمين قبحهم الله مما يحتاج إلي أفرادهم بأبحاث خاصة بهم.

الثاني: أن أفكارهم تشابه إلي حد كبير الأفكار الشيوعية الماركسية والعلمانية في أيامنا هذه.

وهذه بعض أفكارهم ومعتقداتهم: -

١- اسسوا دولة شيوعية تقوم علي شيوع الثروات وعدم احترام الملكية الشخصية.

٢- يجعلون الناس شركاء في النساء فلا يجوز لأحد أن يحجب أمراته عن أخوانه.

٣- إلغاء أحكام الإسلام (كالصوم، الصلاة، سائر الفرائض).

٤- استخدام العنف لتحقيق الأهداف.

٥- يعتقدون بأبطال المعاد والعقاب وأن الجنة هي النعيم في الدنيا والنار هي العذاب في الدنيا.

٦- زعموا أن محمد بن إسماعيل رسول من جملة الرسل وأن الرسالة انقطعت عن النبي وأن النبوة والرسالة قد آلتا إلي علي بن أبي طالب.

فها هي معتقدات وأفكار وضلالات يقودها الشيطان ليهلك اتباعه ويهدم شرائع الإسلام وسبحانه الله لأن الله ناصر دينه لا محالة.

الأمة الإسلامية في الأندلس:

لقد سادت الأمة الإسلامية المعمورة لأكثر من ثلاثة عشر قرناً ثم زالت خلافتها وتداعت عليها الأمم من دول

" إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " لا إله إلا الله وها هي المصائب لا تزال تنصب علي المسلمين وتلاحقهم البلايا والنوائب التي عششت في ديارنا فما دهانا حتى قلبت لنا الدنيا ظهر المجن وتداعت علينا الأمم كما تداعتً الذئاب علي الفريسة وطمع فينا مالا يدفع عن نفسه وسلط علينا الأشرار وتحكم فينا الفجار وهنا علي الناس وهنا



علي أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بالله لقد وصلت الأمة الإسلامية إلي فرنسا وكسرت صلبان الروم وأطفأت نار فارس. بلغ بها العز أي الأمة الإسلامية أن امرأة تستغيث من الصين بأمير المؤمنين وما هي إلا أن تتقوه بكلمة واحدة قائلة وامعتصماه فيسير أمير المؤمنين المعتصم رسالته الشهيرة (من أمير المؤمنين إلي كلب الروم أما بعد أطلق صراح المرآة وإلا أرسلت لك جيشاً أوله عندك وأخره عندي وإذا بحاكم الروم يفرج عن المرآة ويرسل إلي أمير المؤمنين باعتذار)

فتح المسلمون الأندلس "أسبانيا، البرتغال، قبرص " وغيرها عندما أقاموا حدود الله وكان ذلك الفتح علي يد طارق بن زياد وفي خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢ هـ يوليه ٧١١ م.

وقد اقاموا في هذه البلاد شرع الله وسنة رسول الله ((صلي الله عليه وسلم)) فاستقام لهم إلا مر واستتب وأسلم الكثير والكثير من أهل هذه البلاد بسبب عدل المسلمين وتمسكهم بالدين السمح الحنيف وبعد ذلك لما حادوا علي الطريق المستقيم وافترشوا القصور وأهملوا وضيعوا أوامر علام الغيوب وركنوا إلي الدنيا. زالت عنهم النعم وحلت بهم النقم

ولنأخذ بعض الأمثلة التي تدل علي انغماسهم في الدنيا ها هو المعتمد حاكم بعض ولايات الأندلس ذلكم الشجاع القوي يستعين به حاكم ولاية مجاورة غزاً عليها أحد أعدائه فيسرع المعتمد لنجدة ذلك الرجل.

ويرجع ذلك الغازي مدحوراً لما رأي جيوش المعتمد هنا انتهت مهمة المعتمد لكنه في ظلام الليل يقوم ببث جيوشه في المدينة وحول قصر من استنجد بة ويحتل المدينة ويالة من مجير أصيب ذلك الحاكم لأنه دعاه أصيب بصدمه عنيفة شل منها قبض عليه أخرج من ولايته مهانا ذليلاً، يقول أبوه والله إن هذه بسبب دعوة مظلوم ظلمناه بالأمس ثم يرفع يديه إلي من لا يغفل ولا ينام إلي من لا يغفل عما يعمل الظالمون قائلاً (اللهم كما انتقمت للمظلومين منا فإنتقم لنا من الظالمين) وتصعد الدعوة إلي من ينصر المظلوم يظل المعتمد في ملكه فترة ينام والمظلوم يدعو عليه وعين الله لم تنم وتجتاحه دولة المرابطين في ليلة من الليالي تأسره في أخر الليل ويقضي حياته في اغمات في بلاد الغرب أسيراً حسيراً كسيراً، وأصبح بناته المترفات اللاتي كنا يخلطن لهن التراب بالمسك ليمشين عليه أصبحت حسيرات يغزلن للناس الصوف ما عندهن ما يسترن به سوأتهن ويأتين اباهن في يوم العيد في السجن فيبكي وينشد

فيما مضي كنت بالأعياد مسروراً فسائك العيد في اغمات مأسوراً

تـري بناتـك في الأطمـار جائعة يغزلنّ للناس ما يملكن قطميراً

بـرزن نحـوك للتسليم خـاشعة أبصارهـن حسيرات مكاسيراً

يطأن في الطين والأقـدام حافيـة كأنها لم تطـأ مسـكاً وكافوراً

من بات بعدك في ملك يســـر به فإنما بـات بالأحلام معروراً



ظل المسلمون بعد أن ركنوا إلي حياة الترف والبذخ وأهملوا شئون البلاد ودبت بينهم عوامل الفرقة والخلاف في الوقت الذي اخذ الاتحاد بين نصاري اسبانيا شكلا أكثر تأثيرا وكان ذلك في زمن ابي الحسن ملك المسلمين الذي ركن إلي الدعه وأطلق العنان لأهوائه وبذر حوله صخور السخط والغضب بسبب ما ارتكبه في حق القادة من صنوف العسف والشدة وما اغرق فيه من ألوان اللهو والعبث وكان وزيرة أبو القاسم يجاريه في أهوائه وهكذا كانت عوامل الفساد والانحلال والتفرق تعمل عملها الهادم وتحدث أثرها الخطرة وتفاقم النزاع بين أبي الحسن وأخيه عبد الله ولم يحسم بينهما السيف وعقد بينهما هدنه علي أن يمتلك كلا منهما جزءا وفي هذه الاونه أعلن البابا الجهاد المقدس ضد جيوش المسلمين كما يزعم فهرعت جيوش النصرانية مع ايطاليا واسبانيا وألمانيا وفرنسا واتحدت علي إخراج المسلمين وكانت هناك ملكه تحكم اسبانيا ملكه كاثوليكيه " إيزابيلا " زوجة الملك فرنادوا الثالث ونظرت ألا تستحم حتى تخرج المسلمين من الأندلس فمكثت علي ذلك أربعين عاما. وأخذت الجيوش الصليبية تخرج المسلمين حتى لم يبقي إلا غرناطة أخر معاقل المسلمين في الأندلس فحاصروها حصارا شديدا ولم يجد المسلمون بد من التسليم وعقد معاهدة مع الأسبان بقيادة فرنادوا الذي أستقبل مندوب أبي عبد الله محمد ملك غرناطة وأخر ملوك المسلمين في الأندلس. وجرت المفاوضات علي التسليم واستمر بضعة أسابيع وانتهي الفريقان إلي وضع معاهدة وافق عليها الجميع

وكان ذلك في ٢١ محرم ٨٩٧ الموافق ٢٥ / ١١ /١٤٩١ م وقد تضمنت المعاهدة شروطا بلغت ٥٦ مادة خلاصتها أن يسلم المسلمون غرناطة للأسبان ويخرجوا سالمين ومن أراد البقاء في غرناطة لا يتعرض له نصارى الأندلس بأي أذي في دينه أو ماله أو عرضه كذلك حرية المسلمين في إقامة شعائرهم واحترام مساجدهم وفك أسراهم. وبعد المعاهدة رحل الكثير من المسلمين إلي أفريقيا وبقي الكثير أيضا الذين ظنوا أن الكنيسة سوف تلتزم ببنود المعاهدة ولبس النصارى الأسبان مدة علي بنود المعاهدة وبعد ذلك تغير الحال تماما يصف مؤرخ اسباني عاش قريبا من ذلك العصر نيات الكنيسه نحو المسلمين بقوله: إنه منذ استولي فرنادو علي اسبانيا كان الأحبار يطلبون إليه أن يعمل علي سحق طائفة محمد من أسبانيا وأن يطلب من المسلمين الذين يودون البقاء إما التنصير أو بيع أملاكهم والعبور إلي المغرب " ولم يكن هذا بعيد عن فكر ملكي اسبانيا فرنادوا وزوجته " الذي لم يحجم قط عن أن يقطع العهود والمواثيق متي كانت لتحقيق مأربه وأن يسبغ علي سياسته الغادرة ثوب الدين والورع ولم يعتبر نفسه ملزما بعهود متي أصبحت تعارض سياسته. ونشط ديوان التحقيق الذي تدعمه الكنيسه إلي مزاوله قضائه المدمر وكان ضحاياه من المسلمين ثم المورسكين " العرب المتنصرين كما يطلقون عليهم " كانت الكنسه تحاول بكل الطرق ان تنصر المسلمين بالوعظ فلما فشلت جنحت إلي العنف والمطاردة ولم تذكر ما قطعت من عهود. وكان وراء هذه السياسة حبران كبيرا هما الكردينال خمنيس مطران طليطله ورأس الكنيسة الاسبانية والدون ديجوديبسا المحقق العام لديوان التحقبق وهنا خرقت الكنيسة المعاهدة نصا نصا وأغلقت المساجد وحظرت علي المسلمين إقامه شعائرهم. واستدعي الكردنال خميس إلي غرناطة ليعمل علي تنصير المسلمين وكان ذلك سنه ٩٠٥ هـ الموافق يوليه ١٤٩٩



وأغدقوا علي المسلمين المال ليقبلوا التنصير منهم من قبل بذلك ظاهرا حتى لا ينتقم منه والقليل من ضعاف الإيمان تنصروا وتمركزت حركة التنصير في غرناطة في حي البيازين حيث حول مسجدهم إلي كنيسة سميت " سان سلبا دور " وهي موجودة حتى الآن وما تزال توجد في مؤخرتها عقود المسجد القديمة واحتج المسلمون علي هذه الأعمال وخرق المعاهدات ولكن الكاردينال خمنيس نظم حركه إرهابيه انتهت بتوقيع التنصير المغصوب علي عشرات الألوف من المسلمين وقرنها بارتكاب عمل بربري حيث أمر بجمع كل ما يستطاع جمعه من الكتب العربية من أهالي غرناطة ونظمت أكداسا في ميدان باب الرملة أعظم ساحات المدينة ومنها كثير من المصاحف واضطرمت النيران فيها جميعا وذهبت ضحية هذا الإجراء الهمجي عشرات الألوف من الكتب العربية الإسلامية. وقد وصف هذا العمل الايطالي الأب سكيا برللي بقوله التعصب الكاثوليكي وثورات خمنيس البربرية التي ترتب عليها إحراق المصاحف والكتب الإسلامية الأخرى لمسلمي غرناطة وذلك لكي يتوسل بذلك إلي تنصيرهم.

وجاء في كتاب أخبار العصر عن هذه المرحلة من التنصير لمسلمي غرناطة " ثم بعد ذلك دعاهم ملك قشتاله إلي التنصير وأكرههم عليه وذلك في سنه أربعه وتسعمائة فدخلوا في دينهم كرها وصارت الأندلس كلها نصرانيه ولم يبق فيها من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله إلا من يقولها في قلبه وفي خفيه من الناس وجعلت النواقيس في جوامعها بعد الآذان وفي مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله وتلاوة القرآن فكم فيها من عين باكيه وقلب حزين وكم فيها من الضعفاء والمعذورين لم يقدروا علي اللحاق بإخوانهم المسلمين قلوبهم تشتعل نارا ودموعهم تسيل سيلا غزيرا ينظرون إلي أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان ويأكلون الخنازير والميتان ويشربون الخمر التي هي أم الخبائث فلا يقدرون علي منعهم ولا علي نهيهم ومن فعل ذلك عوقب باشد العقاب فيالها من فجيعه ما امرها ومصيبه ما اعظمها ثم يختم بقوله وانطفأ من الاندلس الاسلام فعلي هذا فليبك الباكون وينتحب المنتحبون فإن لله وإن اليه راجعون " ومن أمتنع عن التنصير جمع لهم الاسبان الجموع واستأصلوهم قتلا وسبيا ومنهم من فر إلي فارس بعيالهم. وبعد هذا كان من أظهر التنصير من المسلمين يعبد الله خفيه فشدد عليهم النصاري في البحث حتى أحرق منهم الكثير ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد ومضت مراحل التنصير بمختلف الوسائل حتى أصدر فرنادوا تشريع يلزم المسلمين والموريسكين للسكن في أحياء خاصه بهم يفصل بينها وبين أحياء النصاري أسوار كبيرة " كما تفعل أسرائيل الان مع الفلسطينين " ومكث المسلمون علي ذلك حتى تولي الملك فيليب الثاني وكان نصرانيا متعصبا واصدر قوانين أشد صرامه منها تحريم أستعمال اللغه العربيه وأرتداء الثياب العربيه " كما فعل أتاترك لنبين مدي قدم المخططات والمكيدة للاسلام " وأعطي للموريسكين ثلاثه أعوام لتعلم اللغه الاسبانيه وبعد ها يمنع التخاطب والقراءة والكتابه بالعربيه حتى العقود العربيه باطله ويجب أن تسلم الكتب العربيه ويحظر التحجب وعلي النساء كشف وجوههن وارتداء القبعات ويحرم الخضاب بالحناء وتغسيل الموتي وتكفينهم والاستحمام في الحمام. أنشأ النصاري محاكم التفتيش للبحث عن كل مسلم وسموها المحاكم المقدسه وجندوا لها كل طوائف الشعب حتى جعلوا الزوجه تتجسس علي زوجها حدث أن إمراة



نامت وطفلها بجانب زوجها فسمعته يهذي بكلام وهو نائم فابلغت عنه ديوان التفتيش فقبضوا عليه واعدموه. كانت مهمة محاكم التفتيش حرق بقايا المسلمين وقتل ابنائهم في اسبانيا والبرتغال حتى أنهم أقاموا مذبحه لمن تبقي في البرتغال من المسلمين في لشبونه عاصمه البرتغال سنه ٩١١ هـ ١٥٠٦ م أستمرت ثلاثة أيام في نساء ورجال واطفال المسلمين. ورغم ذلك بقي بعد المتنصرين مخلصا للدين الاسلامي يقول مؤرخ أسباني كتب قريبا عن ذلك العصر ادرك الموريسكين وعاش بينهم في غرناطه: كانوا يشعرون دائما بالحرج من الدين الجديد فإذا ذهبوا إلي القداس أيام الاحد فذلك من باب العرف والنظام وفي يوم الجمعه يحتجبون ويغتسلون ويقيمون الصلاة في منازلهم وإذاعُمد أطفالهم عادوا فغسلوهم سرا بالماء الحار وفي حفلات الزواج متي عادت العروس من الكنيسه بعد تلقي البركه " كما يزعمون " تنزع ثيابها النصرانيه وترتدي ثيابها العربيه ويقيمون صلاتهم وفقا للتقاليد العربيه " وفي سنه ١٦٠٩ م الموافق ١٠١٨ هـ بعد أن فشل الاسبان في تحويل المسلمين إلي نصاري قرروا نفيهم إلي المغرب وكان عدد المسلمين يقارب ٦٠٠ الف " يقارب ستمائة الف " وهو أقرب إلي الصواب وقيل مليون والله أعلم. ورغم ما في ما حدث من ايلام للنفس إلا أن ذلك يوضح أن الاسلام عميق الاثر لا يمكن لانسان أن ينتزعه من مسلم ولو بأغلي الاثمان وان ماحدث في الاندلس يجعلنا نتذكر وصايا النبيلجيشه بان لا يقطعوا الاشجار ويعتدوا علي راهب في كنيسه ولا يحرقوا ولا يتلفوا الاشياء انما حدث يجعلنا ندرك سماحة الاسلام دين الرافه والرحمه دين من تمسك به ساد وكان مشعل هدايه ومن اهمله بعد ان ذاق حلاوته لزمه الصغار والبوار والعار وها هي الادله بين ايدينا قديما وحديثا وما حدث في الاندلس من ابادة للمسلمين وتحوبل المساجد الي كنائس يحدث الان في تركيا حيث اصدرت الحكومه التركيه منع الاباء من ان يسموا ابنائهم اسماء اسلاميه " مثل محمد واحمد وفاطمه وغيرها " وماحدث في اسبانيا حدث في البوسنه والهرسك ومايزال يحدث في الجمهوريات الاسلاميه في روسيا ولك ان تقارن بين ما فعله نصاري الاندلس مع المسلمين وما فعله احد ملوك المسلمين في الاندلس وهو المنصور بن يعقوب عندما حاصر مدينه طليطله وكاد ان ينزل من فيها علي ارادته غير ان ام ملك طليطله وبناته نزلن واستغثن بالمنصور فاكرم مثواهن واعادهن الي مقارهن معززات مكرمات. وقد صدق الله حيث قال "دينا قيما" وخرج المسلمون من الأندلس نهائياً بعد ثمانية قرون. من ٩٢ هـ إلي ٨٩٧ هـ وعند خروج أبو عبد الله الصغير آخر ملوك المسلمين في الاندلس من غرناطة وقف علي تل من التلال القريبة من قصر الحمراء قصر الحكم في غرناطة وهو يبكي وينتحب ويقول سلام عليك لا لقاء بعد فقالت له أمة عائشة الحره أجل فلتبكي كالنساء علي ملك لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال. ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء من** ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا

وما حدث هذا إلا من تراكم ذنوب صغار وكبار في أعوام وأعوام وقد حذر الرسول صلي الله عليه وسلم من الاستهانة بصغائر الذنوب فما بالنا بالكبائر.

روي الإمام أحمد بن حنبل وصححه الألباني بإيراده في صحيح الجامع عن ابن مسعود أن رسول الله قال (إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن علي الرجل حتى يهلكنه



وضرب لهن رسول الله مثلاً كمثل قوم نزلوا أرضا فلاه فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجئ بالعود حتى جمعوا سواداً وأججوا ناراً فأنضجوا ما قذفوا فيها)

قصيدة الرندي في رثاء الأندلس

لكل شئ إذا ما تم نقصان. . . . فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول. . .. من سره زمن ساءته أزمان
تبكي الحنيفية البيضاء في أسف. . كما بكي لفراق الإلف هيمان
علي ديار من الإسلام خالية. . . .. قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما.. فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة. . حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلاً وله في الدهر موعظة. . إن كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشياً مرحاً يدهيه موطنة. . أبعد حمص تعز المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها. . وما لها من طويل الدهر نسيان
يا راكبين عناق الخيل ضامرة. . كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة. . كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعه. . لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس. . فقد مضي بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بها المستضعفون وهم. قتلي وأسري فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم. . . وأنتم يا عباد الله إخوان
ألا نفوس أبيات لها همم. . أما علي الخير أنصار وأعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم. . . أحال حالهم كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم. . واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلوتراهم حياري لا دليل لهم. . . . عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم. . . لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يارب أم وطفل حيل بينهما. . . كما تفرق أزواج وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت.. كأنما هي يا قوت ومورجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة. . والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من محمد. . إن كان في القلب إسلام وإيمان

الدولة الطولونية :



في مصر أسسها أحمد بن طولون وأصله تركي كان احمد بن طولون من جاريه تركية وكان أبوه مملوكا حمله نوح بن أسد عامل بخاري إلي المأمون فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك فولد احمد في منصب ذله تستظهر بالطغيان وكانت هاتان طبيعته إلي أخر عمره فذهب بهمته مذهبا بعيدا ونشأ من أول أمره علي أن يتم هذا النقص ويكون اكبر من أصله فطلب الفروسية والعلم الحديث وصحب الزهاد وأهل الورع وتميز علي الأتراك وطمح في المعالي وظل يرمي بنفسه وهو في ذلك يكبر ولا يزال يكبر كأنما يريد ان ينقطع من أصله ويلتحق بالأمراء فلما التحق بهم ظل يكبر ليلحق بالملوك كما بلغ هؤلاء كان بيته علي ما يعلم الله وكان عقله من اثر طبيعته كالعقلين لرجلين مختلفين فله يد مع الملائكة و يده الأخري مع الشياطين فهو الذي بني المارستان وانفق عليه وأقام فيه الأطباء وشرط اذ جئ بالعليل أن تنزع ثيابه وتحفظ عند امين المارستان ثم يلبث ثيابا غيرها ويفرش له ويغدي عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ ولم يكن هذا قبل إمارته وهو أول من نظر في المظالم من أمراء مصر وهو صاحب يوم الصدقة يكثر من صدقاته كلما كثرت نعم الله عليه ومرتباته لذلك في كل أسبوع ثلاثة ألاف دينار سوي مطابخها التي أقيمت في كل يوم في داره وغيرها يذبح فيها البقر والكباش ويفرق للناس ولكل مسكين أربعه اغرفه يكون اثنان منهما فالوذج(ما يسميه العامة بالوظه)وفي الآخرين من القدور وينادي من أحب أن يحضر دار الأمير فليحضر وتفتح الأبواب ويدخل الناس وهو في المجلس ينظر إلي المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله علي نعمته وكان راتب مطبخه في كل يوم ألف دينار وقد بلغ ما أرسله ابن طولون الي فقراء بغداد وعلمائها في مده ولايته ألفي ألف ومائتي دينار وكان كثير التلاوة للقرأن وقد اتخذ حجره بقربه في القصر وضع فيها رجالا سماهم بالمكبرين يتعاقبون الليل نوبا يكبرون ويسبحون ويقرأون القرأن وهو الذي فتح انطاكيه سنه خمس وستين ومائتين. ومع كل ذلك كان رجلا طائش السيف يجور ويظلم.

وهذا الرجل قتل ثمانية عشره الفا من المسلمين قتلهم بقتله هي أبشع أنواع القتل حبس عنهم الطعام والشراب حتى ماتوا جوعا وعطشا سمع ابو الحسن الزاهد عليه رحمه الله فاقد مضجعه أن يسمع بإخوانه يعذبون ثم لا يذهب لنصرتهم وقد سمع رسول الله يقول: أفضل الجهاد كلمه حق عند سلطان جائر (أخرجه الترمذي وابن ماجه)ذهب إليه وقال له اتقي الله فأرغي وأزبد وأمر بأن يسجن وأمر بأسد ان يجوع لمدة ثلاثة أيام ثم جاء فجمع الناس جميعهم ثم كان فيهم الي أن جاء بهذا الرجل وجاء بالأسد المجموع ثلاثة أيام وقام الرجل يصلي أما الأسد وقد أطلقوه عليه فأنطلق الأسد حتى قرب منه ثم توقف وقام ينظر إليه ويشمشمه ويسيل اللعاب علي يديه فما كان من الناس إلا أن ذهلوا وإذا بالأسد يرجع وبعد ذلك اجتمعوا بشيخهم وقالوا يا أبا الحسن فيما كنت تفكر يوم قدم عليك الأسد قال والله ما فكرت فيما فيه تفكرون ولكني كنت أقول ألعاب الأسد نجس أم طاهر لكي لا يفسد وضوئي وأنا متصل بالله. كانت أخته كثيرة البذخ حتى قيل إنها قد زوجت بعض لعبها وأنفقت علي وليمة عرسها مائه ألف دينار فما مر مضي إلا قليلاً حتى رؤيت في سوق من أسواق بغداد وهي تسأل الناس.



ومات أحمد بن طولون وخلفه ابنه خمارويه الذي زوج ابنته قطر الندي إلي ابن الخليفة العباسي المعتضد بالله الذي قدم لها صداقاً ألف ألف درهم ورغم ضخامة هذا المبلغ إلا أنه كان جزءاً يسيراً مما انفقة خمارويه حيث أرسل معها أريكة أربع قطع من الذهب وعليها قبة من ذهب مشبك في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبه جوهر لا يعرف لها قيمة ومائه هون من الذهب، وقيل إنه لم يبق خطيرة ولا طرفه من كل لون وحسن إلا حمله معها وقد أراد أن يوطد العلاقة مع خليفة المسلمين بهذا الزواج وإذا بخادمه يذبحه وهو علي فراشه وتنتهي الدولة الطولونية بمصر ولم تدم طويلاً لأن دولة الظلم ساعة ودلة الإيمان إلي أن تقوم الساعة.

الدولة الفاطمية :

قال ابن الأثير: إن الدولة الفاطمية لم تكن من المطاعن بمنجاه وكان هذا الطعن يتناول صحة نسب العُبيدين إلي آل البيت وشرعية إمامتهم وتعاليمهم وقد اتخذوا صبغه سياسية رسمية ففي ٤٠٢ هـ أصدر بلاط بغداد في عهد الخليفة القادر بالله محضراً رسمياً موقعاً عليه من كبار الفقهاء والقضاه وبعض أكابر الشيعة يتضمن الطعن في نسب الفاطميين خلفاء مصر وأنهم ليسوا من آل البيت بل هم ديصانية ينتسبون إلي ميمون بن ديصان بل أنهم كفار زنادقة وفساق ملاحده أباحوا الفروج وأحلوا الخمور وسبوا الأنبياء وأدعوا الريبوبية.

وفي سنة ٤٤٤ هـ كتب ببغداد محضراً أخر يتضمن نفس المطاعن وزيد فيه أن الفاطميين يرجعون إلي أصل يهودي أو مجوسي.

وهم ينسبون أنفسهم إلي السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (صلي الله عليه وسلم) دعوا إلي المذهب الشيعي وتمسحوا في آل البيت لنشر دعوتهم وأقاموها في تونس وفيها انتشرت البدع والخزعبلات وانتشرت الضلالات والاحتفالات بالموالد وإحلال البدع محل السنة وقد بنوا الجامع الأزهر سنة ٣٦١ هـ بالقاهرة لنشر المذهب الشيعي ولا يزالوا ينتقلوا في ضلالاتهم حتى ادعوا أن الحاكم بأمر الله وهو حاكم الدولة هو الله ولما مات قالوا ذهب وسوف يعود. يوم ملك الفاطميون مصر عطلوا الصلوات وحاربوا أهل السنة وذبحوا منهم الكثير واستدعي المعز لدين الله الفاطمي أمير الفاطميين أبا بكر النابلسي الزاهد العابد وقال له بلغني عنك أنك قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعه ورميت الفاطميين بسهم قال: لا فظن أنه رجع عن قوله قال: كيف قال قلت: ينبغي رميكم أيها الفاطميون بتسعة ورمي الروم بالعاشر فأرغي وأزبد وأمر بضربه في اليوم الأول ثم أمر بإشهاره في اليوم التالي ثم أمر في اليوم الثالث بسلخه حياً فجئ بيهودي فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن حتى أشفق عليه اليهودي فلما وصل إلي قلبه وهو يسلخه طعنه بالسكين ليلقي ربه.

فما كانت النتيجة فرق الله ملكهم وشردهم في كل مكان.

في سنة ٣٥١ هـ دخل الروم إلي حلب بصحبه الدمستق ملك الروم لعنة الله في مأتي ألف مقاتل وكان سبب ذلك أنه ورد إليها بغته فنهض إليها سيف الدولة بن حمدان بمن حضر عنده من المقاتلة فلم يقويه لكثرة جنوده وقتل من أصحاب سيف الدولة خلقاً كثيراً



وكان سيف الدولة قليل الصبر ففر منهزماً في نفر يسير من أصحابه فأول ما استفتح به الدمستق قبحه الله أن استحوذ علي دار سيف الدولة وكانت ظاهر حلب فأخذ ما فيها من الأموال العظيمة والحواصل الكثيرة والعدد والآت الحرب أخذ من ذلك ما لا يحصي كثرة وأخذ ما فيها من النساء والولدان وغيرهم ثم حاصر سور حلب فقاتل أهل البلد دونه قتالاً عظيماً وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم وثلمت الروم بسور حلب ثلمة عظيماً فوقف فيها الروم فحمل المسلمون عليهم فأزاحوهم عنها فلما جن الليل جد الملثمون في إعادتها فما أصبح الصباح إلا وهي كما كانت وحفظوا السور حفظاً عظيماً ثم بلغ المسلمون أن الشرط والبلاجية قد عاثوا في داخل البلد ينهبون البيوت فرجع الناس إلي منازلهم يمنعونها منهم قبحهم الله فإنهم أهل شر وفساد فلما فعلوا ذلك غلبت الروم علي السور فعَلوه ودخلوا البلد يقتلون من لقوة فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيرا وانتهبوا الأموال وأخذوا الأولاد والنساء وخلصوا من كان بأيدي المسلمين من أساري الروم وكانوا ألفا وأربعمائة فأخذ الأسرى السيوف وقاتلوا المسلمين وكانوا أضر علي المسلمين من قومهم وأسروا نحوا من بضعة عشر ألفاً ما بين صبي وصبية ومن النساء شيئاً كثيراً ومن الرجال الشباب ألفين وخربوا المساجد وأحرقوها وصبوا في جباب الزيت الماء حتى فاض الزيت علي وجه الأرض وأهلكوا كل شئ قدروا عليه وكل شئ لا يقدرون علي حمله أحرقوه وأقاموا في البلد تسعة أيام يفعلون فيها الأفاعيل الفاسدة العظيمة كل ذلك سبب فعل البلاجية والشرط في البلد قاتلهم الله وكذلك حاكمهم ابن حمدان كان رافضيا يحب الشيعة ويبغض أهل السنة فاجتمع علي أهل حلب عدة مصائب ثم عزم الدمستق علي الرحيل عنهم خوفاً من سيف الدولة فقال له ابن أخيه: أين تذهب وتدع القلعة وأموال الناس غالبها فيها ونساؤهم فقال له الدمستق: إنا قد بلغنا فوق ما كنا نأمل وإن بها مقاتلة ورجالاً وغزاة فقال له: لابد له منها فقال له: أذهب إليها فصعد إليها في جيش ليحاصرها فرموه بحجر فقتلوه في الساعة الراهنة من بين الجيش كله فغضب عند ذلك الدمستق وأمر بإحضار من في يديه في أساري المسلمين وكانوا قريباً من ألفين فضربت أعناقهم بين يديه لعنة الله ثم تراجع وقد دخلوا عين رزبة قبل ذلك في المحرم من هذه السنة فاستأمنة أهلها فأمنهم وأمر بأن يدخلوا كلهم المسجد ومن بقي في منزلة قتل فصاروا إلي المسجد كلهم ثم قال: لا يبقين أحد من أهلها اليوم إلا ذهب حيث شاء ومن تأخر قتل فازدحموا في خروجهم من المسجد فمات كثير منهم وخرجوا علي وجوههم لا يدرون أين يذهبون فمات في الطرقات منهم خلق كثير ثم هدم الجامع وكسر المنبر وقطع من حول البلد أربعين ألف نخلة وهدم سور البلد والمنازل المشار إليها وفتح حوله أربعة وخمسين حصناً بعضها بالسيف وبعضها بالأمان وقتل الملعون خلقاً كثيراً وكان في جملة من أسر أبو فراس بن سعيد بن حمدان نائب منبج من جهة سيف الدولة وكان شاعراً مطيقاً له ديوان شعر حسن وكان مدة مقامة بعين زربة إحدي وعشرين يوماً ثم سار إلي قيسرية فلقية أربعة الآف من أهل طرسون مع نائبها ابن الزيات فقتل أكثرهم وأدركه صوم النصارى فاشتغل به حتى فرع منه ثم هجم علي حلب بغتة وكان من أمره ما ذكرناه وفيها كتبت العامة من الروافض علي أبواب المساجد لعنة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) وكتبوا أيضاً: لعنة الله من غصب فاطمة حقها وكانوا يلعنون أبا بكر ومن أخرج العباس من الشورى يعنون



عمر ومن نفي أبا ذر يعنون عثمان رضي الله علي الصحابة وعلي من لعنهم لعنة الله ولعنوا من منع من دفن الحسن عند جده يعنون مروان بن الحكم ولما بلغ ذلك جميعه معز الدولة لم ينكره ولم يغيره ثم بلغه أن أهل السنة محو ذلك وكتبوا عوضه: لعن الله الظالمين لآلي محمد من الأولين والأخرين والتصريح باسم معاوية في اللعن فأمر بكتب ذلك قبحة الله وقبح شيعته من الروافض لا جرم أن هؤلاء لا ينصرون وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلي الروافض لا جرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء بل يديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم وتقاليدهم سادتهم وكبراءهم وآباءهم وتركهم أنبياءهم وعلماءهم ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام وكان فيهم الرفض وغيره استحوذ الفرنج علي سواحل الشام وبلاد الشام كلها علي بيت المقدس ولم يبق مع المسلمين سوي حلب وحمص وحماة ودمشق وبعض أعمالها وجميع السواحل وغيره مع الفرنج والنواقيس النصرانية والطقوس الإنجيلية تضرب في شواهق الحصون والقلاع وتكفر في أماكن الإيمان من المساجد وغيرها من شريف البقاع والناس معهم في حصر عظيم وضيق من الدين وأهل هذه المدن التي في يد المسلمين في خوف شديد في ليلهم ونهارهم من الفرنج فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء. حقا إن المعاصي تزيل النعم وتجلب الكرب.

بومبي:

عبره من بومبي يقول ولعمري إن في بومبي (وهي هضبة صغيرة قريبة من بركان فيزون من مقاطعة نابولي في إيطاليا بلغ سكانها مائه وعشرين ألفا وكانت المحله التي يقضي فيها أغنياء العالم الرومان أوقات الاستمتاع بملذاتهم وشهواتهم وقد غطيت بحمم " فيزون " منذ سنة ٧٩ بعد الميلاد واستمرت محجوبة حتى عام ١٧٤٨ م حيث عثر أحد الفلاحين علي بعض أثارها فبدأت الحفريات حتى أمكن إظهار أكثرها عن لا روس) وفيها وحدها ما يكفي لإيقاظ ضمير الإنسان لو في أن ضميره حياه. لقد أخبرنا التاريخ بهلاك هذه البلدة في غمره مفاجئه من حمم " فيزون " طمستها في دقائق معدودة ولكنه لم يعرفنا شيئاً عن هذه المدينة سوي أنها بلد الفن الإيطالي حتى إذا شاء الله أن يكشف عبرتها هدي الله الإنسان إلي إبرازها من تحت الركام فإذا هناك عجب شعب بأكمله استحال إلي محنطات لم يبل منها شئ ولم يتغير وضع حتى الخباز في يديه لوحاً مستخرجاً به الخبز وحتى السكاري يمسكون بكؤوس الخمر علي شفاههم وحتى الفاسقون في اشنع حالات الفحشاء.

وكان من بالغ عبره بومبي ما يراه السائحون هناك فوق مداخل بعض القصور رسوم موازين منحوته في الصخر في أحدي كفتي الواحد منها أكداس من الجواهر يقابلها في الأخرى رمزاً اتخذوه للفاحشة راجحاً علي تلك الأكداس إشارة إلي أن الشهوة عندهم هي غاية الحياة.

وما وقع في هذه القرية ليذكرني بما وقع في أيامنا هذه منذ أعوام بسيطة في أحفاد الخنازير في الملاعين الذين يدعون إسرائيل عندما كانوا في مرقص يرقصون ويتلاعبون ويجاهرون بما يغضب علام الغيوب وإذا بالمنتقم الجبار يخسف بهم المرقص



ويهوي بهم في مكان سحيق فانقلب الفرح ترح والسعادة حزن وكأبه والحفل إلي مآتم وجنازة " وما ربك بظلام للعبيد ".



العـــراق:

وما حال العراق اليوم بخافي علي أحد وما حال بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية أعواماً وأعوام بخاف علي إنسان وما يصنع بالمسلمين في بغداد وهي التي أسسها أبو جعفر المنصور سنة ١٤٦ هـ لتكون عاصمة لدولة الإسلام.

وقد أفرد لها ابن كثير في (البداية والنهاية) كلاماً طيباً قال: كان يقال لها مدينة السلام، وقال فيها الشافعي ما دخلت بلداً قط الا عددتة سفراً إلا بغداد فإني حين دخلتها عددتها وطناً وقال بعضهم الدنيا بادية وبغداد حاضرتها.

فما بالنا بمدينة كانت عاصمة للخلافة الإسلامية المترامية الأطراف كانت بغداد قمة شامخة لا تتزعزع عندما كان نور الإسلام وتعاليمه تشع علي العالم بأثره منها أما عندما ضل حكامها وعاسوا في الأرض الفساد وقتل علي ترابها الآلاف المؤلفة من المسلمين ورويت الأرض بدمائهم أبادها التتار وقدر الله أن تقوم لها قائمة بعد ذلك وظلت وطردت التتار وظلت بغداد تعلوا وتحبوا حتى وصلنا إلي عصرنا الحالي وانتشر المذهب الشيعي معذرة أقصد الكفر المزين ووالله ما أدري بأي عقل يعيشون وبأي دين يدينون عموماً ليس هذا موضوع حديثنا ولما غابت عنها أصول العقيدة الصحيحة أصبحت الأبواب مفتوحة لدخول الضلال إليها فظهرت فيها الفواحش وحكمها حكام، الله أعلم بدينهم فها هو حاكم العراق المخلوع يجمع كل من كان في رأسه فكر ديني إلي سجون بغداد وأطلق عليهم النار وكانوا ثلاثة الآف شاب ودفنوهم في الزنازين هذا الحاكم الذي حرق الأكراد هذا الحاكم الذي حارب إيران ثمان سنوات أهلك فيها الآف الشباب المسلم. ثم ترك الحرب هذا الحاكم البعثي الذي أعلي القومية العربية علي الشريعة الإسلامية مقتديا بسلفه " جمال عبد الناصر " صدام الذي جعل دستوره حزب البعث الذي أسسه النصراني ميشيل عفلق وجعل مبادئ الحزب اشتراكية علمانية رابطة القومية عنده هي الرابطة الوحيدة. انتشرت في أيام هذا الحاكم دور الدعارة المصرح بها من الحكومات والتي كانت تسمي " كولية " وقد أقسم لنا من ذهب للعمل بالعراق وهم كثير أن الرجل العراقي كان يستجلب الزبائن لفعل الفاحشة في أمة أو أخته ولا حول ولا قوة إلا بالله خربت العراق وحل فيها الكفرة الأنجاس من مختلف الأجناس وتداعت عليها جميع الجنسيات هتكت الأعراض وخربت الديار ونهبت الأموال علي أيدي الصليبين الأوغاد وانتشر الخونة الذين باعوا دينهم بابخث الأثمان واصطاد النفعيون من حزب الله وإيران في مياه الضلال العكرة وارتفعت راية الشيعة وانخفضت راية السنة إن حال العراق اليوم يتفطر له القلب حزنا وألما " إن في ذلك لعبرة ".

قصة وعبره:

هاهم أهل قرية من القري قبل وقت من الزمن نقص عددهم بسبب الحروب التي كانت تقام بين القبائل لأ تفه الأسباب فما كان منهم إلا أن فكروا في أن يزيدوا عددهم فاجتمعوا وعقدوا مؤتمراً لهم وكان قائدهم في ذاك المؤتمر إبليس عليه غضب الله ونعوذ بالله منه فأتفقوا علي أن يرجع كل واحد من أهل هذه القرية فيقع علي محارمه يقع علي أخته وبنته ليكثر العدد فما كان منهم إلا أن رجعوا من اجتماعهم منهم من رجع إلي أهله فنفذ ما اجتمعوا عليه ومنهم من رضي بذلك ولم يفعل والراضي كالفاعل



فما كانت النتيجة أي ظلم وأي ظلمات أن يقع الأب علي ابنته أو يقع الأخ علي أخته أو المحرم علي محارمه أنه والله الظلم والظلمات فماذا كان منهم أرسل الله عز وجل جنداً من جنوده " وما يعلم جنود ربك إلا هو " (المدثر: الآية ٣١). يخرج عليهم نمل تقوم النملة فتلدغ الواحد منهم فيذبل ثم يذبل ثم يذبل ثم يموت وهكذا واحداً وراء الأخر فما كان من أحدهم إلا أن أراد (أن يفلت سرق من أموالهم ما سرق جمع من الذهب والفضة ما جمع ثم أخذه في وعاء معين ثم حفر له تحت صخرة من الصخرات. ثم ما كان منه إلا أن علمه بهذه الصخرة وذهب هارباً إلي مكة وبقي في مكانة زمناً قيل " عشرون سنة أو أكثر من ذلك " ثم تذكر ذلك الذي حصل فما كان من هذا الرجل بعد عشرين سنة إلا أن أرسل واحداً من أهل مكة ما استطاع هو بنفسه أن يرجع هو إلي هناك قال أذهب إلي ذاك المكان وستجد في المكان الفلاني تحت الصخرة الفلائية والمكان فيه كذا وكذا خذه وأتيني به ولك كذا وكذا.

ذهب الرجل علي وصفه وسأل عن المكان واستخرج ذلك الكنز وجاء به إليه في مكة ويوم وصل به إلي مكة جاء ليفتحه وكان الرجل أمين لم يغير فيه ولم يبدل أخذه. كما هو وعندما فتحه وإذا نمله علي ظهره وإذا بها تأتي فتقفز إلي أنفه فتلدغه فيذبل ثم يذبل ثم يموت " ولا تحسبن الله غافلاً عما يعملُ الظالمون " (إبراهيم: الآية ٤٢)

ظل المسلمون ينتقلون من ضعف إلي ضعف بعد أن عبدوا الدنيا وصاروا من خدامها وهنا حان الوقت لعباد الصليب أن يهبوا عليها هبه رجل واحد ليطمسوا معالم الدين الحنيف ففي عام ٤٩٢ هـ اجتمعت الدول الأوروبية تحت راية الصليب لما رأت دولة الإسلام قد إنهارت قواها وتمثلت هذه الدول في انجلترا وفرنسا والمجر وألمانيا والنمسا وعزموا علي انتزاع بيت المقدس من يد المسلمين وبادروا بإرسال حملات رفعوا لها شعار الصليب وقد وصل عدد الحملات ثماني حملات جاءت لتأخذ بيت المقدس وترد صليب الصلبوت المقدس كما يزعمون واستمرت هذه الحملات ما يقرب من مئتي وخمسة وعشرين عاماً بدأت بقيادة الراهب بطرس الناسك يوم سبت الثورة ١٢ إبريل ١٠٩٦م ولكنها هزمت علي يد القائد المسلم آلب أرسلان وعادت الجيوش الصليبية مهزومة وكان آلب أرسلان عائداً من إحدى معاركه متجهاً ببقية جيشه إلي عاصمته خرسان سمع به إمبراطور القسطنطينية رومانس فجهز جيشا قوامه ستمائة ألف مقاتل جاء الخبر لأرسلان ومعه خمسة عشر ألف مقاتل في سبيل لا إله إلا الله فنظر في جيشه فوجده منهك من القتال ما بين مصاب وجريح فكر قليلاً ودخل خيمته وخلع ملابسه وحنط جسده ثم تكفن وخرج إلي جيشه خطبهم قائلاً إن الإسلام اليوم في خطر وإن المسلمين كذلك وإني لأخشي أن يقضي علي لا إله إلا الله من الوجود ثم صاح وآسلاماه وآسلاماه ها أنا ذا قد تحنطت وتكفنت فمن أراد الجنة فليلبس كما لبست ولنقاتل دون لا إله إلا الله حتى نهلك أو ترفع لا إله إلا الله وما هي إلا ساعة ويتكفن الجيش كله فتفوح رائحة الحنوط وتهب رياح الجنة وتروي السماوات صيحات الله أكبر يا خيل الله أثنيي يا خيل اله أركبي لا إله إلا الله التقي الجمعان واصطدمت الفئتان فئة تؤمن بالله وتشتاق إلي لقاء الله وفئه تكفر بالله دوت صيحات الله أكبر واندفع كل مؤمن تطايرت رءوس وسقطت جماجم وسالت دماء وفي خضم المعركة إذا بمنادي ينادي مبشراً انهزم



الرومان وأسر قائدهم رومانس الله أكبر أما القائد المسلم فبكي وحمد الله وظل يجاهد حتى لقي الله.

وعادت الجيوش الصليبية وتجمعت وأجمعت العدة علي غزو المسلمين واتجهوا في ١٠٩٩ إلي بيت المقدس ليطمسوا لا إله إلا الله ويرفعوا الصليب فيه وقد استطاعوا هذه المرة أن يصلوا إلي ما أرادوا أن يدنسوا بيت المقدس بعد حصار دام أربعين يوماً سقطت القدس في أيديهم يوم ٢٢ شعبان ٤٩٢ هـ الموافق ١٥ يوليو ١٠٩٩م ونصب جودفري ملكاً علي بيت المقدس عندما دخلوا بيت المقدس ولنتبع ما فعلوه بالمسلمين عندما دخلوا بيت المقدس من يقولون إن الإسلام دين دموي وبشهادة كتابهم قال د / غوستاف لوبون . حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولي قومنا علي أسوار القدس وبروجها فقطعت رؤوس بعضهم فكان أقل ما أصابهم وبقرت بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلي القذف بأنفسهم من أعلي الأسوار وحرق بعضهم في النار فكان ذلك بعد عذاب طويل وكان لا يري في شوارع القدس وميادينها سوي أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم فلا يمر المرء إلا علي جثث قتلاهم ولكن كل هذا لم يكن سوي بعض ما نالوه روي الكاهن خبر ذبح عشرة الآف مسلم في مسجد عمر رضي الله عنه قال في هذا الغد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان فكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة.

وقالت : ويذكر أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس ١٥ يوليو عام ١٠٩٩م قد ذبحت أكثر من ٧٠ ألف مسلم حتى سبحت الخيل إلي صدورها في الدم وفي أنطاكية قتلوا أكثر من ١٠٠ ألف مسلم)، فالأمر خطير أنه حقد الشرعلي الحق والرذيلة علي الفضيلة وعداوة الشرك للتوحيد وخصومة الضلال للهدي وقد صمدت الأمة الإسلامية في وجه الحروب الوحشية التي سلبت ونهبت وقتلت وفتكت وهنا لا أدري لماذا يحضرني قول الإمام علي رضي الله عنه : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة.

حول الصليبيون المساجد إلي كنائس ورفعوا فيها الصلبان ونكسوا أعلام التوحيد ونادوا بالتثليث ومكثوا علي ذلك أكثر من تسعين عاماً حتى استطاع صلاح الدين الأيوبي أن يسترد بيت المقدس في موقعة حطين سنة ٥٨٣ هـ الموافق ١١٨٧م وكان ذلك في يوم ٢٧ رجب.

ورغم نصره عليهم إلا أنه وتبعاً لتعاليم الإسلام السمحة لم يفعل شئ يسئ إليهم ولم يفعل سوي إعادة المساجد التي حولوها إلي كنائس وخاصة بيت المقدس الذي حولوه إلي كنيسة أطلقوا عليه معبد سليمان ثم توفي صلاح الدين يوم الأربعاء ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ مارس سنة ١١٩٣م.

ثم عادوا بعد ذلك وظلوا يطاردون المسلمين بل وبعد مرو أكثر من قرنين من حروب دامية اشترك فيها الاستعمار الغربي والحقد الصليبي في حرب المسلمين ونهب أموالهم يخيم عليهم سحابة سوداء من البغض والكراهية حتى أنهم انضموا إلي التتار في حربهم ضد المسلمين واستطاع المسلمون أيضاً أن ينتصروا عليهم بقيادة " سيف الدين قطز و



كبير قوادة الظاهر بيبرس في موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ الموافق ١٢٦٠م بعد أن فعل هولاكو الأفاعيل في الدولة العباسية وخاصة عاصمتها بغداد وقتل الخليفة كما سبق وتحدثنا. ولكن بالنصر في عين جالوت دحروا وكلهم شوق وحنين إلي العودة ولما حانت اللحظة وتأكدوا من ضعف المسلمين وتفضيلهم للدنيا علي الدين أتوا ودخلوا بيت المقدس وطفح الغل في أبشع صوره وتمثل هذا فيما حدث عام ١٩١٨م عندما دخل اللورد الإنجليزي اللمبي إلي القدس وأعلن قولته الآن انتهت الحروب الصليبية وكان ذلك في الخلافة العثمانية التي قضت علي المماليك وتولت الحكم وبنفس الحقد الأعمي الذي صدر عن الجنرال الإنجليزي كان مسلك الجنرال الفرنسي "غورو" في دمشق حين ذهب إلي قبر "صلاح الدين" بعد أن جاءه راكباً سيارة مكشوفة وترجل إلي القبر وقال قولته المشهورة: نحن هنا يا صلاح وفي اليوم التالي فعل الشئ نفسه في حمص حيث ذهب إلي قبر "خالد بن الوليد "رضي الله عنه وقال أيضاً: نحن هنا يا خالد.

استقر الإنجليز والفرنسيون في البلاد الإسلامية وهم يدبرون ويخططون لعزل السلطان وهدم الخلافة الإسلامية ومحو كلمة الإسلام وهنا كان لابد للإنجليز ودعاه التبشير أن يجدوا بديلاً أو معينا لهم يقيم إقامة دائمة في هذه المنطقة حتى يتوصلوا إلي تنفيذ مخططاتهم علي أكمل وجه فوجدوا ضالتهم في أحفاد القردة والخنازير.

ذهب هرتزل إلي السلطان عبد الحميد الثاني خليفة المسلمين وعرض عليه الآتي: -

١- مائة وخمسون مليون ليري إنجليزي رشوه خاصة للسلطان.

٢- وفاء ديون الدولة العثمانية البالغة ٣٣ مليون ليري إنجليزي.

٣- بناء أسطول لحماية الدولة العثمانية بتكاليف ٢٠ مليون فرانك ذهبي.

٤- بناء جامعة عثمانية إسلامية في القدس.

٥- تقديم قرض ٣٥ مليون ليره ذهبية دون فوائد.

٦- تهدئه الأوضاع في الغرب حول الاضطهاد للدولة العثمانية.

*هرتزل

عرض ذلك علي السلطان ليتنازل عن فلسطين لليهود، فما هو الرد.

قال السلطان عبد الحميد الثاني قولوا للدكتور / هرتزل (لعمل مشرط الجراح في جسدي أهون علي من أن أتنازل عن شبر من أرض المسلمين فهي ليست ملكي ولا ملك أبي ولكنها أرض المسلمين فلما وصل الرد لليهود ومن شايعهم دبروا للتخلص من السلطان فعزلوه سنة ١٩٠٦ عن طريق جمعية كانت تعد وتمد لتخلص من الخلافة الإسلامية اسمها " الاتحاد والترقي " وكان فيمن سلمه العزل يهودي من الثلاثة الذين سلموه قرار العزل وتولي بعده سلطان ضعيف هو محمد رشاد الخامس.

* وفي عام ١٩١٦م تم في روسيا معاهدة سيكوس بيكو بين إنجلترا وفرنسا مثل انجلترا سيكوس ومثل فرنسا بيكو، اتفقا علي تقسيم الخلافة العثمانية بينهم وبعدها بعام ١٩١٧م حدث وعد بلفور وهو خطاب أرسله بلفور الإنجليزي إلي دود نيس حيث قال (إن حكومة الملك تنظر بعين العطف إلي إقامة مكان لليهود)، وفي هذا العام أيضاً قامت



الثورة الشيوعية في روسيا والتي قتل فيها لينين ٨ مليون معظمهم من المسلمين، وقتل ستا لين أيضاً ٢٠ مليون معظمهم من المسلمين.

* وفي عام ١٩١٨م احتلت إنجلترا فلسطين رسمياً واستدعي الجنرال اللمبي صمويل هيريرات لوضع القوانين اليهودية وهو أول وزير يهودي إنجليزي، وأخذوا يجمعون اليهود من دول العالم إلي فلسطين في سنة ١٩١٨م إلي ١٩٤٨م امتلك اليهود ٢ % من مساحة فلسطين كلها ٢٦ ألف كليو متر وبعد ١٩٤٨ امتلك اليهود ٥. ٧ %.

* وفي عام ١٩٢١م وضع تشرشل وزير المستعمرات حجر الأساس لجامعة عبرية. وفي هذه الأثناء كان يتم تلميع ذئب كما يطلقون عليه الذئب الأغبر لينقض علي الخلافة ويفترسها وهو مصطفي كمال أتا ترك وصعدوا به فعلاً إلي الخلافة بدلاً من السلطان عبد المجيد في ٣ / ٣ / ١٩٢٤ وأعلن والياً علي تركيا ونفذ الكلب أوامر السيادة بالحرف الواحد مع حزبه العلماني (الاتحاد والترقي) وها هي بعض أفعال مقود الخلافة الإسلامية.

١- ألغي الخلافة الإسلامية. ٢- فصل تركيا عن الدول الإسلامية.

٣- فصل الدين عن الدولة. ٤- ألغي الاحتفال بعيد الفطر والأضحي.

٥- ألغي الحجاب. ٦- أغلق عامة المساجد.

٧- أجبر الأتراك علي ارتداء القبعة(وهي العلامة الثالثة عند النصارى بعد الصليب والزنار).

٨- حول مسجد آيا صوفيا إلي كنيسة ثم إلي مخزن، ومنع تعدد الزوجات.

٩- أباح زواج المسلمات بغير المسلمين. ١٠- ألغي عطلة الجمعة وجعلها الأحد.

١١- منع الأذن للصلاة باللغة العربية وجعله بالتركية. ١٢- ألغي الحروف العربية وأحل محلها اللاتينية.

١٣- ألغي من الدستور المادة التي تنص علي أن تركيا دولة إسلامية وحولها إلي دولة علمانيه.

١٤- ألغي الشريعة واستبدلها بالقانون الإيطالي و السويسري.

١٥- ألغي منصب شيخ الإسلام. ١٦- ألغي التقويم الهجري وأباح الرده.

١٧- ساوي بين الذكر والأنثي في الميراث وأعدم الكثير من آئمة المسلمين.

١٨- ألغي من اسمه مصطفي وأكتفي بكمال آتاترك.

* كان يجلس ذات يوم علي مائدة الخمر وسط الدعارة والفجور يشير إلي راقصة داعرة (نبيلة هانم) فتقرأ أذان الفجر. أما عشيقاته فحدث ولا حرج. وبعد ذلك يبتليه الله بحكه شديدة في جلده حتى اكتشفوا أنه مريض بتليف في الكبد أدي إلي الاستسقاء وفي يوم الخميس ١٠ أكتوبر ١٩٣٨م انتقل إلي مذبلة التاريخ وكان قد أوصي قبل موته ألا يصلي عليه صلاة الجنازة وبعد موته اختلفوا في الصلاة عليه حتى صلي عليه عدد قليل.



هذا عن الأمة في هذه الأيام فماذا تنتظر أن يفعل الله بنا؟ وظلت الأحداث تتوالي والأمم تتداعي علي المسلمين وتم تقسيم المسلمين إلي دويلات كل منها يعجز عن حماية نفسه والأدهى أن الأيدي الخارجية ظلت تشعل جذوه الفتنة بين كل دولة حتى انشغلت كل دولة بمشاكلها الداخلية وكثيرا ما أشعلت الحروب بين الجارتين علي الحدود أو لغيرها واستبد بعض الحكام ببلاده ملك يغرق دولته في الديون من أجل إحضار الأوبرا عند افتتاح قناة السويس ويأتي ملك أخر مراهق العوبه في أيدي النساء شهواني كم هتك من أعرض المسلمات ليس له وازع وليس له رادع وهو الملك فاروق الذي حكم مصر في القرن الماضي فانتشرت في ايامه كل الرزايا وما كان الله ليتركه علي حاله هذه حتى يسلط عليه من ينتقم منه حيث قام رجال الجيش الأوفياء في هذه الاونه بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتوسم الناس خيرا بحكومة مصرية مسلمة تعطي الإسلام الاهتمام الأكبر خاصة وأن الثورة قامت علي أكتاف الأخوان المسلمين وإذا بالطامة الكبري نجد هذه الحكومة {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[النور: ٣٩]

* طرد الملك بعد أن أشاع الفاحشة وقتل الشهيد " حسن البنا " رحمة الله (الذي أسس جماعة الأخوان المسلمين عام ١٩٢٨م وهو من مواليد أحدي قري محافظة البحيرة بمصر من ١٩٠٦ إلي ١٩٤٩م وتخرج في دار العلوم عام ١٩٢٧م وعين مدرساً في أحدي المدارس بالإسماعيلية وهناك بدء نشاطه الديني في المقاهي وبين عمال القناة ثم انتقل إلي القاهرة وأسس جريدة الأخوان المسلمين الأسبوعية، شارك بالإخوان كقائد لهم في حرب عام ١٩٤٨م، عندما أسس الجماعة عام ١٩٢٨ وقف ورفع المصحف بيمينه ونادي علي المسلمين الطريق ها هنا وأخذ يدعو إلي الله عشرين عاماً فدخل تحت لواءه ثلاثة ملايين من المسلمين، كان يطوف بالمدن والقرى وكان إذا دخل قرية وألقي دروس العلم دعاه أهلها لينزل ضيفاً فكان يقول أنا ضيف في بيت الواحد الديان واصل حملته في مجال الدعوة وعندما بلغ سن ثلاثة وأربعين عام وحلت جماعة الأخوان بتدخل خاص لدي الملك، نام ذات يوم" الشهيد " مهموماً وإذا به يري عمر بن الخطاب في منامه يشد علي يديه ويقول له هنيا لك الشهادة يا حسن وقال له أهله لا تنزل اليوم فقال لهم " قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلي مضاجعهم " (آل عمران: الآية رقم ١٥٤)

ونزل إلي شارع رمسيس وفي ظلام الليل أطفأت الأنوار وحوصر الشارع وإذا ببعض رجال الشرطة وعلي رأسهم عميد ويحاصرون الشارع ويضربون الرصاص إلي قلب الشهيد ونزف الدم وذهب به إلي القصر العيني وكانت أوامر الملك فاروق قد سبقت إلي القصر دعوه ينزف حتى ينتهي فدعا وقال (اللهم إنك تعلم أني مظلوم ودعوه المظلوم مستجابه اللهم بدد ملكهم اللهم أهتك عرضهم اللهم عرضهم للفتن) ولفظ أنفاسه الأخيرة وأصدر الملك فاروق أوامره أن لا يغسله إلا رجل من أهله ولا يمشي في جنازته أحد غير أهله فغسله أبوه وشيعه أبوه وابنه وأخواته فهنيأ له الشهادة وهنيئاً له أعماله الصالحة التي لم تنقطع بعد وفاته. ، ولننقل إلي انتقام الله من الملك فاروق طرد من مملكته إلي إيطاليا فظل يعربد هناك في نابولي حتى دس له السم ومات مقتولاً وعاد جثمانه في ظلمه الليل لا يدري بدخوله أحد ولا يعلم بموته إلا الحانوتي الذي سيدفنه



وجئ به بواسطة الشرطة العسكرية ودفن ولم يشيعه إلا أهله كما فعل بالشهيد (كما تدين تدان)

وليس معني هذا أنني أوويد جماعة الإخوان بل أبين ما حدث للمسلمين في أيامه متمثلا في جماعة الإخوان.

قائدة الثورة:

الرجل الذي قتل سيد قطب وأعدم يوسف طلعت وعبد القادر عوده ومحمد الفرغلي رجل فتح الطريق إلي الشيوعية الماركسية لتحل محل لا إله إلا الله وأفسح لهم المجال حتى تحكموا في مقاليد الحياة رجل ـ دعا إلي القومية العربية لتحل محل لا إله إلا الله. أهان كرامه الأزهر وأضاع المحاكم الشرعية وخرب بيوت الكثير، سن قانون الإصلاح الزراعي، فتح المعتقلات علي مصراعيها لمن أوصلوه إلي الحكم، صرح بجميع أنواع التعذيب لكل من كان في رأسه فكر ديني، هذا الرجل الذي أهينت في عهده النساء في المعتقلات، قبضت زبانيته علي السيدة / زينب الغزالي فدخل عليها كبير رجال المراسم وقال له لقد صدر الأمر لأحد الجلادين أن يهتك عرض السيدة ولما دخل عليها قالت له" يا بني أتزني بي وأنا مثل أمك؟! فبكي الجلاد وكف عن العمل فقال الطاغية هل هي قريبتك؟ فقال الجلاد للرجل لا. قال له (أنت متضايق ليه أطلع بره) ذهب إلي جِده بالمملكة السعودية في أغسطس ٦٥ وكان بينه وبين البيت الحرم ٧٠ كم أبي أن يذهب ويؤدي العمرة ثم ذهب من جده إلي موسكو في ٢٧ أغسطس ١٩٦٥ وأمام قبر لينين انحنت الجباه العالية وعاد من موسكو إلي القاهرة ٢٩ أغسطس ١٩٦٥ وبعد أن عاد فتح المعتقلات علي مصارعها

ذكر الشيخ محمد الغزالي في كتابه قذائف الحق : كنت في جماعة الأخوان وأقر بان جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين بايعا في ليلة واحدة علي نصرة الإسلام ورفع لوائه، يقول الغزالي وقف ذات يوم علي قبر حسن البنا وقال نحن علي العهد وسنستأنف المسيرة، ثم يقول الشيخ محمد الغزالي: ولا أدري ما حدث له بعد ذلك أنه تغير رهيب في فكر الرجل جعله في كل نزاع بين الإسلام وطرف أخر ينضم إلي الطرف الأخر.

١- انضم إلي الهند في خصومتها ضد باكستان المسلمة.

٢- انضم إلي الحبشة في عدوانها علي إرتريا المسلمة.

٣- أنضم إلي تنجانيق وهي تزيح شعب زنجبر المسلم.

٤- انضم إلي القبارصة اليونان في نزاعهم مع القبارصة المسلمين وجعل الأزهر يستقبل مكاريوس عدو الكيان لإسلامي للأتراك.

٥- أدخل سارتر وعشيقته سيمون ديبفوار الوجودبين الذين أنكرا كل دين الأزهر الشريف.

وكان من المعتقلين رجل عنده من العمر ٦٠ عاماً مصاب بالذبحة الصدرية مضي في المعتقلات ١٠ أعوام ذاق فيها من العذاب ألوان وحانت لحظة محاكمته أمام رجل ميت الضمير يسمي (الدجوي) الذي قال للشهيد أرفع صوتك فأنا لا أسمعك فقال الشهيد أنا



مصاب بمرض صدري لا أقدر علي رفع صوتي فقال: الدجوي يتهكم (إحنا ما لناش دعوه بصدرك إحنا لينا دعوه بحنجرتك) وانتهت الجلسة وقبل الفجر بساعة دخل عليه أحد رجال السجون في زنزانته وقال له إن هناك تسكيناً جديداً في زنزانة أخري فقال: له الشهيد سيد والله ما هو تسكين عندكم إنما هو تسكين في جنات ونهر أنا ذاهب الآن إلي حبل المشنقة وقال للسجان أريد منك أن أصلي ركعتين لله وكان قد جلس مع أخواته البنات قبل الشنق فقالوا له لماذا لم تطلب التماسا من الحاكم ليخفف عنك الإعدام إلي السجن فقال: إن السبابة التي طالما أشرت بها بعلامة التوحيد لا تكتب التماساً للظلمة وجاءت لحظة التنفيذ وجئ بفريق من رجال الصاعقة وأحاطت بالمنطقة وأحيط السجن بحراسة شديدة. ودخل الرجل إلي غرفة الشنق فأراد السجان أن يقيد يديه وراء ظهره فقال: له الشهيد لماذا تقيد يدي أتخاف أن أفر من لقاء رب العالمين وعندما حكم عليه الدجوي بالإعدام ابتسم الشهيد ابتسامة رضا بقضاء الله.

* رجل فتح في عصره رئيس جهاز المخابرات صلاح نصر الباب علي مصراعيه لهتك أعراض الشريفات وبنات الجامعات في ماخوره في المريوطية لانتشار الفاحشة والعري والسكر والفجور فما كان من الله إلا أن سلط عليه سيده وأدخله السجن ومات في السجن أعمي.

* رجل تفنن في هدم شرع الله وقطع لسان من يردد لا إله إلا الله.

* رجل أحاطت به بطانه السوء من كل مكان.

* رجل أعدم الشهيد محمد فرغلي الذي قاد كتائب الموحدين في فلسطين وفي منطقة القناطر حتى أعلن قائد القوات البريطانية أن من يأتية بالشيخ فرغلي حياً أو ميتاً فله مكافئة نصف مليون جنية استرليني فلم يستطع أحد الإتيان به ولكن رجال الثورة الأماجد بقيادة قائد الجناح جمال سالم شكلت محاكمها برئاسة هذا الرجل ووقف أمامه الشيخ فرغلي الذي عاش في السجن الحربي خمس سنوات يعذب عذاباً شديداً، أتي به حمزة البسيوني وأمر أن يذاب الزفت في جرادل وأخذ يدهن به وجه الشيخ والشيخ يقول له يا هذا لا تبديل لخلق الله فأمره حمزة البسيوني أن يصعد علي سلم عالي ليأتي "ببقه" من السقف وعندما صعد الشيخ إلي أعلي درجة علي السلم أمر حمزة البسيوني أحد الجلادين أن يدفع السلم من تحت قدميه فيسقط الرجل فيكسر ذراعه، كان حمزة يصيح في السجن يقسم بشرفه لو أن الله نزل من السماء ليحبسه حبساً إنفرادياً في هذه الزنزانه أراد هذا الرجل أن يذهب لزيارة بعض أقاربة في يوم عيد الفطر فتصدمة سيارة ذات جرار محملة بأسياخ الحديد فيدخل الحديد في حلقه فلم يستطيعوا أن يخلصوه من حلقه إلا بعدما قطعوا رأسه ويخرج من تحت السيارة ويوضع في نعشه، أقسم رجل ممن حضر الجنازة أنهم جاءوا بالنعش ليصلوا عليه في المسجد وعلي باب المسجد امتنع النعش أن يدخل المسجد، نعود إلي الشيخ فرغلي التي لم تستطع بريطانيا أن تأتي برأسه لكن رجال الثورة جاءوا برأسه فحكم جمال سالم عليه بالإعدام وصدق علي الحكم الزعيم جمال عبد الناصر ونفذ فيه حكم الإعدام وهو يقول مرحباً بلقاء ربي ولفظ أنفاسه الأخيرة.



ولنأتي إلي ضحية أخري والضحية هذه المرة أستاذ علم التفسير والحديث بكلية أصول الدين الشيخ محمد الأودن أرسل إليه الزعيم ليعينه شيخ للأزهر فقال الشيخ لا أقبل إلا إذا حكمتم بكتاب الله.

ويغضب عليه الزعيم وفي صيف عام ١٩٦٥م فتحت المعتقلات والسجون أرسل المشير واعتقل أولاد الشيخ جميعاً وكان الشيخ يكاد لا يتحرك لأنه كان يلبس قفص بسبب مرض في عموده الفقاري أرسل إلي المشير أن يخرج له أحد أبنائه ليساعده في حياته فأرسل إليه المشير فرقة من الشرطة العسكرية فقبضت عليه وقد زاد سنة علي السبعين سنة وأدخلوه إلي السجن الحربي فاستقبلة شمس بدران وسب له الدين وناد علي أحد الجلادين وقال لهم ضع هذا الكلب في زنزانة وضع معه كلب لينهش لحمه وبعد لحظات ذهب الجلاد ليري ماذا يفعل الكلب بالشيخ فنظرا من ثقب الباب ورجع يتعجب قال يا سيدي وجدت الشيخ ساجداً والكلب بجواره فقال شمس بدران أخرجوا الكلب حتى لا يصاب بنزلة برد وخرج الشيخ بعد أن مضي في السجن سنوات وسافر إلي مكة وجلس في الحرم يفسر القرآن الكريم وأوصي أن يدفن في البقيع ونفذ الملك فيصل وصيته بعد موته ودفن في البقيع

* ولنأتي إلي رجل من رجال الثورة الأفذاذ انه العقيد وزير الحربية في زمن الحكومة الناصرية شمس بدران الذي هرب (١٥ مليون جنية إلي لندن) كان إذا دخل السجن صاح بأعلي صوته قائلا ً أنا المرعب وفي ذات يوم يدخل عليه أحد الجلادين يقول له يا فندم الجثث بيحط عليها الذباب ألا تسمح لنا بدفنها فيأتي بالجثث وتلقي في العربات العسكرية وتدفن في العباسية ويقول شمس بدران إذا دفنتم الجثث فلا تنسوا أن تأتوا بالبطاطين لأنها عهده.

* وها هو رجل من رجال الثورة في عام ١٩٥٤م كان الصاغ أركان حرب صلاح سالم أحد رؤوس الثورة كان يمتلك قلباً قاسياً يمر ذات يوم بالزنازين فيجد شيخاً كبيراً شاب شعره وضعف بصره وانحني ظهره لا يوجد في جسمه شبر إلا وفيه أثر من أطفاء السجائر وقد وضع في زنزانة ملئت ماء بارد في شدة البرد قال له صلاح سالم بسخرية أدعو لنا يا عم الشيخ فقال له الشيخ الذي زاد سنه علي الستين وهل تثق في دعائي قال الطاغية أدعو لنا يا عم الشيخ فقال الشيخ أسال الله أن يأتي عليك اليوم الذي تتمني فيه الموت فلا تجده وإذا بالله يستجيب دعوه الشيخ ويصاب صلاح سالم بالسرطان فكان يمر بمستشفيات أوروبا وأمريكا ولا يجدون له علاج كان لا يستطيع أن ينام علي السرير كانوا إذا رفعوه علي السرير استغاث وقال نيموني علي الأرض كما كان الشيخ ينام في زنزانته علي الأرض ولما اشتد عليه المرض كان يقول اضربوني بالنار لا ستريح.

كان أحدهم يأمر المساجين أن يقرأوا سورة الفاتحة بالمقلوب وكان يسمي سورة آل عمران آل كابوني علي اسم العصابة الأمريكية.

إنهم رجال ما عرفوا لله طريقاً بل صدوا الناس عن طريق الله إنهار في عهدهم اقتصاد كان من أقوي اقتصاديات العالم زجوا بنا في حرب اليمن التي قتل فيها خمسون ألف جندي مصري وكانت خسائرها المادية أربعمائة مليون جنية مصري. ونحن عجزنا عن صد عدوان اليهود والذي لا يساوي عددهم عدد أصغر محافظات مصر في عهدهم هجم



علينا اليهود وسلبوا منا سيناء وكان القائد يقول سوف أحضرهم مكتوفي الأيدي ولكن الله أهانه حياً كما أهان المسلمين ثم أهانه ميتا بان كانت الأرض ترفضه وطفحت عليه المجاري في قبره حتى أغرقته: " ومن يهن الله فما له من مكرم" [الحج]

وأختتم هذه الفقرة بحديث النبي الذي رواه أبو داود في الملاحم وصححه الألباني يوشك أن تداعي عليكم الأمم كما تداعي الأكلة إلي قصعتها قالوا: يا رسول الله أمن قله يومئذ قال بل: أنتم يؤمئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا: وما الوهن قال: حب الدنيا وكراهة الموت.

أين الملايين من أمــوال أمتنــا فما لـها في مجال الفعل برهان

هل عنـــدكم نبأ من أهل أندلس فقد سـري بحديث القوم ركبان

واليوم مسـري نبي الله ضـــج وقد غشــاه من التنكيل ألـوان

ذل وضعف وتنكيـل وملحمـة ما ذاقها في مدار الدهر إنسـان

الخمر تشرب والأوطار صاخبة وللرياضة فينـا القـدر والشــان

هل عنـدكـم نبــأ مما يعد لكم أم خـدر القـوم لُعــاب وفنان؟

أمــا لنــا في كتاب الله من عظة فقـد دعــانا لنصر الحق قرآن

يا أمتي مزقي الأغلال وانتصبي فالمجد لا يمتطيه اليوم كسلان

واستبشري فشعاع الفجر منتشر وإن تجاهل نور الفجر عنــوان

وإن تراكم غيم الظلم واحتجبت شمس النـهار فاللاشراق إبــان

البوسنة والهرسك:

وها هو جزء مما فعل بالمسلمين في البوسنة والهرسك عاش المسلمون أقسي المعانات من التشريد والنكيل ودوي المدافع ورشق الدبابات وهدم المساجد والبيوت وقتل الأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال.

بدأت هذه المسأة سنة ١٩٤٢م في يوم عيد الأضحى المبارك روي شهود عيان من القلائل الذين نجوا سكاكين ومناشير العصابات الصربية المسماه بـ (شتنيك) يروون صوراً من أفاعيلهم البشعة قام (شتنيك) بإحراق المسلمين في مساجدهم وبيوتهم في مناطق جنوب شرق البوسنة وكانوا يمثلون بالقتلي بعد ذبحهم بالسكاكين ويقطعون بها أثداء النساء بعد اغتصابهن ويبقرون بطون الحوامل للتمثيل بالأجنة أو يلقون بهم أحياء إلي الماء المغلي أو يذبحونهم ليشووهم شي الذبائح وليرسلوا بروؤس المسلمين المشوية هدية إلي أمرائهم وقادتهم، حيث قتل ٢٢ ألف مسلم. دخلت هذه الكتائب مدينة فوتشا يوم عيد الأضحى من تلك السنة وأخذ أمير الكتائب مفتي المدينة والبس سنابك الخيل علي رجلي المفتي بالمسامير ثم ركب ظهره إلي المسجد، حيث ذبح المفتي علي عتبة المسجد قائلاً : هذا أول قربان في هذا العيد. . . وها هو عهد المأساة يمتد ليصل إلي عام ١٤١٢ هـ، حيث وقعت المذابح بعد أخر صلاة التراويح في رمضان من يوم الخميس في هذه السنة وعند خروج المصلين من المسجد أخذت القوات الصربية اثنين



منهم وذبحتهم علي باب المسجد وبدأت بإطلاق النار علي الآخرين وعندئذ هرع المصلون إلي المسجد ثم ألقي الصرب القنابل في داخله ليقتلوا ما يزيد علي ١٠٠ مصلي بعدها دخلوا لمسجد وسلبوا المسلمين وقضوا الحاجة علي جثثهم داخل المسجد وصور المأساة كثيرة يصعب العد عن حصرها.

المبحث الثالث: هلاك بعض الأفراد ممن بارزوا بالمعاصي وتجبروا في الأرض

والآن بعد أن تحدثت عن ذنوب بعض الأمم والآثار التي نتجت عن ذلك انتقل بالحديث إلي بعض الأفراد الذين أظهروا في ارض الفساد فصب عليهم رب الأرض والسماء العذاب ألواناً وأذاقهم الخزي والهوان وجعلهم عبره لنا لنعتبر بهم وقد بدأت بأو ل مجرم وهو قابيل ثم تدرجت مع بعض الأفراد حتى وصلت إلي شارون.

قابيل:

ها هو قابيل بن آدم صلي الله عليه وسلم جاء في قصص الأنبياء (لابن كثير ص ٥٠) عن ابن عباس أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى البطن الأخرى وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل وكان أكبر من هابيل وأخت هابيل أحسن فأراد قابيل أن يستأثر بها علي أخيه وأمره آدم أن يزوجه إياها فأبي فأمرهما أن يقربا قربانا وذهب آدم ليحج إلي مكة واستحفظ السموات علي بنية فأبين والأرضين والجبال فأبين فتكفل قابيل بحفظ ذلك.

فلما ذهب قربا قربانهما فقرب هابيل جذعه سحينه وكان صاحب غنم وقرب قابيل حزمه من زرع من ردئ زرعه فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأقتلنك حتى لا تنكح أختي فقال: إ نما يتقبل الله من المتقين، قال ابن عباس: وايم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط إليه يده.

فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي فبعث آدم قابيل لينظر ما أبطأ به فلما ذهب إذ هو به فقال له تقبل منك ولم يتقبل مني قال إنما يتقبل الله من المتقين، فغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله وقيل إنه إنما قتله بصخره رماها علي رأسه وهو نائم فشدخه وقيل بل خنقه خنقاً شديداً فمات والله أعلم.

ولذلك ثبت في الصحيحين : أن النبي قال (إذا ألتقي المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال: لأنه كان حريصاً علي قتل صاحبه.

وقد روي البخاري : أن رسول الله قال: لا تقتل نفس ظلماً إلا كان علي ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل.



وذكروا أنه لما قتله حمله علي ظهره سنه ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين قتل أحدهما الأخر ثم دفنه ثم فعل قابيل مثل الغراب فدفن أخاه.

وقد ذكر مجاهد: أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخاه فعلقت ساقه إلي فخذه وجعل وجهه إلي الشمس كيفما دارت تنكيلاً به وتعجيلاً لذنبه وقد بدأت بقابيل لأنه أول قاتل إنسان علي ظهر الأرض والقتل من اكبر الكبائر.

النمرود بن كنعان:

قال تعالي {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[البقرة: ٢٥٨]

قال ابن حرير: قال مجاهد " أنا أحيي وأميت " أقتل من شئت وأحيي من شئت أدع حياً فلا أقتله وآخر فاقتله وقال ملك الأرض مشرقها ومغربها أربعة نفر مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران: بختنصر ونمرود بن كنعان لم يملكها غيرهم.

قال زيد بن أسلم: أول جبار كان في الأرض نمرود بن كنعان فكان الناس يمتارون من عنده الطعام فخرج إبراهيم يمتار مع من يمتار فإذا مر به ناس قال: من ربكم؟ قالوا: أنت حتى مُر به إبراهيم فقال: له من ربك؟ قال: الذي يحيي ويميت قال: أنا أحي وأميت قال: إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتي بها من المغرب فبهت الذي كفر، قال: فرده بغير طعام، قال: فرجع إبراهيم علي أهله فمر علي كثيب من رمل أعفر فقال: ألا اخذ من هذا فأتي به أهلي فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم فأخذ منه فأتي أهله قال: فوضع متاعه ثم نام فقامت: أمراته إلي متاعه ففتحته فإذا هي بأجود طعام رأته فصنعت له منه فقربته إليه وكان عهده بأهله أنه ليس عندهم طعام فقال: من أين هذا؟ قالت: من الطعام الذي جئت به فعلم أن الله رزقه فحمد الله.

ثم بعث الله إلي الجبار ملكاً أن آمن بي وأتركك علي ملكك قال: وهل رب غيري؟ فجاءه الثانية: فقال له ذلك فأبي عليه ثم آتاه الثالثة: فأبي عليه فقال له الملك: اجمع جموعك إلي ثلاثة أيام فجمع الجبار جموعه فأمر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فأكلت من لحومهم وشربت دماءهم فلم يبقي إلا العظام والملك كما هو لم يصبه من ذلك شئ فبعث الله عليه بعوضه فدخلت في منخره فمكث أربعمائة عام يضرب رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه وضرب بهما رأسه وكان جباراً فعذبه الله أربعمائة سنة كملكة ثم أماته الله وهو الذي بني صرحاً إلي السماء فأتي الله بنيانه من القواعد وهو الذي قال الله فيه! " فأتي الله ببنيانهم من القواعد " [النحل، الآية رقم: ٢٦)

وقال ابن كثير في البداية والنهاية :

مكثت في منخره أربعمائة عام عذبه الله تعالي بها فكان يضرب رأسه بالمرازب في هذه المدة حتى أهلكه الله عز وجل بها، فهذا خذلان لرأس الطاغين فكيف بالأذناب الأرذلين.



فرعون:

قال الله تعالي: " إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً " (القصص، الآية رقم: ٤ – ٦)

تجبر وعتا وطغا وبغي وآثر الحياة الدنيا وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم وهم شعب إسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن اسحاق وكانوا اذ ذاك خيار أهل الأرض وقد سُلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر يستعبدهم ويستخدمهم في أخس الصنائع والحرف وأرداها وأدناها ومع هذا " يُذبح أبناءهم ويستحي نساءهم " وكان الحامل له علي هذا الصنيع القبيح أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما حفظوه عن إبراهيم صلي الله عليه وسلم من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك مصر علي يديه وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل فتحدث بها القبط فيما بينهم ووصلت إلي فرعون فذكرها له بعض أمرائه وهم يسمرون عنده فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل حذراً من وجود هذا الغلام فجعل رجالاً وقوابل يدورون علي الحبالى ويعلمون ميقات وضعهن فلا تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذابحون من ساعته.

لقد ولد موسي صلي الله عليه وسلم والخطر محدق به والموت يتلفت عليه والشفرة مشرعة علي عنقه تهم أن تجتز رأسه وها هي أي أمه خائفة عليه تخشي أن يصل نبؤه إلي الجلادين وترجف أن تتناول عنقه السكين ها هي ذي بطفلها الصغير في قلب المخافة عاجزه عن حمايته عاجزة عن إخفائه عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينم عليه.

ويوصي الله إليها أن ترضعه فإذا خافت عليه فلتلقه في أليم فهو في رعاية الله الذي لا أمن إلا في جواره لا خوف معه لا تقرب المخاوف من حماه الذي جعل النار برداً وسلاماً ويجعل من ماء البحر ملجأ ومناماً.

يقدر الطاغوت شيئاً ويقدر الله شيئاً غيره والله يريد غير ما يريد فرعون.

وأراده الله وقدرته تتحدي بطريقة سافرة مكشوفة فرعون وهامان وجنودهما أنهم يتبعون الذكور من بني إسرائيل خوفاً علي ملكهم وعرشهم وذواتهم ويبيثون العيون والأرصاد كي لا يفلت منهم ذكر فها هي ذي إرادة الله تلقي في أيديهم بلا بحث ولا جد بطفل ذكي وأي طفل إنه الطفل وعلي يديه هلاكهم أجمعين ها هي ذي تلقيه في أيديهم مجرداً عن كل قوة ومن كل حيلة عاجزاً عن نفسه أو حتى يستنجدها ها هي ذي تقتحم به علي فرعون حصنه وهو الطاغية السفاح المتجبر ولا تتعبه في البحث عنه في بيوت بني إسرائيل وفي أحضان نسائهن الوالدت ها هي ذي تعلن عن مقصدها سافرة متحديه ليكون لهم عدواً وحزناً عدواً يتحداهم وحزناً يدخل الهم علي قلوبهم.

يا فرعون موسي لن يكون مربّاه إلا في دارك وعلي فراشك ولن يُغذي إلا بطعامك وشرابك في منزلك وأنت الذي تتبناه وتربيه وتتعداه ولا تطلع علي سر معناه لتعلم أن رب السموات هو الفعال لما يريد وأنه هو القوي الشديد.

اقتحمت إرادة الله علي فرعون قلب امرأته بعدما اقتحمت به عليه حصنه لقد حمته بالمحبة ذلك الستار الرقيق الشفاف لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال حمته بالحب الحاني



في قلب امرأة وتحدث به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره وهان فرعون علي الله أن يحمي منه الطفل الرضيع الضعيف بغير هذا الستار الشفيق إرادة الله وقدرته ترعي موسي تدبر أمره.

قال تعالي" وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسي ان ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون " [القصص، الآية رقم: ٩)

فقال فرعون: أما لك فنعم وأما لي فلا والبلاء مُوكل بالمنطق١٠(يداك أو كتا وفوك نفخ) فكان كذلك وهداها الله به وأهلكه الله علي يديه. إرادة الله تكيد لفرعون وآله كما كادوا لبني إسرائيل، تحرم عليه المراضع يبعثون له عن ظئر ترضعه وهم يخشون عليه الموت والذبول حتى تبصر به أخته من بعيد فتعرفه فتقول: " هل أدلكم علي أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون " [القصص: الآية رقم ١٢) فيتلقفون كلماتها وهم يستبشرون يودون لو تصدق فينجو العزيز المحبوب ويعود الطفل الغائب لأمه الملهوفة.

من لجأ إلي الله وتوكل عليه وفوض الأمور إليه يكن حاله كحال أم موسي ترضع ولدها وتأخذ ظئر أجرها.

دعاه موسي إلي عبادة الله عز وجل – فأعرض واستكبر " ونادي فرعون في قومه " [الزخرف: الآية ٥١) أليس لي ملك مصر يا هذا حمارك ينهق من كف شعير وما تساوي مصر إن كانت الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضه.

وقال موسي: " ربنا اطمس علي أموالهم " [يونس، الآية رقم ٨٨)

قال ابن عباس ومجاهد: اطمس علي أموالهم أهلكها.

وقال الضحاك وأبو العالية والربيع بن أنس: جعلها الله حجارة منقوشة كهيئة ما كانت.

وقال قتاده: بلغنا أن زروعهم تحولت.

وقال محمد بن كعب القرظي: أجعل اموالهم حجارة.

فما كانت النهاية: " كم تركوا من جنات وعيون " [الدخان، الآية رقم: ٢٥)

قال فرعون: " وهذه الأنهار تجري من تحتى " [الزخرف، الآية رقم: ٥١)

إن الذي ينسي نعمة الله عليه ويتيه بها يعذبه الله بها وينغص عليه بها فكانت معظم الآيات تدور حول الماء الذي تاه به واستكبر هذا في حياته.

" ولقد أخذناء آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون " (الأعراف، الآية رقم: ١٣٠)

" فأرسلنا عليهم الطوفان " [الأعراف، الآية رقم ١٣٣)

يا فرعون الطوفان ماء من جنس ما تفتخر به ولكنه متلف للزروع والثمار.

والقمّل قال ابن جرير: واحدتها قملة، وهي دابه تشبه القمل أو كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: البراغيث.



كان الماء لم يُجد شيئاً في نظافتك فها هي البراغيث والضفادع تتعصي عليك في قدحك وأنيقك وثوبك.

والدم: ستحال نهرك دما عبيطاً فما جدوي نهرك ومياهك.

الآيات التي نقضت عيشك من جنس ما استكبرت به ومتعلقه بالماء.

قال ابن جرير عن سعد عن جبير قال: لمّا أتي موسي (عليه السلام) فرعون قال له: أرسل معي بني إسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان وهو مطر فصب عليهم منه شيئاً خافوا أن يكون عذاباً فقالوا لموسي: أدع لنا ربك يكشف عنّا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل فأنبت لهم في تلك السنة شيئاً لم ينتبه قبل ذلك من الزرع والثمر والكلا ً فقالوا: هذا ما كنا نتمني فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه علي الكلأ عرفو أنه لا يبقي فقالوا: يا موسي أدع لنا ربك ليكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل فدرسوا الحب واحرزوها في البيوت فقالوا قد احرزنا فأرسل الله عليهم القمل، وهو السوس الذي يخرج منه فكان الرجل يخرج عشرة أجربه إلي الرحي فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فقالوا لموسي: أدع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل فبينما هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع.

فقال لفرعون: ما تلقي أنت وقومك من هذا قال: وما عسي أن يكون كيد هذا فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلي ذقنه في الضفادع ويهم فتثب الضفدع في فيه فقالوا لموسي: أدع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا وأرسل الله عليهم الدم فكان ما استقوا من الأنهار والآبار وما كان في أوعيتهم وجدوه دما عبيطاً أي (دما طرياً) فشكوا إلي فرعون فقالوا: إنا قد ابتلينا بالدم وليس لنا شراب فقال: إنه قد سحركم فقالوا: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا وجدناه دما عبيطاً؟

قال ابن اسحاق: تابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين فأرسل عليهم الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم أيات مفصلات فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض علي وجه الأرض ثم ركد لا يقدرون علي أن يحرثوا أو يعملوا شيئاً حتى جُهدوا جوعاً فلما بلغهم ذلك: " قالوا يا موسي أدعا لنا ربك" [الأعراف، الآية رقم: ١٣٤) فدعا موسي ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشئ مما قالوا فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغني حتى إنه كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشئ مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسي صلي الله عليه وسلم أمر أن يمشي إلي كثيب حتى يضربه بعصاه فمشي إلي كثيب أهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملا ً حتى غلب علي البيوت والأطعمة ومنعهم النوم والقرار فأجهدهم قالوا له مثلما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشئ مما قالوا فأرسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والآنية والأطعمة فلا يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع فلما جهدهم ذلك قالوا له مثلما قالوا له فسأل



الله فكشف عنهم فلم يفوا له بشئ مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا عاد دماً.

قال تعالي: " فتولي فرعون فجمع كيده ثم أتي" [طه، الآية رقم: ٦٠)

كاد فرعون فكيد له وأراد فارتدّ إليه ودعا للاستعداد فأذل وأذيق البأس.

" قال لهم موسي ويلكم لا تفترون " [طه: الآيات رقم ٦١ – ٧٣)

هزأ به من جمعهم لموسي ومن قالوا له يوماً " فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين" [الشعراء، الآية رقم: ٤١)، ومن قالوا يوماً " بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون " [الشعراء: ٤٤) وهزأت القلوب المؤمنة بتهديد الطغيان وبتحذير الإيمان الناصع وبرجاء الإيمان العميق.

قال القشيري: أراد فرعون إهلاك بني إسرائيل واستئصالهم وأراد الحق نصرتهم وبقاءهم فكان ما أراد الحق لا ما أرد اللعين.

وقال تعالي: " إن هؤلاء لشرذمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون * وإنا لجميع حاذرون " [الشعراء: ٥٤،٥٦)

يقول ابن كثير: نحن كل وقت نحذر من غائلتهم وإني أريد أن أستأصل شأفتهم وأبيد خضراءهم فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم فخرجوا من النعيم إلي الجحيم.

وقال تعالي: " وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسي وقومه " [الأعراف، الآية رقم: ١٢٧)

وقال تعالي: " فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين "[غافر: ٢٥)

منطق الطغيان الغليظ فكلما أعوزته الحجة وخذله البرهان وخاف أن يستعلي الحق.

قال ابن كثير: نكل فرعون ببني إسرائيل قبل ولادة موسي حذراً من وجوده فكان خلاف ما رامه وضد ما قصده فرعون وهكذا عومل في صنيعه أيضاً إنما أراد قهر بني إسرائيل وإذلالهم فجاءه الأمر علي خلاف ما أراد نصرهم الله عليه وأذله وأرغم أنفه وأغرقه وجنوده. لما استذل فرعون بني إسرائيل أورثهم الله ملكه.

قال تعالي: وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشرق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها "(الأعراف، الآية: ١٣٧)

قال تعالي: فأخرجنا هم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل(الشعراء: الآيات ٥٧ – ٥٩)

لقد خرجو يتبعون خطي موسي وقومه ويقتفون أثرهم فكانت خرجتهم هذه هي الأخيرة وكانت إخراجاً لهم من كل ما هم فيه فلم يعودوا بعدها لهذا النعيم جزاء الظلم والبطر والبغي الوخيم لما اقتنفوا أثر المؤمنين.

وقال تعالي: " كم تركوا من جنات وعيون " [الدخان، الآيات رقم ٢٥ – ٢٩)



يقول سيد قطب: أنظر إلي هوانه وهوانهم علي الله وعلي هذا الوجود الذي كان يشمخ فيه بأنفه فيطأطئ له الملأ المفتونون به وهو أضل وأزهد من أن يعس به الوجود وهو يسلب النعمة فلا يعتدبها من الزوال ولا يرثي له أحد علي سوء المال لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي علي فقدهم ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها ذهبوا ذهاب النمال وهم كانوا جبارين في الأرض يطأون الناس بالنعال ذهبوا غير مأسوف عليه.

قال تعالي: " واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة " [القصص، الآية رقم: ٤٢)، واللعنة: طرد من الرحمة.

صار مآله إلي الطين المنتن ألم يقل يوماً لهامان يا هامان أو قد لي علي الطين.

واليوم كما يقول الله تعالي: " فانتقمنا منهم فأغرقنهم في أليم " [الأعراف: ١٣٦)

يقول صاحب الظلال: ضربة واحدة فإذا هم هالكون. ومن التعالي والتطاول والاستكبار إلي الهوي في الأعماق والأغوار جزاءً وفاقاً.

لقد سطقت من فرعون الباغي العادي المتجبر الطاغي كل أرديته التي تنفخ فيه فتضاءل وتصاغر واستخذي " فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية " [يونس، الآية رقم: ٩٢)، لا تذهب منكراً مع التيار هذا الذي تطاول وقال: " ذروني أقتل موسي وليدع ربه " [غافر، الآية رقم: ٢٦)

كلمة فأجره من فرعون: كانت تبجحاً واستهتاراً لقي جزاءه بها.

قال تعالي: " كذبوا بئايتنا كلها " ضاعت عزة فرعون وقدرته علي البغي والظلم لما تطاول فرعون

وقال " فأوقد لي ياهامان علي الطين " (القصص، الآية ٣٨)

فكان الهوى إلي الأعماق والأغوار ونتن الطين في الغرق

يقول تعالي: النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب"(غافر ن آيه ٣٦)

قال ابن كثير: الغرق في اليم ثم النقلة إلي الجحيم.

قال تعالي: " وجعلناهم آئمة يدعون إلي النار " [القصص، الآيات رقم ٤١،٤٢)

يقول القشتيري: لا لشرفهم جعلهم آئمة ولكن بسبب تلفهم قدمهم في الخزي والهون علي كل أمة ولكن لم يرشدوا إلا إلي الضلال ولم يدلو الخلق إلا علي المحال وما حصلوا إلا علي سوء الحال وما ذاقوا إلا خزي الوبال أفاضوا علي متبعيهم من ظلمات قلوبهم فافتضحو في خسة مطلوبهم كانوا في الدنيا مبعدين عن معرفته فانقلبوا من طرد إلي طرد ومن هجر إلي بعد ومن فراق إلي احتراق.

وقال تعالي " يقدم قومه يوم القيامة " [هود، الآيات رقم ٩٨، ٩٩) قاد فرعون قومه إلي الضلال في الحياة الدنيا.



يقول سيد قطب: لما كانوا تبعاً لفرعون في هذا الأمر يمشون خلفه ويتبعون خطواته الضالة بلا تدبر ولا تفكر لما كانوا كذلك فإن السياق يقرر أن فرعون سيقدمهم يوم القيامة ويكونون له تبعاً. فانظر ما جلبت المعاصي علي رجل إدعي الآلوهيه وكيف كانت نهايته أن زال ملكه وحلت النقم بقومه وأغرقه الله في طينه وقد نجي الله بدنه ليكون لمن بعه عبرة ممن تسول لهم أنفسهم إقتراف المعاصي.

السامري:

قال تعالي: " واتخذ قوم موسي من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين " [الأعراف، الآية رقم ١٤٨)، وقال تعالي: " وما أعجلك عن قومك يا موسي قال هم أولاء علي أثري وعجلت إليك ربٍ لترضي * قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسي إلي قومه غضبان آسفا * قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعداً حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقي السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسي فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً * ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسي قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إن خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به * فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي * قال فأذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلي إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً " [طه: ٨٣ – ٩٧)

ـ حين ذهب موسي لميقات ربه، عمد رجل منهم يقال له السامري فأخذ ما كان استعاره من الحلي فصاغ منه عجلاً، وألقي فيه قبضة من التراب كان أخذه من آثر فرس جبريل، حين رآه يوم أغرق الله فرعون علي يديه، فلما ألقاها فيه خار كما يخور العجل الحقيقي، ويقال: إنه استحال عجلاً جسداً، أي: لحماً ودماً حياً يخور، قال قتادة ونميرة: وقيل: بل كانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة، فيرقصون حوله ويفرحون " فقال هذا إلهكم وإله موسي فنسي " أي: فنسي موسي ربه عندنا وذهب يتطلبه وهو ها هنا، تعالي الله عما يقولون علواً كبيراً، وتقدست أسماؤه وصفاته، وتضاعفت آلاؤه وعداته.

وأقبل عليهم موسي فعنفهم ووبخهم وهجنهم في صنيعهم هذا القبيح، فاعتذر إليه بما ليس بصحيح " قالوا إنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقي السامري " تخرجوا من تملك حُلي آل فرعون، وهم أهل حرب وقد أمرهم الله بأخذه وأباحه لهم، ولم يتخرجوا بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم من عبادة العجل الجسد؛ الذي له خوار، مع الواحد الأحد، الفرد الصمد، القهار.

وأقبل موسي علي السامري" قال فما خطبك يا سامري " ما حملك علي صنعك؟ " قال بصرت بما لم يبصروا به " أي رأيت جبريل وهو راكب فرساً " فقبضت قبضة من أثر



الرسول " أي من أثر فرس جبريل، فأخذ منه أثر فرس " حافرها "، فلما القاه في هذا العجل المصنوع من الذهب كان من أمره ما كان ولهذا قال " فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس "

قال ابن كثير: هذا دعاء ألا يمس أحداً، معاقبة له علي مسه ما لم يكن له مسه.

قال القرطبي: قال الحسن: جعل الله عقوبة السامري ألا يماس الناس ولا يماسوه؛ عقوبة له، ولما كان منه إلي يوم القيامة ". . . . لا اَمِسُّ ولا أمسُّ.

قال ابن كثير: أي كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول، فعقوبتك في الدنيا أن تقول (لامساس) أي لا تماس الناس ولا يماسونك فمن كان يمسه تصيبه الحمي. " ولا يظلم ربك أحدا"

إذا لم يكن عون من الله في الأولاد . فقد خاب الراجي والمرتجي

فموسي الذي رباه جبريل ساحر. وموسي الذي رباه فرعون مرسل

بلعام بن باعوراء:

عن علي ابي طلحة عند ابن عباس: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعام بن باعوراء وكان يعلم اسم الله الأعظم.

قال محمد بن إسحاق: من سالم بن ُابي النضر أنه حدث ان موسي (عليه السلام) لما أنزل في أرض بن كنعان من أرض الشام "أن قوم بلعام قاموا إليه ". فقالوا له: هذا موسي بن عمران في بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل وإنا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة. فأخرج فادع الله عليهم قال: ويلكم. فلم يزالوا به يرققونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب حماره له فتوجه إلي الجبل الذي يطلعه علي عسكر بني إسرائيل وهو جبل حُسبان فلما سار عليه غير كثير ربضت به فنزل عنها فضربها حتى أذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيراً فنزل عنها فضربها حتى إذا ادلقها. أذن الله لها فكلمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعام أين تذهب؟ أما تري الملائكة تردني عن وجهي هذا؟. أتذهب إلي نبي الله والمؤمنين لتدعو عليهم؟ فلما ينزع عنها فضربها، فخلي الله سبيلها حتى فعل بها ذلك، فانطلقت به حتى إذا اشرفت به علي رأس حسبان من عسكر موسي وبني إسرائيل، جعل يدعو عليهم، ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف لسانه إلي قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلي بني إسرائيل، فقال له قومه: أتدري يا بلعام ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا قال: فهذا ما لا أملك هذا شئ قد غلب الله عليه! قال: واندلع لسانه حتى وقع علي صدره. فقال لهم: قد ذهب مني الآن الدنيا والأخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة. فسأ امكر لكم واحتال: جملوا نساءكم وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلي المعسكر يبعن فيه، ومروهن فلا تمنع امراة نفسها من رجل أرادها. فإنهم إن زنا رجل منهم واحد كفيتموهم، فافعلوا فلما دخل النساء إلي المعسكر، مرت إمراة من الكنعانيين اسمها: " كُسبي بنت صور" راس أمته برجل من عظماء بني إسرائيل وهو " أمري بني شلوم "



رأس سبط سمعان بن يعقوب بن إسحق (عليه السلام) فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل حتى وقف بها علي موسي (عليه السلام) فقال: إني أظنك ستقول: هذا حرام؟ قال: أجل، هي حرام عليك، لا تقربها. قال: فو الله، لا نطيعك في هذا، ثم دخل بها قبته فوقع عليها وأرسل الله عز وجل الطاعون في بني إسرائيل.

يقول سيد قطب: آتاه الله آياته فانسلخ منها، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، وتعري عنها ولصقه بالأرض واتبع الهوي، استولي عليه الشيطان وأمسي مطروداً من حمي الله، لا يهدأ ولا يطمئن، ولا يسكن إلي قرار. فيا للمعاصي من زوال نعم فها هو كان مستجاب الدعوي فلما عصي الله زالت منه هذه النعمه وحلت محلها نقمة اندلاع لسانه علي صدره مثل الكب الذي يلهث من العطش !! وهذا بخلاف عقوبة الآخرة.

عمرو بن لحي الخزاعي:

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ((أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحي بن قمعه بن خندف أبو فزاعه)) أخرجه الطبراني وحسنه الألباني

وفي حديث عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي بن كعب عن أبيه، مرفوعاً (وهو أول من حمل العرب علي عبادة الأصنام) أخرجه الحاكم وابن أبي عاصم .

لما وليت خزاعة البيت، وصار أمره إليهم، كانوا قوم سوء في ولايتهم.

يقول الحافظ ابن كثير: وذلك لأن في زمانهم كان أول عبادة الآوثان بالحجاز، وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لحي ـ لعنه الله ـ فإنه أول من دعاهم إلي ذلك، وكان ذا مال جزيل جداً، يقال: إنه ملك عشرين ألف بعير، وممن ذكر الأزرقي والسهيلي: إنه ربما ذبح أيام الحجيج عشرة الآف بدنه، وكسي عشرة الآف حله في كل سنة، يطعم العرب ويحيس لهم الحيس بالسمن والعسل، ويلث لهم السويق، قالوا: وكان قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع؛ لشرفه فيهم، ومحلته عندهم، وكرمه عليهم.

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلي الشام في بعض أموره، فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يؤمئذ العماليق، وهم ولد عملاق، ويقال: ولد عمليق بن لاوز بن سام بن نوح رأهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدونها؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: ألا تعطوني منها صنماً، أسير به إلي أرض العرب فيعبدونه، فأعطوه صنماً. يقال: له هُبل، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

قال ابن اسحاق: كان كنانه قريش إذا هلوا قالوا: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا هو شريكاً تملكه وما ملك.

وقد ذكر السهيلي وغيره: أن أول من لبي هذه التلبية عمرو بن لحي، وأن أبليس تبدي له في صورة شيخ، فجعل يلقنه ذلك فيسمع منه، ويقول كما يقول واتبعه العرب في ذلك، ولم يقف الشيطان عند هذا الحد. وابتدع لعنة الله ـ لهم أشياء في الدين غير بها دين



الخليل فاتبعه العرب في ذلك. وانظر أيضاً علي ما ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة التي ظنها كبيرهم عمرو بن لحي. قبحه الله - أنها مصلحة ورحمة يا لدواب والبهائم، فهو أول من سيب السوائب، وهو كاذب مفتر في ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجهلة الطغاة.

بعدما تابعوه فيما هو أطم من ذلك وأعظم بكثير، وهو عبادة الأوثان،

وقد قال الله تعالي: " ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون علي الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون "[المائدة: ١٠٣). فيا له من قزم دعا فأجابوه.

قال صلي الله عليه وسلم: رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب، وبحر البحيرة. رواه البخاري ومسلم وأحمد

قال المناوي لكونه استخرج من باطنه بدعه جر بها الجزيرة إلي قومه فكذا يجر أمعاؤه في النار.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: إن أول من سيب السوائب، وعبد الأصنام أبو خزاعه عمرو بن عامر، وإني رأيته في النار يجر امعاؤه فيها. رواه أحمد في مسنده

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قصبه، وهو أول من سيب السوائب". تفرد به البخاري

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: لأكثم بن الجون الخزاعي يا أكثم: رأيت عمرو بن لُحي بن قمعه بن خندف يجر قُصبه في النار، فما رأيت رجلاً اشبه برجل منك به، ولا بك منه، فقال أكثم: عسي أن يضرني شبهه يا رسول الله؟ قال: لا إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمي الحامي.)). أخرجه ابن أبي عاصم وحسنه الألباني

أبرهه صاحب الفيل:

قال ابن جرير: عن ابن اسحاق أن أبرهه الأشرام بني كنيسة بصنعاء وكان نصرانياً وسماها: القليس وانظر إلي إبرهه اللعين - صاحب الفيل - والصاحب يكون من جنس القوم فكأن الله أشار إلي أنه من جنس البهائم بل أضل. لما ابتني كنيسة القليس بصنعاء وأراد حج الناس إليها وأراد بذلك صرف الناس عن الحج إلي البيت الحرام. فصرف الله عنها الناس وأوقد الحريق فيها كما قال القمي النيسابوري.

يقوال الشنقيطي في: وكذلك جيش أبرهة لما جاء مدللاً بعدده وعدته وجاء معه بالفيل اقوي الحيوانات سلط الله عليه اضعف المخلوفات الطيور " أرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل " [الفيل: الآيات رقم ٣ – ٥) يقول ابن كثير يقول ابن إسحاق: أرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار



يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاءوا يسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم علي طريق اليمن.

قال ابن إسحق: فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك علي كل منهل وأصيب أبرهه في جسده وخرجوا به معهم يسقط أنمله أنملة كلما سقطت أنملة اتبعتها أنمله تنزف قيحاً ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

فلما أراد ابرهه هدم البيت حجر حجراً كذلك سقط أنمله انمله. لما أراد تصديع البيت فكذا انصدع صدره عن قلبه.

لما زها وعتا بنفسه وخرج بقوته ويريد مكة فالآن يعود إلي بلاده مثل فرخ الطائر. قال تعالي: " وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل "، أبابيل: أي متفرقة يتبع بضعها بعضاً من نواح شتي

قال ابن عباس: يتبع بعضها بعضاً، وقال عبد الله: فرق،

وقال ابن عباس: كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب.

والسجيل: هو الطين في حجارة كما قال ابن عباس. لَما تتابعوا علي البيت أرسل الله عليهم طيراً أبابيل يتبع بعضها بعضاً. ولما أرادوا نقض البيت وهدمه حجراً حجراً عذبهم الله بالحجارة.

يقول ابن كثير، قال ابن اسحق: بعثت ثقيف أبا رغِال مع أبرهة ليدله علي الطريق إلي مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله بالمغمس فلما أنزله به مات أبو رِغال هنالك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس. فلما أعان القوم كدليل لهدم الكعبة وجعلها أنقاضاً وحجارة فكذا يرجم قبره بالحجارة.

أما قائد الفيل وسائسه: روي ابن إسحق عن عائشة قالت: لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان تحركت أقدامهما بالفيل فأصبحا يقادان في شوارع مكة وأقعدهما الله. يقول سيد قطب: ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعز بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسماً ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر ولا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر.

فلما شرفت الكعبة بإضافة " وطهر بيتي " [الحج، الآية رقم ٢٦) قصدها فوج الفيل فقيل (خاب) مرادهم لما باتوا علي ما بيتوا أقبل الطير الذي رمي كالغمام فكانت قطراته للحصاد لا للبذء فأصبح لزرع الأجساد كالمنجل الهاشم ليكون معجزاً لظهور بني هاشم فامسوا (كعصف مأكول)

كسري ملك الفرس:

روي محمد بن إسحاق عن أبي سلمة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث عبد الله بن حذافه السهمي بكتاب إلي كسري فلما قرأه مزقه فلما بلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم قال (مزق ملكه).



وعن ابن جرير عن أيد بن أبي حبيب قال: وبعث عبد الله بن حذافه بن قيد إلي كسري بن هرمز ملك فارس وكتب معه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي كسري عظيم فارس، سلام علي من اتبع الهدي وآمن بالله ورسوله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلي الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول علي الكافرين فإن تُسلم تسلم وإن ابيت فإن إثم المجوس عليك قال: فلما قرأه شقه وقال: يكتب إلي بهذا وهو عبدي قال: ثم كتب كسري إلي باذان وهو نائبه علي اليمن أن ابعث إلي هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به فبعث باذان قهرمانه وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له: فرخره، وكتب معهما إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم يأمره بأن ينصرف معهما إلي كسر ملك الملوك وقال لباذويه: ائت بلاد هذا الرجل وكلمة وائتني بخبره فخرج حتى قدم الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه فقال: هو بالمدينة واستبشر أهل الطائف يعني وقريش بهما وفرحوا وقال بعضهم لبعض: أبشروا فقد نصب له كسري ملك الملوك وكفيتم الرجل فخرج حتى قدم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فكلمه باذويه فقال: شاه هنشا ملك الملوك كسري قد كتب إلي الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنطلق معي فإن فعلت كتب لك إلي ملك الملوك يكفه عنك وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلك ومهلكك قومك ومخرب بلادك ودخلا علي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال: ويلكما من أمركما بهذا؟ قالا أمرنا ربنا يعنيان كسري فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي ثم قال: إرجعا حتى تأتياني غداً) قال واتي رسول الله الخبر من السماء بأن الله قد سلط علي كسر ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليله وكذا من الليالي سلط عليه ابنه شيرويه فقتله. قال فدعاهما فأخبرهما فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذان؟ قال: نعم اخبراه ذلك عني وقولا له إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسري وينتهي إلي الخف والحافر وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك علي قومك من الأبناء ثم أعطي خرخره منطقة فيها ذهب وفضه كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما علي باذان فاخبراه الخبر فقال: والله ما هذا بكلام ملك وإني لأري الرجل نبياً كما يقول وليكونن ما قد قال فلئن كان هذا حقا فهو نبي مرسل وإن لم يكن فسنري فيه رأيا فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه اما بعد فإني قتلت كسري ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم فإذا جاءك كتابي هذا فخذلي الطاعة ممن قبلك وانطلق إلي الرجل الذي كان كسري قد كتب فيه فلا تهجر حتى يأتيك أمري فيه فلما انتهي كتاب شيرويه إلي باذان قال: إن هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمين.

أبو جهل فرعون الأمة:

وأنقل الحديث الآن إلي الحديث عن رجل كان به من القسوة علي الرسول والمسلمين ما لوزعت علي أهل مكة لوسعتهم وسوف أتحدث عن موقف وحيد من مواقفه.



ففي الصحيحين عن حديث أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعّفر محمد وجهه بين أظهركم (أي يسجد لربه) قال فقيل: نعم فقال: واللات والعزي لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن علي رقبته أو لا عفرن وجهه في التراب قال فأتي رسول الله وهو يصلي زعم ليطأ علي رقبته. قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص علي عقبية ويتقي بيديه قال فقيل له: مالك؟ فقال إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولا وأجنحة. فقال رسول الله: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضواً. رواه مسلم

هذا ناهيك عن قيادته للمأمرة علي قتل النبي وعنما فعله بضعاف المسلمين وضربه وجه السيدة فاطمة حتى أسقط قرطها وغير ذلك مما لا يعد وقد جعل الله هلاكه علي يد غلامين صغيرين يوم بدر.

روي البخاري عن عبد الرحمن بن عوف قال: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكأني لم آمن لمكانهما إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل فقلت يا ابن أخي ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه وقال: لي الأخر سرا من صاحبه مثله.

قال: فما سرني أنني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء وبعد أن انتهت المعركة أراد الرسول أن يعرف ماذا صنع عدو الله.

ففي الصحيحين من حديث أنس قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: من ينظر ماذا صنع أبو جهل قال ابن مسعود أنا يا رسول الله فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال: فأخذ بلحيته قال: فقلت أنت ابو جهل فقال: وهل فوق رجل قتلمتوه أو قال قتله قومه.

وهنا نري الفرق بين عز الطاعه متمثلا في أبن مسعود وذل المعصيه وخزي الذنوب متثلا في أبو جهل.

أبو لهب:

أبو لهب هو عم النبي صلي الله عليه وسلم ولكنه كان شديد العداء للرسول والأذى له ولننظر إلي نموذج من نماذج كيده للرسول.

روي الأمام أحمد عن ربيعه بن عباد من بني الديل وكان جاهلياً فأسلم قال رأيت النبي في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل مضئ الوجه أحور ذو غديرتين يقول إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب.

وروي البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي خرج إلي البطحاء فصعد الجبل فنادي يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال أرايتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني قالوا: نعم قال: فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال: أبو لهب الهذا جمعتنا تبالك.

فأنزل الله: " تبيت يدا أبي لهب وتب " سورة المسد



انتقام الله من أبي لهب:

قال أبو رافع مولي رسول الله رماه الله بالعدسة فقتلته فلقد تركه أبناءه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى انتن وكانت قريش تتقي العدسة كما تتقي الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش ويحكما ألا تستحيان أن اباكما قد انتن في بيته ألا تدفنانه فقالا إنا نخشي عدوي هذه القرحة فقال: انطلقا فأنا اعينكما عليه فو الله ما غسلوه ألا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ثم احتملوه إلي أعلي مكة فأسندوه إلي جدار ثم رجموا عليه بالحجارة.

مسيلمة الكذّاب:

كذاب اليمامة وكان يُدعي رحمان اليمامة إدعي النبوة في عهد رسول الله (صلي الله عليه وسلم)) صدته سجاح لما ادعت النبوة بجنودها لأخذ اليمامة منه فهابه قومها وقالوا: إنه قد استفحل أمره وعظم فقالت: لهم فيما تقوله: عليكم باليمامة دفوا دنيف الحمامة فإنها غزوه صرامة لا تلحقكم بعدها ملامة. قال فعمدوا لحرب مسليمة فلما سمع بمسيرها إليه خافها علي بلاده فبعث إليها يستأمنها ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض الذي كان لقريش لوعدلت فقد رده الله عليك فحباك به وراسلها ليجتمع بها في طائفة من قومه فركب إليها في أربعين من قومه فلما خلا بها عرض عليها ما عرض من نصف الأرض وقبلت ذلك قال مسليمة: سمع الله لمن سمع واطعمه بالخير إذا طمع ولا يزال أمره في كل ما يسر مجتمع رآكم ربكم فحياكم. . . إلخ إلي آخر ما فعل اللعين مما يعف القلم عن ذكره. فلما رجعت سجاح إلي قومها قالوا: ما أصدقك فقالت: لم يصدقني شيئاً قالوا: إنه قبيح علي مثلك أن تتزوج بغير صداق فبعثت إليه تسأله صداقاً فقال: أرسلي إلي مؤذنك فبعثت إليه وهو شبث بن ربعي فقال: ناد في قومك أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد يعني صلاة الفجر والعشاء ثم اسلمت بعد ذلك سجاح. هذا الكذاب الذي كذب علي رسول الله ففضحه الله بكذبه فما يسمي ألا مسيلمة الكذاب وكفي بها عقوبه في الدنيا فكيف بالقتل وقد مثله وحشي فكيف بيوم القيامة

" ويوم القيامة تري الذين كذبوا علي الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوي للمتكبرين "[الزمر، الآية٦٠) وجاء في قرآن الكذاب أعني مسيلمة: يا ضفدع بنت الضفدعين نقي لهم نقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين رأسك في الماء وذنبك في الطين) فهذا قرأنه لو ذكره طفل لسخرنا منه فكيف برجل يدعي النبوه.

وفد عمرو بن العاصي في أيام جاهليته علي مسيلمة فقال له مسيلمة ماذا أنزل علي صاحبكم في هذا الحين

فقال عمرو: لقد أنزل عليه سوره وجيزة بليغة فقال: وما هي! قال: أنزل عليه " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا. . . " [العصر) قال ففكر مسيلمة ساعة ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل علي مثلها فقال له عمرو: وما هي قال: مسيلمة يا وبر ياوبر إنما أنت إيراد وصدر وسائرك حضر نقر. ثم قال كيف تري يا عمرو؟ فقال: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك كذاب. كان عليه لعنة الله يتشبه بالنبي فبلغه أن رسول الله بصق



في بئر فغزر ماؤه فبصق في بئر فغاض ماؤه بالكلية وفي أخري فصار ماؤه أجاجا وتوضأ وسقي بوضوئه نخلاً فيبست وهلكت وأتي بولدان يترك عليهما فجعل يمسح رؤوسهم فمنهم من قرع رأسه ومنهم من لثغ لسانه. قدم عليه لعنة الله المدينة وافدا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد وقف رسول الله فسمعه وهو يقول ان جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته فقال له: لو سألتني هذا العود لعرجون في يده ما اعطيتكه ولئن أدبرت ليعقرنك الله إني لأراك الذي أريت فيه ما أريت وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد رأي في المنام كأنه يديه سوارين من ذهب فأهمه شأنهما فأوحي الله إليه في المنام انفخهما فنفخهما فطاراً، فأولهما بكذابين يخرجان وهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وهكذا وقع، أما الأسود فذبح في داره وأما مسيلمة الكذاب فعقره الله علي يدي وحشي بن حرب رماه بالحربه فأنفذه كما تعقر الأبل وضربه أبو دجانه علي رأسه ففلقه وذلك بعقر داره في حديقة الموت وقد قبله وزيراه: محكم بن الطفيل والرجال بن عنفوه.

الحجاج بن يوسف الثقفي:

نسبه: هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب، وقال ابن خلكان واسم أمه (الفارعة) بنت همام بن مسعود بن الثقفي؛ وكان مولد الحجاج سنة تسع وثلاثين وقيل أحدي وأربعين ثم نشأ شاباً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن ولكنه بعد أن ولاه عبد الملك بن مروان العراق سنة ثلاث وسبعين، عشرين سنه والياً علي العراق فعل فيها بالمسلمين الأفاعيل وقد قدمنا له جزء من جرائمه.

* قال عمر بن عبد العزيز لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم قالت له أسماء لما دخل عليها بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير وقال لها: إن ابنك الحد في البيت وأن الله اذاقه من عذاب أليم وفعل فقالت: له كذبت كان باراً بوالديه كان صواماً قواماً. سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: "يخرج من ثقيف رجلان مبير وكذاب"فأما الكذاب فابن أبي عبيد (المعقاد) وأما المبير فأنت.

* أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحد وثمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجاج وقيل: إنه لبث في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة وعرضوا السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً.

* وعن هشام بن حسان: (أحصوا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مائه ألف وعشرين ألفاً كان عثمانياً أموياً يميل إليهم ميلاً عظيماً ويري أن خلافهم كفر ويستحل بذلك الدماء ولا تأخذه في ذلك لومه لائم.

* خطب الحجاج يوماً فقال: أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر علي عذاب الله فقام إليه رجل فقال له ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأقل حياءك، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام خبت وضل سعيك. فقال للحرس: خذوه. فلما فرغ من خطبته قال له: ما الذي جرأك علي؟ فقال: ويحك يا حجاج، أنت تجترئ علي الله ولا اجترئ أنا عليك ومن أنت حتى لا اجترئ عليك، وأنت تجترئ علي الله رب العالمين، فقال: خلو سبيله. وقتل الحجاج سعيد بن جبير، قال ابن كثير (قال له الحجاج والله لأقتلنك. قال إني



لسعيد كما سمتني أمي. قال: فقتله، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوماً، وكان إذا نام يراه في المنام، يأخذ بمجامع ثوبه. ويقول يا عدو الله، فيم قتلتني؟ فيقول الحجاج: ما لي ولسعيد بن جبير، مالي ولسعيد بن جبير.)

قال الذهبي. قال سليمان التيمي: كان الحجاج إذا أتي بالرجل – يعني ممن قام عليه – قال له اكفرت بخروجك علي؟ فإن قال نعم: خلي سبيله. فقام لسعيد: أكفرت؟ قال: لا. قال إختر أي قتله أقتلك.

قال: اختر أنت فإن القصاص أمامك.

* وقال ابن كثير (أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء وكفي به عقوبة عند الله)

* قال الذهبي في ترجمته: (كان ظلوماً جباراً، ناصبياً، سفاكاً للدماء، قد سقت من سوء سيرته في تاريخي الكبير، وحصاره لابن الزبير في الكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، وتأخيره للصلوات إلي أن استأصله الله. فنسبُه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عري الإيمان.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي):

بويع له بالخلافة وأمه أم الحجاج بن يوسف كان مولده سنه تسعين وقتل يوم الخميس لليلتين بقيتا في جمادي الأخرة سنة ست وعشرين ومائه وقد قتل لفسقه وقبل لزندقته.

روي الأوزاعي وغيره عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال: ولد لأخي أم سلمة زوج البني غلام فسموه الوليد فقال النبي سميتموه باسم فراعينكم ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو أشد فساداً لهذه الأمة من فرعون لقومه.

كان هدا الرجل مجاهراً بالمعاصي والفواحش مصرا عليها منتهكا محارم الله لا يتحاشي من معصيته وربما اتهمه بعضهم بالزندقة والإنحلال من الدين فالله أعلم لكن الذي يظهر أنه كان عاصبياً شاعراً ماجنا متعاطياً للمعاصي لا يتحاشاها من أحد ولا يستحي من أحد قبل أن يلي الخلافة وبعد أن ولي الخلافة وقد روي أن أخاه كان من جملة من سعي في قتله قال: أشهد أنه كان شروباً للخمر ما جنا فاسقا ولقد أرادني علي نفسي الفاسق. وقيل كان يعشق نصرانية ويراسلها وتراسله ويكتب فيها الشعر.

وري بن عساكر بسنده أن الوليد سمع بخمار صلف بالحيرة فقصده حتى شرب منه ثلاثه أرطال من الخمر وهو راكب علي فرسه ومعه أثنان من أصحابه فلما انصرف أمر للخمار بخمسمائة دينار.

وقال القاضي أبو الفرج أخبار الوليد كثيرة قد جمعها الأخباريون مجموعة ومفرده وقد جمعت شيئاً من سيرته وأخباره ومن شعره الذي ضمنه ما فجر به من جرأته وسفاهته وحمقه وهزله ومجونه وسخافة دينه وما صرح به من الألحاد في القرآن العزيز والكفر بمن أنزله وبمن أنزل عليه.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: حدثنا سليمان بن أبي شيخ حدثنا صالح بن سليمان قال: أراد الوليد بن يزيد الحج وقال: أشرب فوق ظهر الكعبة الخمر فهموا أن يفتكوا به إذا



خرج فجاؤا إلي خالد بن عبد الله فسألوه أن يكون معهم فأبي فقالوا له: فاكتم علينا فقال: أما هذا فنعم فجاء إلي الوليد فقال: لا تخرج فإني أخاف عليك فقال: ومن هؤلاء الذين تخافهم علي؟ قال: لا أخبرك بهم قال: إن لم تخبرني بهم بعثت بك إلي يوسف بن عمر قال: وأن بعثت بي إلي يوسف بن عمر فبعثه إلي يوسف فعاقبه حتى قتله. هذا جزء من أفعاله قبل الخلافة وبعدها حتى نقل ذلك علي الأمراء والرعية والجند وكرهوه كراهة شديدة وكان من أعظم ما جني علي نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه، إفساده علي نفسه بني عمه هشام والوليد بن عبد الملك مع إفساده اليمانية وهي أعظم جند خراسان وذلك أنه لما قتل خالد بن عبد الله القسره وسلمه إلي غريمه يوسف بن عمر الذي هو نائب العراق إذ ذاك فلم يزل يعاقبه حتى هلك انقلبوا عليه وتنكروا له وساءهم قتله.

روي ابن جرير بسنده أن الوليد بن يزيد ضرب ابن عمه سليمان بن هشام مائه سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه وحبس الأفقم بن هشام وبايع لولديه الحكم وعثمان وكانا دون البلوغ فشق ذلك علي الناس ونصحوه فلم ينتصح ونهوه فلم يرتدع ولم يقبل.

قال المدائني في روايته: ثقل ذلك علي الناس ورماه بنو هاشم وبنو الوليد بالكفر والزندقة وغشيان أمهات أولاد أبيه وباللواط وغيره وقالوا: قد اتخذ مائه جامعه علي كل جامعه اسم رجل من بني هاشم ليقتله بها ورموه بالزندقه وكان أشدهم فيه قولا يزيد بن عبد الملك وكان الناس إلي قوله أميل لأنه أظهر النسك والتواضع

ويقول: ما يسعنا الرضا بالوليد حتى حمل الناس علي الفتك به قالوا: وانتدب للقيام عليه جماعه من قضاعه واليمانيه وخلق من أعيان الأمراء وآل الوليد بن عبد الملك وهو من سادات بني أميه وكان ينسب إلي الصلاح والدين والورع فبايعه علي الناس ذلك. حتى استوثق له الأمر ثم خرجوا علي الوليد بن يزيد فلما رأي الناس اجتماعهم فروا من الوليد إليهم وبقي الوليد في ذل وقل من الناس فلجأ إلي حصن يسمي حصن البخراء فأحاطوا به من كل جانب يحاصرونه فدنا الوليد من باب الحصن فنادي ليكلمني رجل شريف فكلمه يزيد بن عنبسه فقال الوليد: ألم أدفع الموت عنكم؟ ألم أعط فقراءكم؟ ألم أخدم نساءكم؟ فقال يزيد: إنما ننقم عليك انتهاك المحارم وشرب الخمور ونكاح أمهات أولاد أبيك واستحفافك بأمر الله عز وجل. ثم قال الوليد: أما والله لئن قتلمتوني لا ترتقن فتنكم ولا يلم شعثكم ولا تجتمع كلمتكم ورجع إلي القصر فجلس ووضع بين يديه مصحفاً فنشر وأقبل يقرأ فيه وقال: يوم كيوم عثمان واستسلم وتسور عليه أؤلئك الحائط فكان أول من نزل إليه بن عنبسه فتقدم إليه وإلي جانبه سيف فقال: نحه عنك فقال الوليد: لو أردت القتال به لكان غير هذا فأخذ يده وهو يريد أن يحبسه حتى يبعث به إلي يزيد بن الوليد فبادره عليه عشره من الأمراء فأقبلوا علي الوليد يضربونه علي رأسه ووجهه بالسيوف حتى قتلوه ثم جروه برجله ليخرجوه فصاحت النسوه فتركوه واجتز أبو علاقة القضاعي رأسه واحتاطوا علي ما كان معه مما كان خرج به في وجه ذلك وبعثوا به إلي يزيد مع عشره نفر فلما انتهوا إليه بشروه بقتل الوليد وسلموا عليه بالخلافة ورجعت الجيوش إلي يزيد وكان ذلك لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائه فأمر يزيد بنصب رأسه علي رمح وأن يطاف به في البلد فقيل له إنما ينصب رأس الخارجي فقال: والله لا نصبنه فشهره في البلد علي رمح ثم أودعه عند



رجل شهرا ثم بعث به إلي أخيه سليمان بن يزيد فقال: أخوه بعدا له: أشهد أنك كنت شروباً للخمر ماجنا فاسقاً ولقد ارادني علي نفسي هذا الفاسق وأنا أخوه. وكان عمره يوم قتل ستا وثلاثين سنه ومده ولايته سنة وستة أشهر. قال تعالي: " فكلا أخذنا بذنبه".

الحارث بن سعيد المتنبي الكذاب:

اسمــــه: الحارث بن سعيد الدمشقي مولي أبي الجلاس العبدري، أصله من الجوله فنزل دمشق وتعبد بها وتنسك ثم مكر به ورجع القهقري وانسلخ من آيات الله وفارق حزب المفلحين واتبع حزب الشيطان ولم يزل الشيطان يزج في قفاه حتى أخسره دينه ودنياه واخذاه واشقاه كان عليه من الله ما يستحق يجئ أهل المسجد رجلا رجلا فيذاكرهم أمره ويأخذ عليهم العهد والميثاق إن هو يري ما يرضي وإلا كنتم عليه. كان يأتي إلي رخامه في المسجد فينقرها بيده فتسبح تسبيحاً بليغاً حتى ضج من ذلك الحاضرون.

وقد قال ابن تيميه رحمه الله فيه: كان ينقر هذه الرخامه التي في المقصوره فتسبح وكان زنديقا.

قال ابن خيثمه في روايته: كان الحارث يطعمهم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وكان يقول لهم اخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرج بهم إلي دير المراق فيريهم رجالاً علي خيل فيتبعه علي ذلك بشر كثير وفشا أمره في المسجد وكثر أصحابه واتباعه حتى وصل الأمر إلي القاسم بن مخيمزه قال: فعرض علي القاسم أمره وأخذ عليه العهد إن رضي أمراً قبله وإن كرهه كتم عليه قال: فقال له إني نبي فقال القاسم: كذبت يا عدو الله ما أنت نبي، وفي رواية ما أنت ألا أحد الكذابين الدجالين الذين اخبر عنهم رسول الله: إن الساعة لا تقوم حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنت أحدهم ولا عهد لك ثم قام فخرج إلي أبي إدريس وكان علي القضاء بدمشق فأعلمه بما سمع من الحارث فقال أبو إدريس: فعرفه ثم أعلم أبو إدريس عبد الملك بذلك فتطلبه عبد الملك طلباً حثيثاً واختفي الحارث وصار إلي دار بيت المقدس يدعو لنفسه سراً واهتم عبد الملك بشأنه حتى ركب إلي النصريه فنزلها فورد عليه هناك رجل من أهل النصرية ممن كان يدخل علي الحارث وهو بيت المقدس فأعلمه بأمره وأين هو وسأل من عبد الملك أن يبعث معه بطائفة من الجند الأتراك ليحتاط عليه فأرسل معه طائفه وكتب إلي نائب القدس ليكون في طاعة هذا الرجل ويفعل ما يأمره به فلما وصل الرجل إلي النصريه عن معه انتدب نائب القدس لخدمته فأمره أن يجمع ما يقدر عليه من الشموع ويجعل مع كل رجل شمعه فإذا أمرهم بإشعالها في الليل اشعلوها كلهم في سائر الطرق والأزقة حتى لا يخفي أمره وذهب الرجل بنفسه فدخل الدار التي فيها الحادث فقالوا لبوابه استأذن علي نبي الله فقال في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح فصاح النصري علي الحارث فاختفي منه في سرب هناك فقال أصحابه هيهات يريدون أن يصلوا إلي نبي الله إنه قد رفع إلي السماء قال: فأدخل النصري يده في ذلك السرب فإذا بثوبه فاجتره فأخرجه ثم قال للفرعانين من أتراك الخليفة قال: فأخذوه فقيدوه فيقال: إن القيود والجماعة سقطت من عنقه مرات ويعيدوها وجعل.



يقول: قل إن ضللت فإنما أضل علي نفس وإن اهتديت فيما يوحي إلي ربي إنه سميع عليم)[سبأ، الآية رقم ٥٠)

وقال " أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله " [غافر، الآية رقم ٢٨) فلما انتهوا به إلي عبد الملك أمر بصلبه علي خشبه وأمر رجلا فطعنه بحربه فانثنت في ضلع من أضلاعه فقال: له عبد الملك ويحك أذكرت اسم الله حين طعنته؟ فقال: نسيت فقال: ويحك سم الله واطعنه قال فذكر اسم الله ثم طعنه فأنفذه وقد كان عبد الملك حبسه قبل صلبه وأمر رجالا من أهل الفقة والعلم أن يعظوه ويعلموه أن هذا الذي به من الشيطان فأبي أن يقبل منهم فصلبه بعد ذلك وهذا من تمام العدل والدين.

يقول العلاء بن زياد العدوي: ما غبطت عبد الملك بشئ من ولايته ألا بقتله حارثاً.

الخبيث صاحب الزنج:

المدعي أنه طالبي وهو كاذب ا دخل جيشه البصرة سنة ٢٥٧ هـ فقتل من أهلها خلقاً وأحرق الزنج وجامع البصرة ودوراً كثيرة وانتهبوها ثم نادي فيهم إبراهيم بن المهلبي أحد أصحاب الزنجي: من أراد الأمان فليحضر فاجتمع عنده خلق كثير من أهل البصرة فرأي أنه قد أصاب فرصة فغدر بهم وأمر بقتلهم فلم يفلت منهم إلا الشاذ. كانت الزنج تحيط بجماعة من أهل البصرة ثم يقول بعضهم لبعض: كيلوا – وهي الإشارة بينهم إلي القتل – فيحملون عليهم بالسيوف فلا يسمع إلا تشهدهم وضجيجهم وهم يقتلون أي صراخ الزنج وضحكهم فإنا لله وإنا إليه راجعون وهكذا كانوا يفعلون في كل محال بالبصرة في عدة أيام نحسات وهرب الناس منهم كل مهرب وحرقوا الكلأ من الجبل إلي الجبل فكانت النار تحرق ما وجدت من شئ من إنسان أو بهيمة أو آثار أو غير ذلك وأحرقوا المسجد الجامع وقتلوا جماعة كثيرة من الأعيان والمحدثين والعلماء.

وبعد أن عاث في الأرض فساداً وقتل من قتل كتب إليه ولي عهد المسلمين الموفق أخو الخليفة المعتمد ودعاه إلي الحق فلم يجبه استهانة به فركب إليه من فوره في جيوش عظيمه قريب من خمسين ألف مقاتل قاصداً إلي المختارة مدينة صاحب الزنج وجرت بينهم حروب عظيمة وما زالت الحروب ناشبة حتى انسلخت السنة وهم محاصرون للخبيث صاحب الزنج وظفر الموفق بيهوذ بن عبد الله فقتله وكان ذلك من أكبر الفتح عند المسلمين وأعظم الزرايا عند الزنج وخرب الموفق بالله مدينة صاحب الزنج واحتاز ما كان بها من الأموال وقتل من كان بها من الرجال وسبي من وجد فيها من النساء والأطفال ولما فر الخبيث وتحصن ببلده أخري أخرجوه منها ذليلا ً ثم بعث السرايا والجيوش وراء صاحب الزنج فاسروا عامة من كان معه من خاصته وجماعته منهم سليمان بن جامع فاستبشر الناس بأسره وكبروا الله وحمدوه فرحاً بالنصر والفتح وحمل الموفق بمن معه حملة واحدة علي أصحاب الخبيث فاستحر فيهم القتل وما انجلت الحرب حتى جاء البشير بقتل صاحب الزنج وأتي برأسه مع غلام لؤلؤة الطولوني فلما تحقق الموفق أنه رأسه بعد شهادة الأمراء الذين كانوا معه من أصحابه خر ساجداً لله وسجداً بن الموفق وقواده ومواليه وغلمانه شكراً لله وأكثروا حمد الله والثناء عليه وأمر الموفق برفع رأس الخبيث علي قناة ونصبه بين يديه فتأمله الناس وعرفوا صحة الخبر فارتفعت أصواتهم بالحمد لله وكان يوماً مشهوداً وفرح المسلمون بذلك في



المغارب والمشارق وجئ بولده بانكلاتي وأبان بن علي المهلبي مسعر حربهم مأسورين ومعهما قريب من خمسة الآف أسير فتم السرور.

وسار الموفق إلي بغداد وقدم ولده أبا العباس بين يديه ومعه رأس الخبيث يحمل ليراه الناس وكان يوماً مشهوداً وانتهت أيام صاحب الزنج المدعي الكذاب المبار الجبار بالمعاصي والذنوب.

أبو مسلم الخراساني:

*وانظر إلي أبي مسلم الخراساني الذي قتل من عباد الله ما قتل وكان فاتكا سفاكاً.

* ذكر ابن جرير أن أبا مسلم قتل في حروبه، وما كان يتعاطاه لأجل دوله بني العباس ستمائة ألف صبراً زيادة عن من قتل بغير ذلك، وسئل عبد الله بن المبارك عن أبي مسلم أهو خير أم الحجاج؟ فقال: لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد، ولكن كان الحجاج شراً منه، كتب إليه المنصور: أحذر البغي أبا مسلم، فإنه من بغي واعتدي تخلي الله عنه، ونصر عليه من يصرعه لليدين والفم، وأحذر أن تكون في الذين خلو من قبلك، ومثله لمن يأتي بعدك. وكتب هو إلي المنصور: (إن أخاك السفاح ظهر في صورة مهدي وكان ضالاً ، فأمرني أن أجرد السيف، وأقتل بالظنه، وأقدم بالشبهة، وأرفع بالرحمة، ولا أقيل العثرة، فوترت أهل الدنيا في طاعتكم، وتوطئه سلطانكم، حتى عرفكم الله من كان جهلكم، ثم إن الله سبحانه تداركني منه بالندم، واستنقذني بالتوبة فإن يعف عني ويصفح فإنه كان للأوابين غفوراً، وإن يعاقبني فبذنوبي وما ربك بظلام للعبيد.

وكتب إليه المنصور: أما بعد أيها المجرم العاصي أنه لم يسخ لك أمران إلا كنت لأرشدهما تاركاً ولاغواهما راكباً، تقتل قتل الفراعنة، وتبطش بطش الجبابرة، وتحكم بالجور حكم المفسدين، وتبذر المال وتضعه في غير مواضعه فعل المسرفين. ولما ادخلوه علي المنصور جعل يعاتبه في أشياء صدرت منه، فيعتذر عنها جيداً، حتى قال له: فلم قتلت سليمان بن كثير، وإبراهيم بن ميمون، وفلانا وفلانا؟ قال: لأنهم عصوني وخالفوا أمري. فغضب عند ذلك المنصور وقال: ويحك! أنت تقتل إذا عُصيت، وأنا لا أقتلك وقد عصيتني؟ وصفقة بيديه وكانت الإشارة بينه وبين المرصدين لقتله، فتبادروا إليه ليقتلوه؛ فضربه أحدهم فقطع محامل سيفه، فقال يا أمير المؤمنين، استبقني لأعدائك. فقال: وأي عدو لي أعدي منك؟! ثم زجرهم المنصور، فقطعوه قطعاً، ثم القي في دجله.

ويروي أن المنصور لما قتله وقف عليه، فقال: رحمك الله أبا مسلم، بايعتنا فبايعناك، وعاهدتنا فعاهدناك، ووفيت لنا فوفينا لك، وإن بايعناك علي أن لا يخرج علينا أحد في هذه الأيام إلا قتلناه، فخرجت علينا فقتلناك وحكمنا عليك حكمك علي نفسك لنا.

ثم إن المنصور خطب في الناس بعد قتل أبي مسلم فقال: (يا أيها الناس، لا تنفروا أطيار النعم بترك الشكر، فتحل بكم النقم، وإن هذا الغمر أبا مسلم بايع علي أنه من نكث بيعنا وأظهر غشنا فقد أباحنا دمه، فنكث وغدر، وفجر وكفر، فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه علي غيره لنا. وقال: فحكمنا فيه حكمه في غيره ممن شق العصا.

أحمد بن أبي دؤاد الأيادي:



ـ المعتزلي قاض المعتصم، الذي جر البلاد إلي محنه خلق القرآن، وبسببه أهين علماء الأمة وعذبوا وقتلوا.

ـ هو الذي تكلم في عقيدة أهل السنة وشانها، وتكلم في أحمد بن حنبل وعاب معتقده.

يقول الحسين الكرابيس: مثل الذين يذكرون أحمد بن حنبل، مثل قوم يجئيُون إلي أبي قبيس يريدون أن يهدموه بنعالهم.

ـ بسببه قتل أحمد بن نصر الخزاعي وسجن الإمام أحمد وعذب بالسياط، ودعا عليه الإمام أحمد؛ فحبسه الله في جسده كما حبس الإمام، ودخل عليه وعاده عبد العزيز الكناني، وقال له: لم آتك عائداً بل لأحمد الله أن سجنك في جلدك.

ـ قال ابن كثير: ابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى بقي طريحاً في فراشة لا يستطيع أن يحرك شيئاً من جسده، وحرم لذه الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك جعل نصف جسده لو سقط عليه ذباب فكأنما نهشته السباع، والنصف الأخر لو نهشته السباع لم يحس بها.

وقد دخل عليه بعضهم فقال: والله ما جئتك عائداً وإنما جئتك لا عزيك في نفسك وأحمد الله الذي سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك عقوبة من كل سجن، ثم خرج عنه داعياً عليه بأن يزيده الله ولا ينقصه مما هو فيه، فازداد مرضاً إلي مرضه، وقد صودر في العام الماضي سنة ٢٣٨ بأموال جزيلة جداً، ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل، وكان ابنه أبوالويد محمد صودر بألف دينار ومائتي ألف دينار ومات قبل أبيه بشهر.

وقال في مكان أخر: في سنة سبع وثلاثين ومائتين في ربيع الأول، أمر الخليفة بالاحتياط علي ضياع بن أبي دؤاد، وأخذ ابن أبا الوليد محمد فجسه في يوم السبت، لثلاث خلوت من ربيع الأخر، وأمر بمصادرته فحمل، مائه ألف وعشرين ألف دينار. ومن الجواهر النفيسه ما يقوم بعشرين ألف دينار، ثم صولح علي ستة عشر ألف ألف درهم. ثم نفي أهله من سامرا إلي بغداد مهانين، انظر كيف أذله الله وحبسه في جسده وأهين قبل موته ولا يظلم ربك آحدا.

قال الإمام أحمد: قولوا لأهل البدع بينا وبينكم يوم الجنائز حين تمر. فلما مات إمام أهل السنة كانت جنازته أكبر جنازة في تاريخ المسلمين. قال عبد الوهاب الوراق. ما بلغنا أنه كان للمسلمين جمع أكثر منهم علي جنازة أحمد بن حنبل ألا جنازة كانت في بني إسرائيل. ولما أنزلت رأس أحمد بن نصر من علي الصليب كان يوماً مشهوداً وصدَق الله قول أحمد، في أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاه الدنيا لم يحتفل أحد بموته، ولم يلتفت إليه. ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان. جزاءاً وفاقاً.

الحاكم بن المعز الفاطمي صاحب مصر (الحاكم بأمر الله):

يقولون إن عُبيد الله هذا كان ابن أمراه يهودية من حداد يهودي فاتفق ان جري ذكر النساء في مجلس الحسين بن محمد القداح فوصفوا له تلك المرأة اليهودية وأنها أيه في الحسن وكان لها من الحداد ولدا فتزوجها الرجل وأدب ابنها وعلمه ثم عرفه أسرار



الدعوة العلوية وعهد إليه بها وقد ابتلي هذا الرجل بنقيضين احدهما من نفسه وهي ما تحدثنا عنها اعني نسبه أما النقيصة الثانية فقد ابتلي بقوم فتنوه بآرائهم ومذهبهم وهم حمزة بن علي والاخرم وغيرهم فتنوا الرجل وأضلوه وهم بطانة سوء. اظهر هذا الطاغية إن الله يؤيد به الإسلام ليتألف الجنة والشعب وكان في ذلك لئيم الكيد دنئ الحيلة يهودي المكر وقد صدق فيه قول الله "لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود. . . . . الايه)المائدة اشرف القابه خادم العمامة الخضراء. يري أن الدين الإسلامي خرافه وشعوذة من النفس أعدم هذا الحاكم سنة أحدي عشرة وأربعمائة فاستبشر المؤمن بذلك لأنه كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً ولنذكر شيئاً من صفاته القبيحة وسيرته المذمومة أخزاه الله كان كما يقول ابن كثير في البداية والنهاية كثير التلون في أفعاله وأحكامه وأقواله جائراً وقد كان يروم أن يدعي الألوية كما ادعاها فرعون فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب علي المنبر اسمه أن يقوم الناس علي أقدامهم صفوفاً إعظاما لذكره واحتراماً لاسمه فعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين وكان قد أمر أهل مصر علي الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجداً له حتى إنه يسجد بسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم ممن كان لا يصلي الجمعة وكانوا يتركون السجود لله يوم الجمعة وغيره ويسجدون للحاكم وأمر في وقت لأهل الكتاب بالدخول في دين الإسلام كرها ثم أذن لهم في العود إلي دينهم وخرب كنائسهم ثم عمرها وخرب القمامة ثم أعادها وابتني المدارس وجعل فيها المشايخ ثم قتلهم وأخربها وألزم الناس بغلق الأسواق نهاراً وفتحها ليلاً فامتثلوا لذلك دهرا طويلاً كما اجتاز مره برجل يعمل في التجارة في أثناء النهار فوقف عليه وقال ألم أنهكم، فقال: يا سيدي لما كانوا يتعيشون بالليل سهروا بالنهار فهذا من جملة السهر فتبسم وتركه. وأعاد الناس إلي أمرهم الأول وكل هذا تغيير للرسوم واختبار لطاعة العامة له ليرقي في ذلك إلي ما هو أشر وأعظم منه وقد كان يعمل الحسبة بنفسه فكان يدور بنفسه في الأسواق علي حمار له وكان لا يركب إلا حماراً فمن وجده قد غش أمر عبداً أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمي وهذا أمر منكر ملعون لم يسبق إليه وكان قد منع النساء من الخروج من منازلهن وقطع شجر الأعناب حتى لا يتخذ الناس منه خمراً ومنعهم من طبخ الملوخية وأشياء من الرعونات التي من أحسنها كراهة الخمر وكانت العامة تبغضه كثيراً ويكتبون له الأوراق بالشتيمة البالغة له ولأسلافه في صورة ورق بخفيها وإزارها وفي يدها قصه من الشتم واللعن والمخالفة شئ كثير فلما رأها ظنها امرأة فذهب من ناحيتها وأخذ القصة من يدها فقرأها فرأي ما فيها فأغضبه ذلك فأمر بقتل المرآة فلما تحققها من ورق ازداد غيظاً إلي غيظه ثم لما وصل إلي القاهرة أمر السودان أن يذهبوا إلي مصر فيحرقوها وينهبوا ما فيها من الأموال والمتاع والحريم فذهبوا فامتثلوا ما أمرهم به فقاتلهم أهل مصر قتالاً شديداً ثلاثة أيام والنار تعمل في الدور والحريم وهو في كل يوم قبحه الله يخرج فيقف من بعيد وينظر ويبكي ويقول: من أمر هؤلاء العبيد بهذا؟ ثم اجتمع الناس في الجوامع ورفعوا المصاحف وصاروا إلي الله عز وجل واستعانوا به فرق لهم الترك والمشارقة وانحازوا إليهم وقاتلوا معهم عن حريمهم ودورهم وتفاقم الحال ثم ركب الحاكم لعنة الله ففصل بين الفريقين وكف العبيد عنهم وكان يظهر التنصل مما يفعله العبيد وأنهم ارتكبوا ذلك من



غير علمه وإذنه وكان ينفذ إليهم السلاح ويحثهم علي ذلك في الباطن وما انجلي الأمر حتى احترق من مصر نحو ثلثها ونهب قريب من نصفها وسبيت معظم النساء والبنات وفعل معهن الفواحش والمنكرات حتى إن منهن من قتلت نفسها خوفاً من العار والفضيحة واشتري الرجال منهم من سبي لهم من النساء والحريم.

قال ابن الجوزي: ثم ازداد ظلم الحاكم حتى عنً له أن يدعي الربوبية فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون يا واحد يا أحد يا محي يا مميت. ،

صفه مقتله لعنه الله.

كان قد تعدي شره إلي الناس كلهم حتى إلي أخته وكان يتهمها بالفاحشة ويسمعها أغلظ الكلام فتبرمت منه وعملت علي قتله فراسلت أكبر الأمراء، أمير يقال له ابن دواس فتوافقت هي وهو علي وقتله ودماره وتواطأ علي ذلك فجهز من عنده عبدين أسودين وقال لهما: إذا كانت الليلة الفلانية فكونا في جبل المقطم ففي تلك الليلة يكن الحاكم هناك في الليل لينظر في النجوم وليس معه أحد إلا ركابي وصبي فاقتلاه واقتلاهما معه واتفق الحال علي ذلك فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لامه: علي في هذه الليلة قطع عظيم فإن نجوت منه عمرت نحوا من ثمانين سنة ومع هذا فانقلي حواصلي إليكي فإن أخوف ما أخاف عليك من أختي وأخوف ما أخاف علي نفسي منها فنقل حواصله إلي أمه وكان له في صناديق قريب من ثلاثمائة ألف دينار وجواهر أخر فقالت له أمه: يا مولانا إذا كان الأمر كما تقول فارحمني ولا تركب في ليلتك هذه إلي موضع وكان يحبها فقال: أفعل، وكان من عادته أن يدور حول القصر كل ليلة فدار ثم عاد إلي القصر فنام إلي قريب من ثلث الليل الأخير فاستيقظ وقال: إن لم أركب الليلة فاضت نفسي فثار فركب فرسا وصحبه صبي وركابي وصعد إلي جبل المقطم فاستقبله ذانك العبدان فأنزلاه عن مركوبة وقطعا يديه ورجليه وبقرأ بطنه فأتيا به مولاهما ابن دواس فحمله إلي أخته فدفنته في مجلس دارها واستدعت الأمراء والأكابر والوزير وقد أطلعته علي الجلية فبايعوا لولد الحاكم أبي الحسن علي ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله وكان بدمشق فاستدعته وجعلت تقول للناس إن الحاكم قال لي: إنه يغيب عنكم سبعة أيام ثم يعود فاطمأن الناس وجعلت ترسل ركابين إلي الجبل فيصعدونه ثم يرجعون فيقولون تركناه في الموضع الفلاني ويقول الذين بعدهم لأمة تركناه في موضع كذا وكذا حتى اطمأن الناس وقدم ابن أخيها واستصحب معه من دمشق ألف ألف دينار وألفي درهم فحين وصل البسته تاج جد أبيه المعز وحله عظيمة وأجلسته علي السرير وبايعه الأمراء والرؤساء وأطلق لهم الأموال وخلعت علي ابن دواس خلعه سنية هائلة وعملت عزاء أخيها الحاكم ثلاثة أيام ثم أرسلت إلي ابن دواس طائفة من الجند ليكونوا بين يديه بسيوفهم وقوفا في خدمته ثم يقولوا له بعض الأيام أنت قاتل مولانا ثم يرهبونه بسيوفهم ففعلوا ذلك وقتلت كل من أطلع علي سرها في قتل أخيها فعظمت هيبتها وقويت رمتها وثبتت دولتها. وكان عمر الحاكم يوم قتل سبع وثلاثين سنة ومدة ملكه من ذلك ٢٥ سنة.

وقد عمت بلوته عليه لعنة الله فعبده كثير من الجهلة حتى يومنا هذا وهم الدروز ويقولون بعودة الحاكم بأمر الله وهو الله عندهم لعنهم الله وشتت شملهم وفرق جمعهم وكتب لهم الذل والهوان وله العذاب والخزي والدمار إن لم يكن تاب قبل موته لأنه هو



الذي نسب لنفسه الألوهية فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلي يوم القيامة. وهذا مثال من الأمثلة التي ضاعت بسببها دولة الإسلام. ولله الشكوى،

عميل التغريب(طه حسين):

- أضواء علي طه حسين -

ومن المعلوم عن طه حسين أن أباه جاء إلي صعيد مصر - مدير المنيا - من بلد غير معلوم من المغرب وكان يعمل وزّانا في شركة يهودية للسكر، وطه حسين هو الذي تبنى إصدار قرار بتعيين الحاخام اليهودي (حاييم ناحوم أفندي) حينذاك عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ليكون عينا علي المفكرين ورجال اللغة، كما أنه عين عددا من الأساتذة الأجانب في كلية الآداب أستوردهم وبعضهم يهود وكلهم كانوا يحاربون الإسلام أو يشككون فيه، وأول دكتوراه منحتها (كلية الآداب) في جامعة القاهرة تحت إشراف الدكتور طه حسين كانت بعنوان (القبائل اليهودية في البلاد العربية) تقدم بها (إسرائيل ولفنسون) عميد جامعة هاداسا في تل أبيب الآن.

بعد هذه الأضواء التي تظهر لنا بوضوح ولاء الدكتور طه حسين لليهود لا نستغرب من أفكاره لابن سبأ، يقول طه حسين: إن أمر السبابية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفا منحولا قد اخترع بأخَرَة فحين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصرا يهوديا إمعانا في الكيد لهم والنيل منهم... الخ كلامه.

في يناير ١٩٥٠حمل حسين سري رئيس الديوان إلي الملك فاروق مشروع التشكيل الوزاري الذي سلمه إليه مصطفي النحاس رئيس حزب الوفد اخذ الملك في مراجعته ولما وصل إلي اسم طه حسين قال الملك: مستحيل انتم لا تعرفون خطورة هذا الرجل وقال أيضا من المحال أن أوافق علي ان يكون وزيرا للمعارف بالذات مستحيل وتدخل كريم ثابت الصليبي واقنع الملك بالعدول عن موقفه. فلك أيها القارئ أن تتخيل رجل يشفق منه الطاغية فاروق علي الأمة ان اغلب أبناء هذا الجيل طرق أسماعهم اسم طه حسين الموصوف زورا عميد الأدب العربي وتخيلوه من إجراء الدعاية المسلطة عقولهم الرجل المسلم الوقور تحيطه هاله الشهرة المدوية والتاريخ الحافل بالأمجاد ان هذا الرجل مسئول عن كثير من مظاهر الفساد والتحلل التي ينوء بها المجتمع اليوم ولقد خاض معارك من اجل تسميم الأفكار وتزييف مفهوم الإسلام والتاريخ الإسلامي معتمدا علي سياسة المستشرقين في التحول من المهاجمة العلنية للإسلام إلي الخداع للمسلمين بتقديم طعم ناعم في أول الأبحاث ثم دس السم علي مهل متسترا وراء دعوي البحث العلمي وحرية الرأي وما يهمنا هنا هو التنبيه علي دوره الخطير في محاربه الإسلام وتهديد حصونه من داخلها ثم سرد مقتطفات من أقواله وأفعاله التي تبين مدي حقده علي هذا الدين وعلي هذه الأمة ولا أجد في التعبير عن ذلك من حكم أستاذه التلمودي المستشرق (ماسنيون)عليه فقد قال الدكتور زكي مبارك: وقف المستشرق ماسنيون يوم أديت امتحان الدكتوراه وقال: إ نني حين اقرأ بحثا لطه حسين أقول هذه بضاعتنا ردت إلينا) وها هي بعض أقواله وأفكاره:



(١)تكذيبه القران وسائر الكتب السماوية في قوله: للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقران أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقران لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجره إسماعيل بن إبراهيم إلي مكة ونشاه العرب المستعربة ونحن مضطرون أن نري في هذه القصة نوعا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهود والقران والتوراة ٠من أخري جهة.

(٢) يقول: إن القران المكي يمتاز بالهرب من المناقشة والخلو من المنطق

(٣) يقول: ظهر تناقض كبير بين نصوص الكتب الدينية وبين ما وصل إليه العلم وكذلك يقول: إن الذين لم ينزل من السماء وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها إن الدين حين يقول بوجود الله وبنبوه الأنبياء يثبت أمرين لا يعترف بهما العلم.

(٤) يقول: إن الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين وستبقي كذلك بل يجب أن تبقي وتقوي والمصري فرعوني قبل أن يكون عربيا ولا يطلب من مصر أن تتخلي عن فرعونيتها وإلا كان معنى ذلك اهدمي يا مصر الأهرامات وأبا الهول وانسي نفسك. لا تطلبوا من مصر أكثر مما تستطيع أن تعطي مصر لن تدخل في وحده عربيه سواء كانت العاصمة القاهرة أم دمشق أم بغداد واذكر قول احد الطلبة القائل لو وقف الدين الإسلامي حاجزا بيننا وبين فرعونيتنا لنبذناه. أ. هـ عليه من الله ما يستحق ويتألم ويمني أن يكون ون ضمن الدستور ليلغي منه أن لله وله دينا رسميا هو الإسلام.

(٥) يقول لم أكن في اللجنة التي وضعت الدستور القديم ولم أكن ضمن الذين وضعوا الدستور الجديد ولم يستشرني اؤلئك وهؤلاء في هذا النص الذي اشتمل عليه الدستور جميعا والذي يعلن أن الدولة المصرية دينا رسميا هو الإسلام ولو قد استشارني أولئك وهؤلاء لطلبت إليهم أن يتفكروا قبل أن يضعوا هذا النص في الدستور.

(٦) يطلب من طلاب كليه الآداب الهجوم علي القران واقتحامه في جراه ونقضه بوصفه كتابا أدبيا يقال فيه هذا وهكذا (تعالي الله عما يقولون علوا كبيرا) وقد حكي عنه عبد الحميد سعيد قوله(ليس القران إلا كتابا ككل الكتب الخاضعة للنقد فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر نهائيا عن قداسته التي تتصورونها وان تعتبروه كتابا عاديا فتقولوا فيه كلمتكم ويجب ان يختص كل واحد منكم بنقد شيئا من هذا الكتاب ويبين ما أخذه عليه)

(٧) شن حمله عنيفة علي علماء الأزهر الشريف وعلي الأزهر ورمي علماءه بالجمود وحث علي استئصال هذا الجمود ووقاية الأجيال الحاضرة والمقبلة من شره.

(٨) لم يكتفي بشن حملته علي الأزهر وعلماءه بل طالب بإلغاء التعليم الأزهري وتحويل الأزهر إلي جامعه أكاديمية للدراسات الإسلامية وقد أطلق عليها الخطوة الثانية وكانت الخطوة الأولي الفاء المحاكم الشرعية التي هلل لها كثيرا.

(٩) أعاد خلط الإسرائيليات والأساطير إلي السيرة النبوية بعدما نقاها العلماء المسلمين منها.



(١٠) حمل علي الصحابة رضي الله عنهم حمله عنيفة وخاصة الرعيل الأول منهم ووصفهم بالسياسيين المحترفين الطامعين في السلطان وذلك لأزاله التقدير الذي يكنه المؤرخون المسلمون لصحابه الرسول صلي الله عليه وسلام.

(١١) عمل علي أعاده طبع رسائل إخوان الصفا وتقديمها بمقدمه ضخمه محاولا إحياء هذا الفكر الباطل المحبوس المدمر وإحياؤه شعر المجون والفسق والحديث عن شعرائهما بهالة التكريم كابي نواس وبشار وغيرهما وكذا ترجمه القصص الفرنسي الاباحي الماجن وطعنه في ابن خلدون.

(١٢) يقول أريد أن ادرس الأدب العربي كما يدرس صاحب العلم الطبيعي علم الحيوان والنبات ومالي ادرس الأدب لأقصر حياتي علي مدح أهل ألسنه وذم المعتزلة من الذي يكفلي أن ادرس الأدب لأكون مبشرا للإسلام أو هادما للإلحاد.

(١٣) يقول: إن الإنسان يستطيع أن مؤمنا وكافرا في وقت واحد مؤمنا بضميره وكافرا بعقله فان الضمير يمكن إلي الشئ وطمئن إليه فيؤمن به أما الفعل فيعيد النظر فيه ويفكر فيهدم ويبني ويهدم

(١٤)علينا أن نسير سيره الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندانا ونأخذ الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب.

(١٥)كان يتقدم بعض المستشرقين المحاربين لله ورسوله الطاعنين في القران لإلقاء محاضرات حول الإسلام في الجامعات المصرية لتشكيك الطلبة في القران الكريم.

(١٦)كان يشجع تيار التنصير في الجامعة وحينما اكتشف هذا المخطط ألتنصيري قال: ما يضر السلام أن ينقص واحدا أو تزيد المسيحية واحدا عندما اكتشف ان هناك كتابا مقررا في قسم اللغة الانجليزية يتضمن هجوما علي الإسلام ورسوله؛قال إن الإسلام قوي ولا يتأثر ببعض الأفراد)واكتفي بهذا في حين ترك للأساتذة الانجليز مطلق الحرية في هذا العمل.

(١٧) عمد إلي إخراج كل من له رأي أو آصاله من كليه الآداب واستبقي اعوانة الذين سار بهم إلي الطريق الذي رسمه وأعان علي ذلك (علي لطفي)الذي كان مديرا للجامعة وفي نفس الوقت تابعا لخططه وخاصة في إنشاء معهد التمثيل والرقص الإيقاعي وعوده الطالبات إلي الاختلاط وتحريضهن علي ذلك ومعارضه الجبهة الإسلامية التي حاولت أن تدعوا إلي الدين والأخلاق وهكذا تحولت الجامعة إلي نجتمع متحلل من قيود الأخلاق الإسلامية فأقيمت حفلات رسميه في دار الأبرا لها راقصات محترفات ومن ثم عرفت حفلات الرقص والسمر في البيوت مما قصت إخباره بعض الحريمات وغيرها والرحلات المشتركة وما كان يجري في اتحاد الجامعة ورابطه الفكر العلمي من محاضرات ماديه ألحاديه ومقطوعات فرنسيه علي البيانو وراويات تمثيلية تقوم علي الجب والغرام وقد وصل الأمر إلي حد أن احد الأساتذة الأجانب ضاق ذرعا بذلك الفساد فكتب يقول انه خليق بالجامعة أن تمثل المثل الأعلى يعني الطلاب لا ان تمثل فيهم الكبر ولكن طه حسين كان يرعي ذلك ويقول ان هذا النوع من الحياة الحديثة لن يمضي عليه وقت طويل في مصر حتى بغير العقلية المصرية تغيرا كبيرا.



(١٨)أقام حفلا لتكريم ٠رينان الشرس الذي هاجم الإسلام اعنف هجوم ورمي الإسلام والعرب بكل نقيصة في آدابهم وفكرهم وكذلك جعل الشعار الفرعوني هو شعار الجامعة وقد لقي من ذلك كله معارضه شديدة وخصومه واسعة وصلت إلي كل مكان في البلاد العربية وأرسل إليه ٠(الأستاذ: توفيق الفكيكي)من العراق برقيه قال فيها: إن شعاركم الفرعوني سيكسبكم الشقاء وستبقي ارض الكنانة وطن الإسلام والعروبة برغم الفرعونية.

(١٩) ذكرت مجله النهضة الفكرية في عددها الصادر في ٧نوفمبر١٩٣٢م أن الدكتور طه حسين تعمد في احدي كنائس فرنسا وانسلخ من الإسلام من سنين في سبيل شهوات ذاتيه.

رد الفعل عند المسلمين:

هوجم طه حسين منذ اليوم الأول إلي اليوم الأخير ولم تتوقف حركه اليقظة عن متابعته وكشف شبهاته وتزييف أرائه ودحر مخططاته ولكنه مع كل ذلك كان يقبض الثمن وكفأ بكل إصرار علي خدماته لأعداء السلام في كافه البقاع الإسلامية ظل يرتقي في مخطط مرسوم من أستاذ إلي عميد إلي مدير جامعه إلي مستشار فني إلي وزير وظل حتى اللحظات الأخيرة في حياته مشرفا علي اللجنة الثقافية في الجامعة العربية ورئيسا لمجمع اللغة العربية وله نفوذه الواسع في وزاره المعارف والجامعات وذلك مصداق قول (هاملتون جيب)المستشرق سواء قوبلت أراء طه حسين بالموافقة أم لم تقبل فلا بد ان يقضي نفوذه الواسع الذي يتمتع به إلي توطيد المبادئ التي يدعو إليها.

وقال المستشرق (كامفير): إن المحاولة الجريئة التي قام بها طه حسين ومن يشايعه في الرأي لتخليص دراسة العربية من شباك العلوم الدينية هي حركه لا يمكن تحديد آثارها علي مستقبل الإسلام. بل قال هو نفسه إنني أفكر بالفرنسية واكتب بالعربية. وفي تقرير خطير يصف المكر اليهودي الأمريكي لاباده الجيل المسلم وبصوره مكشوفة يطالب التقرير بوجوب الافاده من أراء طه حسين ومؤلفاته. وقد دعا التقرير الي وجوب تأليف لجنة لمكافحة الإسلام تنبع من وكالة الأمن القومي الأمريكي وقد استعانت هذه اللجنة بعدة شخصيات منها نائب ما يسمي(البابا)المسئول عن التبشير مع الجامعة الدينية كما استعانت بتقرير الدول الاستعمارية في الغرب والشرق. وقد جاء في توجيهات اللجنة السابقة وجوب تسليط الدعاية والإعلام علي مجددي الدين المزعومين لطه حسين. وقد كتب فيه الشيخ ٠عبد ربه مفتاح)من علماء الأزهر في مقاله نشرها الكوكب مخاطبا طه حسين قال: وكيف تزعم أيها الدكتور أن بعض العلماء أثاروا هذا الأمر أمر كفرك. وها أنا ذا أصرح لك والتبعة علي في ذلك وحدي بأن العلماء أجمعين يحكمون عليك بالكفر وبالكفر الصريح الذي لا تأويل فيه ولا تجوز واطلب منك بإلحاح أو رجاء أن تدلني علي واحد منهم واحد فقط يحكم عليك بالفسوق والعصيان دون الكفر اجل إنني وأنا منهم اتهمك بالكفر وأتحمل نتيجة هذا الاتهام وعليك أن تبرئ نفسك من هذا الاتهام الشائن والمطالبة بما لك من حقوق عندي(طه حسين في ميزان العلماء والأدباء) حاصره بعض الطلاب في مكتبه بكلية الآداب وكادوا يفتكون به لولا بعض الخدم أنقذه فهرب الشباب تجمع الشباب العربي في الشام في ميدان عام في العاصمة دمشق وتصدي له عشرات



الدعاة والعلماء والمفكرين في كشق مؤامرته علي الإسلام مثل حسن البنا والعقاد ومصطفي صادق الرافعي كشفوا مخططه الأسود فعاش في آخر أيامه مهينا ذليلا حقيرا ومات فطيسا والآن مصيره إلي ربه.

شارون

هذا الرجل فعل بأطفال فلسطين ما لا يفعله ذئب انفرد بفريسته كان يتجبر ويتكبر ويتبجح وقام ببناء جدار ليسجن فيه الشعب الفلسطيني قال القدس هي عاصمة إسرائيل ولا مجال للحديث عن ذلك هذا الرجل أراد أن يهدم المسجد الأقصى ليقتم هيكل سليمان وبعد فما هي النتيجة سبحان الذي يمهل ولا يهمل جعله الله جثه هامدة ينظر إليها العالم بعين الشفقة والرحمة عليه حبسه الله في جسمه وعجز أكبر أطباء العالم عن مجرد إفاقته من غيبوبية حتى إنه لا يستطيع أن يقضي حاجته سبحان الله من يراه بالأمس القريب وهو يتوعد لا يراه اليوم وهو طريح الفراش لا يدري ما يحدث له ولعذاب الآخرة أشد لو كانونا يعلمون.

وها هو جزء من تاريخه الأسود هو ومن شايعه من اليهود وسوف أسرد بعض المجازر التي أذاقوها للشعب الفلسطيني المسلم وذلك بمباركة العالم أجمع.

١- مذبحة دير ياسين والتي لم يكتف اليهود فيها بقتل الشيوخ والأطفال والنساء والحوامل بل قاموا بشق بطون الحوامل للتمثيل بهن.

٢- مذبحة قانا في عام ١٩٩٦م التي راح ضحيتها ١٤٧ قتيلاً معظمهم من الأطفال والشيوخ والنساء عدا مئات من الجرحي والتي لجأ فيها المواطنون اللبنانيون والنساء والأطفال إلي مبني الأمم المتحدة في قانا خوفا من المدافع والصواريخ التي يلقيها اليهود علي السكان الآمنين العزل ولكن اليهود يضربون مبني الأمم بما فيه من المسلمين. والتي عزل بسببها الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي عندما أعلن عنها لوسائل الإعلام

٣- مذبحة مخيمي صابرا وشاتيلاً في ١٨ سبتمبر ١٩٨٢م والتي تم فيها تنفيذ أكبر مجزرة بشرية إرهابية عرفها العالم والله لو أرادت الحيوانات أن تتخلص من حيوانات أخري في غابة لا يمكن أن ترتكب مثل أحداث صابرا وشاتيلاً والتي أشرف علي تنفيذها شارون أطفال تقطع إربا إربا أم ترضع ولدها يمزق جسمها إلي نصفين لقد اتحدت اليهود مع الميلشيات النصرانية لتصفية المسلمين العزل في جنوب لبنان.

٤- في ٢٦ / ٢ / ١٩٩٤ قام مستوطن يهودي متطرف باروخ جولد شتاين بارتكاب مجزرة بشرية داخل الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل راح ضحيتها ٩٣ فلسطيني قتلوا أمام أجهزة الأمن الإسرائيلية خلاف ٣٠٠ مصاب فلسطيني آخرين.

٥- بالإضافة إلي ما حدث في جنين بقيادة شارون من دك المنازل علي سكانها من الفلسطينيين فأصبحت المنازل مقابر جماعية للأسر الفلسطينية في عام ٢٠٠٢م

المبحث الرابع: الفرق والمذاهب الهدامة



قد يقول القائل وما للحديث عن الفرق والمذاهب المختلفة وأنت تتحدث عن أثار الذنوب أقول لأن يد الله مع الجماعة وكل فرقة من ورائها طعنة توجه إلي الإسلام وأردت أن أذكر بالفرق باختصار بعد انتشارها في هذه الأيام انتشار النار في الهشيم وظهورها كظهور البوم والغربان لينقضوا وهم مأجورين علي الإسلام بعد أن فشل أعداء الإسلام في القضاء عليه فما كان منهم إلا أحدثوا الفرقة في أهله ونحن نعلم أن الذئب يأكل من الغنم القاصية فالفرقة أصبحت السلاح الذي يحاربنا به أعداء الإسلام.

وقد روي معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله قال: " ستفترق أمتي علي ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون منها في النار وواحدة في الجنة". " رواه أحمد وأبوداود

وقال تعالي " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا " آل عمران: ١٠٣)

والرسول يقول: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) " البخاري ومسلم " أي عمله مردود عليه. وقد نشأت عدة فرق إسلامية مختلفة ومن أشهرها:

(١) الشيعـــة:

وهم من ادعوا أنهم إتباع سيدنا علي ومن أشهر مؤسسيها رجل يهودي أدعي الإسلام وأذكي نار الفتنة وحمل الناس علي الخروج علي عثمان بن عفان إنه عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء.

وهذه الفرقة منها المغالي ومنها المقتصد علي تفضيل علي بن أبي طالب الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان ومنهم المغالي من أوصل علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلي مرتبة الألوهية وانقسمت إلي عدة فرق:

(٢) الزيدية: وهم إتباع زيد بن علي بن الحسين وقد سأله الشيعة عن رأية في أبي بكر وعمر فأثني عليهما فانشقوا عليه ورفضوه وسموا بالرافضة وهم الأن في اليمن.

(٣) الأمامية: وهم الذين قالوا بإمامة أثني عشر من آل البيت ويسمون بالأثني عشريه وهذه الطائفة منتشرة في إيران والعراق وسوريا ولبنان ومنهم جماعات متفرقة في انحاء العالم ولهم كتب ومؤلفات من أهمها كتاب الوافي، ولهم مبادئ صعبة وقاسية ومن مبادئهم:

١- تكفير الصحابة ولعنهم وخاصة أبو بكر وعمر وقد رووا عن الباقر والصادق وهم أحد أئمتهم: " ثلاثة لا يكلهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم من أدعي إمامه ليست له ومن جحد إماماً من عند الله ومن زعم أن أبا بكر وعمر لهما نصيب في الإسلام". ،ويزعمون أن لعنهم من أعظم القربات. ويفسرون الجبت والطاغوت الواردين في القران با ابي بكر وعمر ويطلقون عليهم الصنمان وفرعون وهامان وزعموا ان عمرا كان مصابا بداء في دبره لا يهداء إلا بماء الرجال. ذكر هذا الكلام القذر علامة الشيعة نعمه الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية.



٢- ويقولون: إن عائشة وحفصة كافرتان مخلدتان مؤلين قوله تعالي " {ضرب الله مثلاً للذين كفروا امراة نوح وإمرأة لوط}(التحريم، الآية رقم ١٠) ويتهمونهما بقتل النبي.

٣- ادعاء أن المصحف ناقص وان فيه تحريف من قبل الصحابة.

٤- رفض كل رواية تأتي من غير أئمتهم.

٥- التقية: إظهار خلاف العقيدة الباطنة وهي تبيح للشيعي خداع غيره.

٦- الجهاد غير مشروع وإباحة أموال أهل السنة رووا عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال(خذ مال الناصب "السني" حيث ما وجدته وادفع الينا الخمس)

٧- ويقولون بنجاسة أهل السنة جاء في كتاب العروة الوثقي ٦٨/١طهران إيران لا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب)ويستبيحون دماء أهل السنة عين الخليفة العباسي وزيرا شيعيا وهو مؤيد العلقمي الشيعي وتحالف مع التتار فوقعت مجزره بغداد التي راح ضحيتها مئات الالف من بسبب خيانه هذا الشيعي.

*وقد أعلنها شارون صراحة في مذكراته: لم أري يوما في الشيعة أعداء لإسرائيل علي المدى البعيد".

(٤) الإسماعيلية: تدين لإسماعيل بن جعفر الصادق وهم أجداد الفاطميين والقرامطة يعتقدون بالتناسخ والحلول وبعضهم يدعي إلوهية الأمام بنوع من الحلول وبعضهم يدعي رجعه من مات من الأئمة بصورة التناسخ وهذه الفرقة طائفتان أحدهما تسمي البهرة وهي في الهند ويتركزون في بومباي وهم يقترنون بأركان الإسلام الخمسة ويزيدون عليها ركنا أسمه الطهارات ويتضمن تحريم الموسيقي والدخان والأفلام وهي في صلواتهم يجتمعون بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ولا يصلون الجمعة ويحتفلون بغدير (خم) في ١٨ ذي الحجة كل عام حيث تمت فيه الوصية لعلي.

والطائفة الأخرى في سلمية بسوريا وزنجبار وشرقي أفريقيا وتسمي الأغاخانية نسبة إلي زعيمهم أغاخان.

(٥) النصرية: أتباع محمد بن نصير والذين تسموا في عهد الاحتلال الفرنسي بسوريا باسم العلويين ولهم مبادئ منها: -

١- النبي بايع علي ثلاث مرات سراً ومرة رابعة جهراً فتكون الولاية لعلي.

٢- عصمة الأئمة. (٣) التقية. (٤) علم الباطن.

وبناء علي هذه الأحول قالوا بالوهية متخذه الحقيقة مثلثه الأجزاء فالألوهية معني وحقيقة وهو علي ولها اسم وحجاب وهو محمد ولها باب يوصل إليه وإليها وهو سلمان فعلي رب العالمين والقرآن منه وكل نبي بعث ليتكلم بلسانة وكان هو مع كل رسول متجسدا في صورة وصي له ويرمزون إلي هذا الثالوث برمز (ع. م. س) ولهم تفريعات علي ذلك فالعبادات الواردة في القرآن بما فيها من اوامر ونواة هي أسماء أماكن والأشهر الحرم فاطمة والحسن والحسين وعلي ابنه والقيامة عندهم هي قيامه المتحجب صاحب الزمان.



(٦) الدّروز: وهم اتباع أبي محمد الدرزي وكانوا من الإسماعيلية ثم خرجوا عليهم ويسكنون سوريا ولبنان. تقوم عقيدتهم علي تالية الحاكم بأمر الله (وقد سبق الحديث عنه) وبرجعته ويتخذون سنة ٤٠٨ هـ مبدأ لتاريخهم الذي أعلن فيه الدعاه الوهية الحاكم وللأسف محسوبين علي المسلمين وإن كانت مبادئهم الدينية سرية لا يصرحون بها حتى كانت حملة الجيش السوري علي جبل الدروز فعثر علي بعض مخطوطاتهم التي شرحت مذهبهم.

يقولون بالتقية أي بالتظاهر بموافقة الأخرين ويقولون بالتناسخ وهي ثلاث درجات العقل أو العقّال وهم رجال الدين والثانية الاجاويد المطلعون علي تعاليم الدين الملتزمون بها والثالثة العامة أو الجهال.

وليس لهم مسجد ولا يصومون ولا يحجون إلي الكعبة بل إلي خلوه البياضية في بلدة (حاصبية) التابعة لبيروت ويقال إنهم لا يقرون تعدد الزوجات ولا الرجعة في الطلاق ولا يورثون البنات.

وقد صدرت عن دار الإفتاء المصرية فتوي في ١٥ / ١٢ / ١٩٣٤م مأخوذة عن ابن عابدين وهذا نصها "تنبية يعلم مما هنا حكم الدروز والنيامنة فإنهم من البلاد الشامية يظهرون الإسلام مع أنهم يعتقدون بالتناسخ وحل الخمر والزنا وأن الألوهية تظهر في شخص بعد شخص ويجحدون الحشر والصوم والصلاة والحج ويقولون المسمي بها غير المعني المراد ويتكلمون في جناب نبينا كلمات فظيعة. وللعلامة المحققة عبد الرحمن العبادي فيهم فتوى مطوله وذكر فيها أنهم ينتحلون عقائد النصيرية والإسماعيلية الذين يلقبون بالقرامطة (وقد سبق الحديث عنهم) والباطنية الذين دمرهم صاحب المواقف ونقل عن علماء المذاهب الأربعة أنه لا يحل أقرارهم في ديار الإسلام بجزية ولا غيرها ولا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم. أ. هـ

(٧) الخوارج: وهم من أهم أسباب شقاق الأمة فهم من امروا علي كرم الله وجهه بقبول التحكيم لكتاب الله ثم لم يعجبهم التحكيم فخرجوا علي علي (رضي الله عنه)حتى قتل علي يد رجل منهم هو ابن ملجم وهم سبع فرق ومعظمها اندثروا وما يعرف منها الآن سوي فرقة الأباضبية التي تنسب إلي زعيمهم عبد الله بن إباض ويكثرون علي ساحل الخليج وفي ليبيا والجزائر وهم في عقيدتهم علي رأي الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة لكهنم يقولون إن الكفر كفر نعمة يكفرون عليا وأصحابه يرون العزل أفضل من الاختلاط القرآن لديهم مخلوق لا يقولون برؤية الله في الأخرة يرون أن الخلافة لا ينبغي أن تنحصر في قريش يرون أن الجد يمنع الأخوة من الميراث وقد تأثروا بالمذهب الظاهري وتأثروا بالمعتزلة.

ورغم ذلك هم من اعبد الناس وأكثر الناس ذكر وتلاوة لكتاب الله ولكن للأسف كل ذلك مردود عليهم لفساد عقيدتهم كالذي يطهر الثوب بالبول فلا تنفعه طهاره وما استفاد إلي التعب.

(٨) القاديانية:



تنسب إلي غلام أحمد القادياني الذي نادي بها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في بلاد الهند وهي امتداد لفرية إدعاء النبوة ولد هذا الرجل سنة ١٨٣٦ وتعلم القرآن واللغة العربية. وبعدما بسط الإنجليز نفوذهم علي أقليم البنجاب تقلد أحدي الوظائف في إدارة نائب المندوب السامي وفي سنة ١٨٧٦ مرض أبوه فزعم أنه نبي يوحي إليه وكانت هذه بداية زعمه فهو عميل إنجليزي يعمل لخدمة أسياده عارضه المسلمون وناظرة العلماء كثيراً ولكن كان تحت حماية الإنجليز فلم يمسه أحد بسوء وفي سنة ١٩٠٥م زعم أن الوحي أخبره بقرب أجله فكتب كتاب سماه الوصاية ولكن أجله امتد ثلاث سنوات ومات ودفن في ندبان ١٩٠٨م بعض مبادئهم: -

١- ادعاء زعيمهم أن الوحي ينزل عليه وعلي اتباعية وادعي أنه نبي.

٢- ادعي أن له معجزات تدل علي صدقة.

٣- جاء في كتابهم أحمد رسول العالم الموعود: فالواقع أن الله قد ابلغني أن مسيح السلالة الإسلامية يعني غلام أحمد أعظم من مسيح السلالة الموسية يعني عيسي.

٤- تكفيره من لم يؤمن برسالته.

٥- موالاته للإنجليز في أبطال الجهاد ضدهم.

فيا الهي ما هذا الغثاء الذي تشمئز منه النفس ويزدريه العقل ويرده الطفل الذي لا يكاد يميز جيد القول من رديئة ما هذا. وأنا أقول لهؤلاء أليس فيكم رجل رشيد أين أنتم من قول النبي: أوصيكم بتقوي الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منك فيسري اختلافاً كثيرة فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجز وأياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة " رواه أبوداود والترمذي

وما هي هذه الفرق ومن علي شاكلتها إلا أمثلة لما يدبره أعداء الإسلام للإسلام فهل من مدكر.

ولا تزال الطعنات تتوالي علي الأمة الإسلامية فمن بضع سنين ظهرت جماعة كافرة من بعض الشباب المنحل تسمي عبده الشيطان وهم من الشباب الفارغ فكرياً وديناً الغير محصن بدينه ليمنع عنه الوقوع أو لا نزلاق في هذه الآوحال وليست هذه الجماعة هي الأولي ولن تكون الأخيرة

وقد تأسست هذه الجماعة في اسرائيل وتسربت عن عمد إلي مصر وفي هذه الأيام ظهرت جماعة أكثر تخلفا وسذاجة من عبدة الشيطان وإن كانت هذه الجماعة قد مرعلي ظهورها أكثر من مائتي عام إلا أنها لم يسمع لها في بلادنا صوت عال الا هذه الأيام وهذه الجماعة هي.

البهائية أو البابية.

التعرف بهم: هي حركة نشأت سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضياهم الأساسية.



التأسيس وأبرز الشخصيات:

أسسها: المرزا علي محمد رضا الشيرازي (١٢٣٥ ـ ١٢٦٥هـ) (١٨١٩ـ ١٨٤٩م) وأعلن أنه الباب سنة (١٨٤٤م – ١٢٦٠هـ) ولما مات قام بالأمر من بعده المرزا حسين علي الملقب بالبهاء وسمي الحركة بالبهائية وله كتاب سماه (الأقدس) وقد توفي البهاء سنة ١٨٩٢م.

وأما أهم شخصيات هذه الحركة بعد المؤسس وخليفته:

١- قره العين(١٢٣٠ – ١٢٦٩هـ) وهي امرأة منحرفة السلوك فرت من زوجها وراحت تبحث عن المتعة اعلنت عن نسخ الشريعة الإسلامية في مؤتمر بدشت سنة ١٢٦٩هـ وقد اعدمها الشاه في نفس العام.

٢- يحيي علي أخو البهاء وهو الملقب بالأزل نازع أخاه في خلافة الباب ثم انشق عن له كتاب سماه (الألواح) غدر به أخوه وقتله هو وأتباعه.

سبب الظهور: قال بعض المؤرخين إن ظهورها كان لغرض سياسي اختفي وراء المظهر الديني فإن أحمد الاحساني وهو من زعمائها الأوائل وزميله كاظما الرشتي أصلهما قسيسان استخدمها الاستعمار لتشوية محاسن الإسلام وتفريق صفوف المسلمين.

أهم مبادئ البهائية: إن المتأمل في عقائد هذه الحركة يجد أنها قد استقت فكرها وعقيدتها من جملة مصادر أهما- البوذية والبرهمية والزرادشية والفرق الباطنية والشيعة واليهودية والنصرانية والتراث الفارس، وإليك أهم ضلالاتهم أعني مبادئهم: -

١- الحلول والاتحاد فهم يزعمون أن الله بعد ظهوره في الأئمة الأثني عشر ظهر في أحمد الاحساني ومن جاءوا بعده وما يدل علي ذلك أن شعارهم العالم هو اللافتات المعلقة في بيوتهم وعليها عبارة(يا ألهي بهاء).

٢- عدم ختم النبوة بسيدنا محمد ويقولون أن دين الباب ناسخ لشريعة محمد (صلي الله عليه وسلم).

٣- عدم الاعتراف بيوم القيامة ويؤلونه بظهور البهاء أما قبلتهم فهو البيت الذي ولد فيه الباب شيراز.

٤- يقولون بتأويل القرآن تأويلات باطنية فمثلاً في تفسير سورة يوسف الذي الفه (الباب) عند قولة تعالي " إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " قال يوسف هو حسين بن علي والشمس فاطمة والقمر محمد والنجوم أئمة الحق فهم الذين يبكون علي يوسف سجداً وهذه التأويلات كثيرة في كتاب الدر البهية الذي ألفه داعيتهم بمصر أبو الفضل الجرفادقاني وطبع بالقاهرة سنة ١٩٢٠م.

٥- انكار معجزات الأنبياء والجن والجنة والنار.

٦- يقولون بنبوه بوذا وكنفوشيوس وزراد شت وأمثالهم من حكماء الهند والصين والفرس الأول.



٧- يحرمون الحجاب علي المرأة ويحللون المتعة وشيوعه النساء والأموال.

٨- يقدسون العدد (١٩) وجاء في تقديسه أنه حاصل جمل كلمة (واحد) أو كلمة (وجود) حسب النظام اليهودي في دلالة الأحرف علي الأرقام فالواو = ٦، والألف = ١، و الحاء = ٨ ،والدال = ٤ ، والجيم = ٣ والسنة عندهم ١٩ شهر أو الشهر ١٩ يوماً والجمعيه المؤلفة للنظر في بيت العدل الذي يدير شئونهم بعد موت الزعماء عدد اعضائها ١٩ والصلاة ٩ ركعات والقبلة حيث يكون البهاء والحج إلي الكعبة باطل.

الانتشار ومواقع النفوذ: تعيش الغالبية العظمي منها في إيران وقليل منهم في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين.

أما مبادئهم فلا تستحق المناقشة والنظر فيها لأنها باطة وما بني علي باطل فهو باطل فهي أقل من أن ينظر إليها يكفي لبلاطنها أن مؤسسها يهود ومعتنق هذه النحلة مرتد وقد حكم علماء إيران علي الباب بذلك بعد عدة مناظرات ثم اعدم.

وفي مصر تصدي علماء الأزهر والقضاء الشرعي والحكومة فكان ما يلي: ـ

١- أفتي الشيخ / سليم البشري (شيخ الجامع الأزهر) بكفر ميرزا عباس زعيم البهائيين ونشر ذلك في جريدة مصر الفتاة بالعدد (٦٩٢ في ٢٧ / ١٢ / ١٩١٠م).

٢- صدر حكم قضائي في ٣٠ / ٦ / ١٩٤٦م من محكمة المحلة الكبري الشرعية بطلاق امرأة اعتنق زوجها البهائية لأنه مرتد

٣- أصدرت لجنة الفتوي بالأزهر في ٢٣ / ٩ / ١٩٤٧م فتوي برده من يعتنق البهائية

٤- صدر قرار جمهوري بالقانون رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠م بحل المحافل البهائية ووقف نشاطها.

أما أن لنا أن نكف عن هذا الهراء أما أن للناس المأجورين أن يتوقفوا عن غيهم وضلالهم أما بأن لهم ولغيرهم بالدليل الواضح العملي أن الإسلام أكبر من هذه الخزعبلات أم أن الأعين قد أصابها العمي والقلوب قدران عليها ظلام المعاصي والذنوب والأذان قد صمت من كثرة ما سمعت مما يغضب الله فلا عين تبصر ولا قلب يميز الحق من الباطل ولا أذن تصغي لكلمة حق لقد حاول الكثير والكثير يسلطوا جرذانهم علي سور الإسلام العظيم فلم يستطيعوا أن يحدثوا فيه خرقاً ولا أن يتسلقوا إلا بعض الدرجات ثم يسقوطون علي أعناقهم فتندق رقابهم أما حاولت الشيويعية وذرعت لها أذناب في قلب الأمة الإسلامية وما النتيجة الآن أصبحنا لا نسمع عنها أن هذا الدين يمرض ولكنه لا يموت بمرض إذا أهمله أهله ثم يعود أقوي ما كان وللتاريخ شواهد قديمة وحديثة.

انقض التتار علي الخلافة سورها بالأرض ثم نهضة الإسلام أقوي ما كان جاءت الحملات الصليبية عاثت في الأرض الفساد ثم ولت الأدبار ولم تعقب ثم جاء اليهود وتبجحوا في ١٩٦٧ وما هي إلا ست سنوات وكانوا أذل من الكلاب ونحن ننتظر اليوم الذي يطهر فيه الأقصى من دنثهم ولن يأت هذا حتى نعود الي دين الله والنصرة لدين الله فأين أنتم يا من تقولوا لا إله إلا الله عودوا إلي الله ليزلل لنا الصعاب ويرفع راية الإسلام



فأنا لا أخاف علي الإسلام من أعدائه ولكن خشي عليه من أهله فعلينا بالالتزام صراط الله المستقيم، قال تعالي: {وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[الأنعام، الآية رقم ١٥٣)

لقول النبي صلي الله عليه وسلم: " تفرقت اليهود علي أحدي وسبعين فرقة وستفترق أمتي علي بضع وسبعين شعبة كلهم في النار إلا واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما عليه أنا وأصحابي". " البخاري "

الغــزو الفكــــري:

يقول الدكتور / توفيق يوسف الواعي في كتابة

يقصد بهذا المصطلح إغارة الأعداء علي أمة من الأمم بأسلحة معينة وأساليب مختلفة لتدمير قواها الداخلية وعزائمها ومقوماتها وانتهاب كل ما تملك. وهذا العزو يكون لتصفيه العقول والأفهام لتكون تابعة للغازي أ. هـ

وهذا الغزو يكون أشد وأقسي لأن الأمة المهزومة فكرياً تسير إلي غازيها عن طواعية وإلي جزارها عن رضا واقتناع وحب لا تحاول التمرد.

وقد بدأ هذا الغزو وعقب فشل الحملات الصليبية فالقديس (لويس التاسع) قائد الحملة الثامنة وملك فرنسا وقع أسيراً في مدينة المنصورة بمصر ثم خلص من الأسر بفدية ولما عاد إلي فرنسا أيقن أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعا مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة تخصهم علي التضحية بكل غال.

فكانت توصياته: أن يهتم اتباعه بتغير فكر المسلمين والتشكيك في عقيدتهم وتشريعهم وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد إلي ميدان الفكر

ومنذ هذه اللحظة وهم يعملون وصم الإسلام بكل ما هو خبيث وسئ ووصف الإسلام والمسلمين باقبح الألفاظ.

يقول وليم غيفورد بالغراف الإنجليزي المسمي بالحرباء الكلمة المشهورة التي يلخص فيها عداء الغرب للإسلام (متي تواري القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نري العربي يندرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه)

ويقول بيكر: إن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الواسطي أقام سدا منيعا في وجه الاستعمار وانتشار النصرانية ثم امتد إلي البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها.

ثم يقول لورانس براون: إن الخطر الحقيقي كان في نظام الإسلام وفي قدرته علي التوسع والاخضاع وفي حيوتيه إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي

لقد ارتكز الغزو الفكري علي مقولة: إذا أرهبك عدوك فأفسد فكره ينتحر به ومن ثم تستعبده.

أسباب الغزو الفكري:



١- العداء الصليبي للإسلام والمسلمين. ٢ ـالاستعمار الغربي للمجتمعات الإسلامية.

٢- تقدم الغرب العلمي. ٤ ـ الضعف الفكري والتفكك الاجتماعي.

٥ـ تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة. ٦ـقد تكون هناك أسباب داخلية أو خارجية.

مظاهر الغزو الفكري: وهذه المظاهر يلمسها المراقب والباحث في كثير من القضايا مثل: ـ

١- حملات التشوية. ٢ـ احياء النزعات الجاهلية.

٢- إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه والسلطة. ٤ـتشوية شخصية الرسول (صلي الله عليه وسلم).

٥ـ تتشوية التاريخ الإسلامي.

٦ـتشوية نظام الحياة الإسلامية، وأنه لا يصلح كنظام تستقيم به أمور الحياة.

٧ـالدعوة إلي إضعاف العلاقة بين المسلمين.

٨تالدعوة إلي العامية وتطويرها وذلك لفصل الدول العربية الإسلامية.

٩ـتمجيد القيم الغربية لنسير علي نهجها.

١٠- الحرص علي تكوين جيل مثقف يحمل راية الاستشراق والدعوة إليه وقد وجدوا ضالتهم في الكثير والكثير ممن خدم مخططاتهم أكثر من الكثير منهم ولا داعي هنا لذكر أمثلة منهم لعفنهم أو لأن الغالبية تعلمهم والكثير لا يزال يتشدق بقصائد المديح فيهم ويا للعجب.

١١- كذلك من مظاهر هذا الغزوا التبشير و الصهيونية، الماسونية، أندية الروتاري، القوميات، الوجودية، القاديانية وقد تحدثنا عنها، كذلك البهائية وسبق الحديث عنها، كذلك العلمانية.

وسوف انتقل إلي الحديث عنها وعن التبشير.

التبشير (التنصير):

كلمة التبشير: من الكلمات التي أطلقت علي المنظمات الدينية النصرانية التي تستهدف نشر الديانة النصرانية في المجتمعات الإسلامية.

وقد بدأت هذه الحركة الدينية السياسية الاستعمارية عقب فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية في دول العالم الثالث عامة وبين المسلمين خاصة بهدف أحكام السيطرة علي هذه الشعوب.

أبرز الشخصيات:

١- ريمون لول: أول نصراني يتولي التبشير بعد فشل الحروب الصليبية، حيث تعلم اللغة العربية وأخذ يجول بلاد الشام مناقشاً علماء المسلمين ومنذ القرن الخامس عشر



دخل المبشرون الكاثوليك إلي أفريقيا وبعد ذلك أخذت ترد الإرساليات التبشرية والبروستانتية إنجليزية وألمانية وفرنسية.

٢- البارون دو بيتز: حرك ضمائر النصاري منذ عام ١٦٦٤م إلي تأسيس كلية تكون قاعدة للتبشير المسيحي.

٣- هنري مارتين: أرسل المبشرين إلي بلاد آسيا الغربية.

٤- صموئيل زويمر: رئيس إرساليات التبشير العربية في البحرين، ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط كان يتولي إدارة مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية أنشائها عام ١٩١١م وما تزال تصدر حتى الآن في هاريتفورد وكان مرسل إلي البحرين.

٥- كنث كراج: درس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة فترة وهو رئيس قسم اللاهوت المسيحي في معهد المبشرين الأمريكي ومن كتبه نداء المنذنه عام ١٩٥٦م.

٦- دانيال بليس: يقول إن كلية روبرت في استانبول (الجامعة الأمريكية الحالية) كلية مسيحية غير مستترة لا في تعليمها ولا في الجو الذي تهيئه لطلابها لأن الذي أنشائها مبشر ولا تزال إلي اليوم لا يتولي رئاستها إلي مبشر، يقول إن الإسلام هو العقبة في طريقة تقدم التبشير في أفريقيا.

٧- نبروز: ترأس جامعة بيروت الأمريكية عام ١٩٤٨م يقول: لقد ثبت بالرهان إلي أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكون في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان وهذا بعض ما جاء في مؤتمرات التبشير.

يقول صمويل زويمر في مؤتمر القدس: للتنصير عام ١٩٣٥م لكن مهمة التبشير التي ندبتكم لهما الدولة المسيحية في البلاد الإسلامية ليست إدخال المسلمين في المسيحية وإنما هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صله له بالله وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها.

ثم يقول: إنكم إن فعلتم ذلك اخرجتم المسلم من الإسلام وبالتالي فقد جاء طبقاً لما إراد ة الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة والكسل فإذا تعلم فللشهوة وإذا تبوأ اسمي المراكز ففي سبيل الشهوة يجود بكل شئ.

* ومن أخطر المؤتمرات مؤتمر كولورادو في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨ تحت اسم مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين حضره مائه وخمسون منصر واستمر اسبوعين وانتهي بوضع استراتيجية سرية لخطورتها.

كل هذا يحدث ونحن نيام لا يشغل بالنا إلا الممثل الفلاني واللاعب العلاني ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول المبشر ف. ج هاربر: إن محمداً كان في الحقيقة عابد أصنام ذلك لأن إدراكه لله في الواقع كاريكاتور.

ويقول المبشر جبس: إن الإسلام مبني علي الأحاديث أكثر مما هو مبني علي القرآن ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شئ.



وها هو مثال لما يفعله التبشير في القارة الافريقية منذ فترة من الزمان وهذا المثال ذكره الشيخ محمد الغزالي كتابه التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ٣٢١ طبعه مكتبة الاسرة ٢٠٠٥ حيث قال: ــ

سافرت بعثة الأزهر مؤلفة من الأستاذين الفاضلين " عبد الله المشد و محمود خليفة " الأستاذين بكلية الشريعة إلي الصومال وإريتريا وعدن والحبشة لدراسة أحوال المسلمين بهذه البلاد واستمرت رحلة البعثة ثلاثة أشهر ما بين ٢٦ من شعبان سنه ١٣٧٠ هـ الموافق أول يونيه ١٩٥١ م ويوم ٢٩ من ذي القعدة الموافق أول سبتمبر سنه ١٩٥١ وكتبت تقريرا مفصلا ويقع في ستين ومائه صفحة كبيرة يتقسم بالدقة والواقعية والاعتدال وجاء فيه (عقب أن إنهائنا من زيارة (بورما) من أعمال الصومال البريطاني رأينا أن تواصل الرحلة إلي الحبشة نظرا لان الميعاد المحدد لدخولنا فيها قد أوشك أن ينتهي فسافرنا يوم ٢٦ من يوليه سنه ١٩٥١ بالسيارة إلي " جيجيجا " وهي أول مدينه من مدن " الحبشة " في جنوبها الشرقي وتعتبر عاصمة الصومال الأوجاديني. وبعد أن نزلنا الفندق ومكثنا فيه ساعة ونصف أمر نا بمبارحة المدينة ولم يسمح لنا بالإقامة فاضطرننا للعودة إلي " هرجيسه " وفي مساء اليوم الذي دخلنا فيه. ثم برحنا "هرجيسه " إلي عدن ثم منها علي " أسمرا) وبعد أن أقمنا عشرة أيام

اخبرنا من السفارة المصرية بأديس أبابا بأن وزارة خارجية أثيوبيا سمحت لنا من جديد بدخول الحبشة. فسافرنا بالطائرة إلي أديس أبابا يوم الخميس ١٦ من أغسطس سنه ١٩٥١ م وأقمنا بها أثنا عشر يوما حاولنا في خلالها أن نقوم بزيارة معاهد التعليم في العاصمة والمدن الكبيرة وان نتصل بالمسلمين فلم نستطع إلي ذلك سبيلا لأسباب خارجة عن إرادتنا ولم يمنعنا ذلك من الوقوف علي كثير من شئون المسلمين في " الحبشة "

وسنذكر بعض ما يمكننا ذكره منها في هذا التقرير متوخين الحقائق التي يهم أولي الأمر الاطلاع عليها.

يقول ثم يمض التقرير فيذكر هذه الحقيقة الغريبة التي لا يكاد يعرفها أحد وهي أن نسبة المسلمين في الحبشة يصفه عامه لا تقل عن ٦٥% من مجموع السكان وإنها ترتفع في بعض المناطق إلي ٨٥ % وتهبط في بعضها إلي ٢٥ % ويعتمد التقرير في هذا علي الإحصاء الايطالي الدقيق الذي قام به الايطاليون في سنه ١٩٣٦ م وإحصائيات القنصليات الأجنبية في الحبشة ثم يذكر التقرير الحقائق الآتية: ــ

أولا: ــ أن الحكومة الحبشية بعد إنتهاء الاستعمار الايطالي قد اغتصبت من المسلمين ثلثي أملاكهم العقارية وسلمتها للمسيحيين من الرعايا مع بقاء الضريبة الفادحة علي الرعايا المسلمين حرصا علي إفقارهم واغلالهم.

ثانيا: ــ أن الحكومة الحبشية تمنح إرساليات التبشير المسيحية كل العناية والرعاية في الوقت الذي تحرم فيه علي المسلم أن ينتقل من محلته إلي محلة آخري لإرشاد المسلمين ووعظهم وتقضي علي كل محاولة ترمي إلي ذلك.

ثالثا: ــ أن أكثر المسلمين في الحبشة إهتماما بنشر " علوم الدين هم مسلمو مقاطعات " كفا وجيما واللورهرر " وأنه في (جيما) وحدها أكثر من ستين مدرسه تعلم أبناء



المسلمين ولكن بعد أن أعلن ضمها إلي الإمبراطورية الحبشية واعتقل سلطانها الأمير " عبد الله أبن السلطان محمود بن داوود " وزج به في غيابة السجن واستولت الحكومة الحبشية علي هذه المدارس ثم أغلقت أكثرها وغيرت مناهج ما بقي منها ولم تجعل للغه العربية ولا للدين الإسلامي أثرا فيها.

رابعا: ـ أن السلطة الحبشية جاهده في سبيل نشر التعليم بين أبناء المسيحيين في البلاد بقدر ما تسمح لها مواردها.

وأنها أنشأت حوالي مائتي مدرسه إبتدائيه وثانوية للبينين والبنات لذلك ليس بين تلاميذها ولا تلميذاتها أكثر من ٣% ثلاثة في المائة من مسلمي الحبشة الذين لم تجد الحكومة بداً من قبولهم لظروف خاصه وأنه علي الرغم من زيادة عدد المسلمين علي المسيحيين لا تقوم الحكومة بالإنفاق علي تعليمهم بأكثر من ٥% خمسه في المائة من ميزانية التعليم هذا إلي أن برنامج المدارس الحكومية ليس للغة العربية ولا للدين الإسلامي نصيب منها حتى في المناطق الإسلامية.

خامسا: ـ أن المسلمين قد الحوا علي وزارة التربية والمعارف في هذه المناطق بتقرير دراسة الدين الإسلامي واللغة العربية في المدارس التي نصبت مدرسين في بعض هذه المدارس باسم تعليم الدين الإسلامي ورفضت تعليم اللغة العربية واختارت مدرسين الدين الإسلامي من بعض الجهلة الذين لا يدرون شيئا من تعليم الإسلام ولم تحدد لحصة الدين الإسلامي زمنانا خاصا كغيرها ثم كلفت مدرس الدين الإسلامي أن يجمع التلاميذ في الأوقات المخصصة لراحتهم ليتعلموا الدين فيها المبادئ التي لا تخرج عن أوقات الصلاة وعدد ركعاتها ومشاكّل.

سادسا: ـ أن الحكومة اختارت في العام الماضي بعثات من المتخرجين من بعض المدارس وأوفدتهم إلي المعاهد المختلفة في الخارج ليعودوا فيتولوا مناصب كبيرة في الدولة وقد كان من بين المبعوثين اثنين من المسلمين بحكم تفوقهما البارز ولكن بعد أن تمت إجراءات سفرهما حيل بينهما وبين السفر لا سباب غير معروفه

سابعا: ـ أنه كان للمسلمين ثماني مدارس وكانت الدراسة فيها قائمه علي أساس اللغة العربية والدين الإسلامي. ومواردها تأتي من التبرعات والهبات بواسطة جمعيات لهذا الغرض وكانت تقوم بتعليم ثلاثة الآف من أبناء المسلمين وقد ظلت تؤدي مهمتها رغم جميع المتاعب إلي سنه ١٩٤٩ ولكن الحكومة أرادت إخضاعها لبرامجها الخالية من اللغة العربية والدين فلما رفض القائمون عليها هذا الأمر سلكت الحكومة معها مسلكا أضطر أعضاؤها بسببه إلي التنحي عن مساعدة هذه المدارس والتنازل للمعارف عن ثلاث مدارس منها وعندئذ حذفت منها مادتي اللغة العربية والدين الإسلامي

ثامناَ: أن المدارس الباقية في طريقها إلي هذا المصير البائس لأن الوسائل التي اتبعت بشأن المدارس الثلاث ماضية في طريقها وقد تركت البعثة الحبشه ومدرسة رابعة تلاقي مصيرها



تاسعاً: احدي المدارس الباقية طلبت من المعارف أن تسمح لبعض المدرسين المصريين بالحبشة أن يقوموا بتدريس بعض العلوم في أثناء فراغهم نظر لحاجة المدرسة إلي بعض المدرسين الأكفاء ولكن وزارة المعارف الحبشية رفضت هذا الطلب.

عاشراً: أن الكتب العربية لا يسمح بدخولها إلي (أثيوبيا) ولا تداولها أما الجرائد والمجلات العربية فيسمح بدخولها تحت المراقبة الشديدة.

العــــلاج: إن العلاج يقتضي عملاً لا كلام إن المبشرين يعملون ونحن لا نعمل وإن يكون تحركنا أكثر نظاماً وأزيد عملاً وأسرع، ولابد من عقد مؤتمرات، ثم تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة تعتمد علي التمسك بالدين والاقتناع بالحوار وتنتمي فيه القدرة علي الإنتاج والاتحاد.

يقول القس سيمون: إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد علي التخلص من السيطرة الأوروبية والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية.

العلمانية

وتعني اللادينية أو الدنيوية وهي دعوه إلي إقامة الحياة علي غير دين نشأت في أوروبا وعمت أقطار العالم بتأثير الاستعمار والتبشير وسببها وقوف الكنيسة ضد العلم وتحول رجال الكنيسة إلي طواغيت في القرن السابع عشر والثامن عشر وكان في فرنسا سنة ١٧٨٩م أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب بعد الثورة الفرنسية بعض الأفكار: -

١- بعضهم ينكرون وجود الله.

٢- الحياة تقوم علي أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل.

٣- فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة علي أساس مادي.

٤- نشر الإباحية والفوضي الأخلاقية والتحريض علي عدم ختان الإناث لنشر الإنحلال.

٥- بعضهم يؤمن بوجود الله ولكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان (ما لله وما لقيصر لقيصر).

أما المعتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والتي انتشرت بفضل الاستعمار والغزو الفكري فهي: -

١- الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والسنة.

٢- الزعم بأن الفقه مأخوذ من القانون الروماني.

٣- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلي التخلف.

٤- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب ومحاكاته فيها.

٥- تربية الأجيال تربية لا دينية.



هذا وقد ادخلها إلي مصر الخديوي إسماعيل عن طريق دخول القانون الوضعي سنة ١٨٨٣م، حيث كان مفتوناً بالغرب وكان أمله أن يجعل مصر قطعة من أوروبا. والعلمانية اكثر الحركات التي لاقت رواجا في الشرق لأن أصحابها أمام الناس مسلمون يصومون ويصلون ولكنهم في جذور الإسلام يهدمون يزعمون أن الإسلام لا يصلح للحياة الاجتماعية ونسوا أن الرسول بني بمبادي هذا الإسلام أجلاف العرب التي كان يستحيل معهم أي نظام عالمي مهما كان.

ساروا علي المنهج الأوربي لأن الكنيسة كانت تحارب العلم والعلماء أما الإسلام فهو غير ذلك لأنه يدعوا إلي العلم والعمل فكان أول ما نزل منه دعوة صريحة إلي العلم " إقرأ " فكيف يحارب دين يدعو إلي العلم يا من تطلبون تحكيم كل شئ إلي العلم حقاً لقد نجح الاستشراف في غزوة الفكري الذي جعل الفرقة والشقائق والعداء يفتك بنا. ولقد نظم الشيخ الغزالي رحمه الله مناظرة لقادة العلمانية في مصر مع علماء الأزهر الذين دحروا فكر من نادي بالعلمانية وكان ذلك في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة ولكن استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله.

وبعد هذا نريد أن نتقدم (وهذه الحرب تأكل في أجسامنا ونحن عنها غافلون بل نباركها) ونسود ونقود ويعم الخير والرخاء في أجسام أهلكتها جراثيم الحقد والغل والمعاصي والذنوب والبعد عن الله كأننا نحتسي السم بأيدينا وأمامنا الدواء ولا نتناوله وندعوا الله بالشفاء.

المبحث الخامس: الابتــــــــــلاء:

قال تعالي: " آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين " [العنكبوت، الآية رقم ١)

ليس من الضروري أن تكون الكوارث والمصائب من آثار الذنوب وحسب ولكن ربما تكون لرفع الدرجات لأن العبد قد يكون كتب الله له الدرجة العالية في الجنه ولكنه لا ينالها بعمله في الدنيا فيبتليه الله ليرفع درجته فينال المنزلة التي كتبها الله له وهذا في حال الأنبياء والصالحين وليس في حال العصاه الجبارين لأن الأنبياء إنما هم صفوة الخلق ورغم ذلك كانوا أشد الناس بلاءاً فها هو إبراهيم (عليه السلام)، وموسي عليه السلام بالخوف والأسفار، وعيسي عليه السلام بالصحار والقفار، ومحمد عليه السلام عليه السلام عليه السلام بالفقر في الدنيا ومقاتلة الكفار وذلك لرفعه شأنهم ناهيك عن ابتلاء يعقوب عليه السلام بفقد ولده يوسف الذي ابتلاه الله بأن القوة في الجب وبمراودة امرأة العزيز، وأيوب عليه السلام ابتلاه الله بالمرض العضال الذي استمر أعوام وأعوام، وزكريا عليه السلام نشر بالمنشار ويحي قدمت رأسه لزانية، ومن قبلهم آدم عليه السلام ابتلاه الله بالطرد من الجنة وبقتل أحد ولديه، وكذلك الصحابة ابتلوا بالتعذيب والقتل والطرد من ديارهم واخذ أموالهم، فالبتلاء آداب الله لخلقه وتاديب الله بفتح القلوب والأسماع والأبصار وصف الحسن بن سهل المحن فقال: فيها تمحيص من الذنب وتنبيه من الغفلة وتعرض للثواب بالصبر وتذكير بالنعمة واستدعاء للمثوبة. (الفرج بعد الشدة. أحمد فريد، ص ٥٥)



كتب بعض الكتاب إلي صديق له محنه لحقتة: (إن الله تعالي ليمتحن العبد ليكثر التواضع لة، والأستعانة به ويجدد الشكر علي ما يوليه كفايته ويأخذ بيده في شدته لأن دوام النعم والعافية يبطران الإنسان حتى يعجب بنفسه ويعدل عن ذكر ربه.

لا يترك الله عبداً ليـس يذكره ممـن يأدبة أو مـن يــأنبــة

أو نعمة تقتضي شكراً يدوم له أو نقمة حين ينسي الشكر تنكبه

وقد قال رسول الله: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأقل فالأقل يبتلي المرء علي قدر دينه فإن كان في دينة صُلبا أشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقه ابتلي علي قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي علي الأرض وما عليه خطيئة.

كتب محمد بن الحنيفيه إلي عبد الله بن عباس حين سيره ابن الزبير عن مكة إلي الطائف (أما بعد فإنه بلغني أن ابن الزبير سيرك إلي الطائف فأحدث الله عز وجل لك بذلك أجرا وحط به عنك وزراً. يا ابن عم إنما يبتلي الصالحون وتعد الكرامة للأخيار ولو لم تؤجر ألا فيما تحب لقل الأمرز وقد قال الله تعالي: " وعسي أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسي أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم"(البقرة، الأية رقم ٢١٦)

عزم الله لنا ولك بالصبر علي البلاء والشكر علي النعماء ولا شمت بنا وبك الأعداء والسلام.)

شكا عبد الله بن الطاهر إلي سليمان بن يحي بن معاذ كاتبه بلاءً خافه وتوقعه فقال له: أيها الأمير لا يغلبن علي قلبك إذا اغتمت ما نكره دون ما تحب فلعل العاقبة تكون بما تحب وتوقي ما تكره فتكون كمن يستسلف الغم والكرب قال: أما إنك قد فرجت عني ما أنا فيه.

وفي الحديث: ما يصيب المسلم من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذي حتى الشوكه يشاكها ألا كفر الله بها من خطاياه. " رواه البخاري "

فالبلاء ما حدث ألا لتمحيص المؤمن ومعاقبة العاصي فالبلاء تطهير وتهذيب وإصلاح وتأديب وغسل أدران السيئات التي تعلقت بالأبدان. ولتربية المؤمنين وتمحيص ما في قلوبهم قال تعالي: " قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلي مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور " [آل عمران، الآية رقم ١٥٤)

وكذلك رفع درجات المؤمنين ومضاعفة حسناتهم وتكفير خطاياهم حتى يمشي أحدهم علي الأرض وما عليه خطيئة قال رسول الله: ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة)) " رواه الترمذي "

نخلص من ذلك أنه ليس كل ما يصيب الإنسان يعتبر من العقوبات بل ربما يكون أيضاً من الابتلاءات التي ترفع الدرجات.

المبحث السادس: عقوبات لا ترتبط زمان ولا مكان



بعد أن تحدثت عن أثار الذنوب الخاصة ببعض الأمم والأفراد وكم زالت بسببها نعم وكم حلت بسببها كرب والتي كانت سببا في هلاك أو نزول العقاب بها انتقل الآن إلي العقوبات العامة علي الذنوب.

وعقوبات الذنوب العامة نوعان: شرعية: وهي الحدود التي إذا أقيمت رفعت بإذن الله، العقوبة الثانية: وهي العقوبة القدرية أو خففتها وهي أي القدرية البلايا التي تحدثنا عنها والتي تصيب الإنسان علي قدر معاصية لأن الله لا يكاد يجمع للعبد بين العقوبتين إلا إذا لم يفي أحدهما برفع موجب الذنب فإن الله هنا هو الذي ينتقم لنفسه اعاذنا الله بفضلة منه وكل ما عادها من الذنوب تغفر بإذن الله بالتوبة بشروطها وحديثي هنا ليس له علاقة بالعقوبة الشرعية وهي إقامة الحدود وإنما كله منصب علي العقوبة القدرية وهي نوعان:

- نوع علي القلوب والنفوس

- نوع علي الأموال والأبدان

والآن أبدأ حديثي بالعقوبة القدرية علي القلوب وأعلم عبد الله أن العقوبة نوعان: أحدهما الآم وجودية يضرب بها القلب، والثانية قطع الموارد التي بها حياته وصلاحه عنه وإذا قطعت عنه حصل بها أضرارها.

وعقوبة القلب هي أشد العقوبتين وهي أصل عقوبة الأبدان وهذه العقوبة تطغي وتتزايد حتى تسري من القلب إلي البدن كما يسري ألم البدن إلي القلب والآن أبدأ مع العقوبات القلبية.

أولاً: تأثير المعصية علي القلب

تصرف القلب عن صحته واستقامته إلي مرضه وانحرافه فلا يزال مريضاً معلولاً لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه. فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان. بل الذنوب أمراض القلوب وداؤها، ولا دواء إلا بتركها، وقد أجمع السائرون إلي الله أن القلوب لا تعطى مناها حتى تصل إلي مولاها، ولا تصل إلي مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ولا تكون سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير دواءها ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها وهواها مرضها وشفاؤها مخالفتة فإن استحكم المرض قتل أو كاد فهي إن رضي العبد أم أبي تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله وتضف وقاره في قلب العبد لابد شاء أم أبي ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ علي معاصية.

وقد قسمت تأثير المعاصي علي القلب إلي: -

(١) وحشة يجدها العاصي في قلبة

* ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تق من تلك الوحشة وهو يحس بظلمة الليل ألبهيم إذا ادلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره فإن الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة زادت حيرته حتى يقع في الضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر كأعمي خرج في ظلمة الليل عشي وحده وتقوي هذه الظلمة حتى تظهر في العين ثم تقوي حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراه كل أحد.



قال عبد الله بن عباس: (إن للحسنة ضياء في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبه في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواد في الوجه وظلمه في القلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق.

(٢) تطفي غيرة القلب فهي تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن فالغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكير خبث الحديد والذهب والفضة وأشرف الناس وأعلاهم همه أشدهم غيره علي نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي أغير الخلق علي الأمة والله سبحانه أشد غيره منه كما ثبت في الصحيح عنه أنه قال: (أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني". " البخاري "

وقد روي البخاري: أن النبي قال: لأحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منه وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك أثني علي نفسه) فنراه في الحديث جمع بين الغيرة التي أصلها كراهة القبائح وبغضها وبين محبة العذر الذي يوجب كمال العدل والرحمة والإحسان والله مع شدة غيرته يحب أن يعتذر إليه عبده ويقبل عذر من اعتذر هذا غاية المجد والإحسان وقد صح عن النبي أنه قال: إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله والتي يبغضه الله الغيرة في غير ريبه. " رواه أبوداود والنسائي وابن ماجه وحسنه الألباني "

وكلما اشتد اقتراف العبد للذنوب أخرجت من القلب الحمية والغيرة علي أهله ونفسه وعموم الناس حتى إنه لا يستقبح بعد ذلك القبح لا من نفسه ولا من غيره وإذا وصل إلي هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك لأنه يدخل في باب الدياثة والديوث أخبث خلق الله والجنة عليه حرام وبذلك يكون ما لها غيره له لا دين له فالغيرة تحي القلب فتحي له الجوارح فتدفع السوء والفواحش وعدم الغيرة تميت القلب فتموت له الجوارح فلا يبقي عندها دفع البته وبذلك تكون الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومة فإذا ذهبت القوة وجد الداء قابلاً ولم يجد دافعاً منه الهلاك.

(٣) تذهب حياء القلب

والحياء هو مادة القلب ومصدر حياته وأصل كل خير ودافع كل شر وقد ثبت في البخاري في الأدب (٦١١٧) فتح أن النبي قال: ((الحياء خير كله)). وثبت أيضاً أن النبي قال: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستحي فاصنع ما شئت. " البخاري "

وفي هذا الحديث وجهان الأول: علي أنه علي التهديد والوعيد والمعني من لم يستح فإنه يصنع ما يشاء من القضاء إذ الحاصل علي تركه الحياء.

الثاني: أن الفعل إذا لم تستح منه الله فافعله وإنما الذي ينبغي تركه هو ما يستحي منه من الله فمن لا حياء فيه فهو خبيث في الدنيا شقي في الآخرة وبين الذنوب وقلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين وكلاً منهما يستدعي الأخر ويطلبه حثيثاً ومن استحى



من الله عند معصيته استحي الله من عقوبته يوم يلقاه ومن لم يستحي من معصيته لم يستحي من عقوبته.

لبسنا واشيا من كل حسن فما سترت ملابسنا الخطايا

وتلك قصورنا بالعمر باتت وتلك قبورنا باتت خلايا

فالمعصية تفقد القلب الحياة وتجعله لا يعرف ربه بل يقف مع شهوته ولذته فلا يذال ينتقل من معصيه إلي أخري

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

(٤) تعمي القلب أو تضعف بصيرته:

فهي تعمي القلب فإن لم تعمه أضعفت بصيرته وقد تقدم بيان أنها تضعفه فإذا ضعف القلب وعمي فاته معرفة الهدي وقوته علي تنفيذه في نفسه وفي غيره بحسب ضعف بصيرته وقوته فإن الكمال الإنساني مداره علي أصلين معرفة الحق من الباطل وإيثاره عليه والثاني عكسه وهو من لا بصيرة له في الدين ولا قوة له علي تنفيذ الحق وهم أكثر الخلق وهم الذين رؤيتهم قذي العين وحمي الأرواح وسقم القلوب يضيقون الديار ويغلون الأسعار ولا يستفاد بصحبتهم إلا العار والشنار ومعلوم أن المعاصي والذنوب تعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحق وتضعف قوته وعزيمته فلا يصبر عليه بل قد يتوارد علي القلب حتى ينعكس إدراكه فيدرك الباطل حقاً والحق باطلا ً والمعروف منكراً والمنكر معروفاً فينتكس في سيره ويرجع عن سفره إلي الله إلي مستقر النفوس المبطلة التي رضيت بالحياة الدنيا واطمئنت لها ولو لم يكن مع عقوبة الذنوب إلا هذه العقوبة الواحدة لكانتا الداعية إلي تركها والبعد عنها والله المستعان فهذا القلب قد اتخذه الشيطان وطننا واعده سكننا.

قال تعالي " ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون " [الزخرف، الآيات ٣٦، ٣٧)

(٥) تضعف سير القلب إلي الله

تضعف سير القلب إلي الله والدار الآخرة أو تعوقه أو توقفه وتقطعه عن السير فلا تدعه يخطوا إلي الله خطوة إلا ترده عن وجهته إلي الوراء فالذنب يحجب الواصل ويقطع السائر وينكس الطالب والقلب إنما يسير إلي الله بقوته فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره فإن زادت انقطع بالكلية عن الله انقطاعاً يصعب تداركه فالذنب إما أن يميت القلب أو يمرضه مرضاً مخوفاً أو يضعف قوته ولابد حتى ينتهي ضعفه من اللجوء والاستعانة بالله ثم الأشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي وهي: الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال. " رواه البخاري "

نشكو إلي الله القلوب التي قست وران عليها كسب تلك المآثم

من خشية المولي هوي الجبل الذي في الطور لانت قسوة الأحجار



أولم يئن وقت الخشـــوع فـلا تغرن الحياة سويـوار

(٦) سبب في مرض القلب

فهي تصرف القلب عن صحته واستقامته إلي مرضه وانحرافه فلا يزال مريضاً معلولاً لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه فإن تأثير الذنوب في القلوب كا تأثير الأمراض في الأبدان بل الذنوب أمراض القلوب وداؤها ولا دواء لها إلا تركها وقد اجمع السائرون إلي الله أن القلوب لا تعطي مناها حتى تصل إلا مولاها ولا تصل إلي مولاها حتى تكون صحيحه سليمة ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير نفس دوائها ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها فهواها مرضها وشفاها مخالفته فإن استحكم المرض قتل أو كاد يقتل ولا يظن الظن أن قوله تعالي " إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم " [الأنفطار، الآية رقم ١٣)

مقصور علي نعيم الآخرة وجحيمها بل هو في دورهم الثلاث هم كذلك أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم وهل النعيم إلا نعيم القلب؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب؟ وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبة وكل من تعلق به وأحبه من دون الله فإنه يسومه سوء العذاب فكل من أحب شئ غير الله عذب به ثلاثة مرات في هذه الدار فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فإذا حصل عذب به حال حصوله بخوفه من سلبه وقوته وتنغيصه عليه وأنواع من العذاب فإذا سلبه اشتد عليه عذابه فهذه ثلاثة أنواع من العذاب في هذه الدار وأما في البرزخ فعذابه يقارنه ألم الفراق الذي لا يرجو عودة وألم فوت ما فاته من النعيم العظيم بانشغاله بضده وألم الحجاب عن الله وألم الحسرة التي تقطع الأكباد فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم نظير ما تعمل الهوام والديدان في أبدانهم بل عمله في النفوس دائم مستمر حتى يرده الله إلي أجسادها فحينئذ ينتقل العذاب إلي نوع هو أدهي وأمر فأين هذا من نعيم من يرقص قلبه طرباً فرحاً أنساً بربه واشتياقا إليه وارتياحاً بحبه وطمأنينة بذكره حتى يقول بعضهم في حال نزعه واطرباه.

(٧) الختم علي القلب

الختم علي القلب والأسماع والغشاوة علي الأبصار والأقفال علي القلوب وجعل الأكنة عليها والرين عليها وتقليب الأفئدة والأبصار والحيلولة بين المرء وقلبة وإغفال القلب عن ذكر الرب وإنساء الإنسان نفسه وترك إرادة الله في تطهير القلب وجعل الصدر ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء وصرف القلوب عن الحق وزيادتها مرضا علي مرضها وأركاسها وإنكاسها بحيث تبقي منكوسة كما ذكر الإمام عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) أنه قال: القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أغلف فذلك قلب الكافر وقلب منكوس فذلك قلب المنافق وقلب تمده مادتان ماده إيمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منها.

فالمعصية تجعل القلب أصم لا يسمع أبكم لا ينطق به عمي لا يراه فتصير النسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه غيره كالنسبة بين أذن أصم والأصوات وعين الأعمي



والألوان ولسان الأخرس والكلام وبهذا يعلم أن العمي والصم والبكم للقلب بالذات والحقيقة وللجوارح بالعرض التبعية.

" فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور " [الحج، الآية رقم ٤٦)

والمراد بالعمي التام هنا عمي القلب فعقوبة المعاصي تجعل القلب أعمي وأصم أي عليه حجاب أسود يحجبه عن الحق ويزين الباطل.

(٨) خسف القلب: الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به إلي أسفل السافلين وصاحبه لا يشعر وعلامة الخسف به أنه لا يزال جوالا ً حول السلفيات والقاذورات والرذائل كما أن القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوالا ً حول العرش.

(٩) مسخ القلب:

القلب يمسخ كما تمسخ الصورة فيصير القلب علي قلب الحيوان الذي شابهة أخلاقة وأعماله وطبيعته فمن القلوب ما يمسخ علي قلب خنزير ومنها ما يمسخ علي قلب كلب أو حمار أو حية أو عقرب وغير ذلك بما شبهه صاحب وهذا تأويل سفيان بن عينية في قولة تعالي " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحية إلا مم أمثالكم " [الأنعام، الآية رقم: ٣٨) ومنهم من يكون في اخلاق السباع ومنهم الحقود كالجمل ومنهم الذي هو خير كله كالغنم ومنهم أشباه الثعالب التي تروغ كروغانة وقد شبه الله أهل الجحيم والغي بالحمر تارة وبالكلب والأنعام تارة فهنا يهون علي الله فيمكر الله بالماكر ويخادع المخادع ويستهزئ بالمستهزئ أو يزيغ القلب الذائغ عن الحق.

بعد أن فرغت من آثار الذنوب علي القلب ورأينا ما تفعله الذنوب بالقلوب من علل وأسقام انتقل إلي آثار الذنوب علي الأبدان والأموال.

(١) تهتك ستر الله علي العبد

روي البخاري في (الأدب ٦٠٦٩ فتح) أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: كل أمتي معاف إلا المجاهرين وإن من المجاهرين أن يستر الله العبد ثم يصبح يفضح نفسه ويقول: يا فلان عملت يوم كذا كذا وكذا فهتك نفسه وقد بات يستره ربه". فينسلخ من القلب استقباحها فتصير عادةً فلا يستقبح من نفسه رذية الناس له وكلامهم فيه حتى يفتخر أحدهم بالمعصية وتكون سبب لهوان العبد علي ربه وسقوطه من عينه.

قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم وإذا هان العبد علي الله لم يكرمه أحد كما قال الله " ومن يهن الله فما له من مكرم " [الحج، الآية رقم: ١٨) وإن عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفاً من شرهم فهم في قلوبهم أحقر شئ وأهونه بل هم أحقر من الذباب.

آه علـــــي المـذنبيـن اواه آه علـــي من جفاه مولاه

آه علي مـن عصي بغفلته جهراً وما تاب من خطاياه

آه علي المذنب الحزين إذا لـــم يخف الله ثم يخشاه



آه علـي مـن بـاع مغبونا بـدار دنيـاه دار آخراه

جاء في (كتاب السبعة الذين تكلموا في المهد) للدكتور / مصطفي مراد بتصرف: أن رجل شرطة من كينيا ظل يغازل امرأة حتى وقع معها في جريمة الزنا وبعد الفراغ قاما ليذهب كل واحد إلي سبيله فإذا بالجسدين قد التصقا ببعضهما فحاولا الانفصال ولكن قدرة الله حالت دون هذا الأمر وظلوا كذلك حتى رآهم الناس وحاولوا أن يفصلوا الرجل عن المرأة لكنهم عجزوا فأرسلوا إلي الأطباء الذين عجزوا أيضا فأرسلوا إلي الشرطة عجزت أيضاً، وسبحان الله؛

راود ملك مصر السيدة سارة زوج سيدنا إبراهيم بعد أن أخذها من بيتها بالقوة وقام إليها يريد فعل الفاحشة بها وهي امرأة ضعيفة ولكنها عزيزة بدينها حيث قالت: اللهم إن كنت تعلم إني آمنت بك وبرسولك وحصنت فرجي فلا تسلط علي هذا الكافر، اللهم اكفني منه ما شئت فجمد في مكانه ولم يتزحزح ثم يطلقه ربه فيحاول أن يمد يده عليها مرة أخر فتجمد أعضاؤه، ويبقي علي ما كان عليه في المرة الأولي، فقال لخدمه: أرجعوها إلي إبراهيم وأخدموها هاجر كل ذلك أما خدمة وحشمه.

روي الإمام أحمد وصححه الألباني عن معاذ: أوصاني الرسول (صلي الله عليه وسلم فقال: لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت أو حرقت ولا تعق والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ولا تشربن الخمر فإنه رأس كل فاحشة وإياك والمعصية فإن المعصية تحل سخط الله.

(٢) المعصية ميراث الأمم السابقة:

كل معصية من المعاصي فهي ميراث من أمة من الأمم التي أهلكها الله عز وجل وقد رأينا حال الأمم السابقة وكيف انتهي بهم الحال بعد أن كانوا في عز مقيم فاللوطية ميراث عن قوم لوط وأخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص ميراث عن قوم شعيب والعلو في الأرض بالفساد ميراث عن قوم فرعون والتكبر والتجير ميراث قوم هود فالطاعون بين الله انه بقيه من عذاب اهلك الله يه بعض الأمم السابقة ففي الحديث (إن هذا الوجع والسقم رجز عذب الله به الأمم قبلكم وقد بقي بعد في الأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى". " البخاري "

فالعاصي لابس ثياب بعض هذه الأمم وهم أعداء الله.

* روي عبد الله بن أحمد في كتاب (الزهد لأبيه) عن مالك بن دينار قال: أوحي الله إلي نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك لا يدخلوا مدخل أعدائي ولا يلبسون ملابس أعدائي ولا يركبوا مراكب أعدائي ولا يطعموا مطاعم اعدائي فيكونوا من أعدائي كما هم أعدائي.

* وقد روي الإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار علي من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم".



ذهب أبو بكر إلي عمر وقال: انطلق إلي أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يزورها فلما انتهوا إليها بكت فقال أبو بكر: ما يبكيكي؟ ما عند الله خير لرسول الله، قالت: ما أبكي لذلك، ولكني أبكي لا انقطاع الوحي ثم انفجرت تبكي فهيجتهم علي البكاء؛ آه يا أم أيمن.

قـــد بكيتي وإننـا نـلهو ونمجن دون معرفـة الأدب

لم تبصري وضع الحديث ولا الكذب لم تلحظي من قد أتانـا من عطب

لم تشهدي شرب الخمور ولا الزنا لم تبصري وضع المعازف والطرب

لم تلحظي بدع الضلالـة والهوي لولا مماتك قد رأيتـي بنـا العجب

لم تعلمـي فعل العدو وصحبهم ها نحن نجثوا لليهود علي الركب

وأمر قلبـي من تمـزق جمعنا أضحت امـوركي أمتي مثل اللعب

تـالله ما عرف البكـاء صراطنا ومع التباكي لا وشـائج ولا نسـب

فيا عاصي أما تخشي من الله أما تستحي من الله أما سألته فأعطاك أما استعنت به في الشدائد فأعانك منها ونجاك أما عصيته فسترك بجميل حلمه وأعطاك أما أغضبته مراراً وأرضاك هل ربك يستحق منك أن تبارزه بذنوبك وخطاياك يمدك برزقه وتمد إلي معصيته خطاك وتستخفي من الناس ولا تستخفي من الله وقد شاهدك ورآك ياكثير السيئات، إن للموت سكرات؛ يا هاتك الحرمات، إن للقبر ظلمات؛ يا صاحب الشهوات، إن للنار زفرات.

(٣) تؤثر علي كل شئ حتى الدواب

وذلك بأن شوم المعصية يعود علي الناس والدواب فيحترق هو وغيره بشوم الذنوب والظلم؛ قال أبو هريرة: إن الحباري لتموت في وكرها من ظلم الظالم (والحباري طائر طويل العنق رمادي اللون علي شكل أوزة منقارة طويل)

وقال مجاهد: إن البهائم تلعن عصاه بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر وتقول بشوم معصيته ابن آدم.

وقال عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: مُنعنا القطر بذنوب بني آدم فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى يلعنه من لا ذنب له، أما بالنسبة للأرض فقد قال تعالي: " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون " [الروم، الآية رقم ٤١)

وقال مجاهد: إذا ولي الظالم سعي بالظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ثم قرأ هذه الآية؛ ثم قال: أما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية علي ماء جار فهو بحر، وقال عكرمة: ظهر الفساد في البر والبحر أما إنني لا أقول لكم بحركم هذا ولكن كل قرية علي ماء، وقال ابن زيد: ظهر الفساد في البر والبحر، قال: الذنوب.



وكأنه أراد أن الذنوب بسبب الفساد الذي ظهر وإن أراد أن الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها فيكون، اللام في قوله " ليذيقهم بعض الذي عملوا " لآم العاقبة والتعليل، وعلي الأول: فالمراد بالفساد النقص والشر وألا لآم التي يحدثها الله في الأرض عند معاصي العباد فكلما أحدثوا ذنباً أحدث الله لهم عقوبة كما قال بعض السلف: كلما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة.

أتي لأبي بكر بطائر فأخذه فقلبه ثم قال: ما صيد من صيد ولا قطعت من شجر إلا بما ضيعت من التسبيح.

(٤) تجعل صاحبها من السفلة

ومن عقوبتها: أنها تجعل صاحبها من السفلة بعد أن كان مهيئاً لأن يكون من العلية فإن الله خلق خلقه قسمين، عليه وسفلة، وجعل عليين مستقر العلية وأسفل سافلين مستقر السفلة وجعل أهل طاعته الأعلين في الدنيا والآخرة، وأهل معصيته الأسفلين في الدنيا والآخرة كما جعل أهل طاعته أكرم خلقه عليه وأهل معصيته أهون خلقه عليه وجعل العزة لهؤلاء والذلة والصغار لهؤلاء كما في مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: بعثت بالسيف بين يدي الساعة وجعل رزقي تحت ظل رمحي". ، وجعل الذل والصغار علي من خالف أمري فكلما عمل العبد معصية نزل إلي أسفل درجة ولا يزال في نزول حتى يكون من الأسفلين وكلما عمل طاعة ارتفع بها درجة ولا يزال في ارتفاع حتى يكون من الأعليين.

وقد يجمع للعبد في أيام حياته الصعود من وجه والنزول من وجه وأيهما كان أغلب عليه كان من أهله فليس من صعد مائه درجة ونزل درجة واحدة كمن كان بالعكس.

ولكن يعرض ههنا للنفوس غلط عظيم وهو أن العبد قد ينزل نزولا ً بعيداً أبعد مما بين المشرق صلي الله عليه وسلم والمغرب ومما بين السماء والأرض فلا يفي صعوده ألف درجة بهذا النزول الواحد كما في الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: إن العبد ليتكلم بالكلمة الواحدة لا يلقي لها بالا ً يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب". " رواه البخاري "

فأي صعود يوازي هذه النزلة؟ والنزول أمر لازم للإنسان ولكن من الناس من يكون نزوله إلي غفلة فهذا متي استيقظ من غفلته عاد إلي درجته أو إلي أرفع منها بحسب يقظته، ومنهم من يكون نزوله إلي مباح لا ينوي به الاستعانة علي الطاعة، فهذا متي رجع إلي الطاعة فقد يعود إلي درجته وقد لا يصل إليها وقد يرتفع عنها فإنه قد يعود أعلي همة عما كان وقد يكون أضعف همة وقد تعود همته كما كانت، ومنهم من يكون نزوله إلي معصية إما صغيرة وإما كبيرة فهذا قد يحتاج في عودته إلي توبةٍ نصوح وإنابةٍ صادقة.

واحتلف الناس هل يعود بعد التوبة إلي درجتة التي كان فيها بناءً علي أن التوبة تمحو أثر الذنب وتجعل وجودة كعدمة فكأنه لم يكن أولاً، يعود علي أن التوبة تأثيرها في إسقاط العقوبة وأما الدرجة التي فاتته فإنه لا يصل إليها.



قالوا: وتقرير ذلك: أنه كان مستعداً باشتغالة بالطاعة في الزمن الذي عصي فيه لصعود أخر وإرتقاء تحمله أحماله السافلة بمنزلة كحسب الرجل كل يوم يحمله ماله الذي يملكه وكلما تضاعف المال تضاعف الربح فقد راح عليه في زمن المعصية ارتفاع وربح تحمله أعماله استأنف العمل استأنف صعوداً من نزول وكان من قبل ذلك صاعداً من أسفل إلي أعلي وبينهما بون عظيم.

قالوا: ومثل ذلك رجلين يرتقيان في سلمين لا نهاية لهما وهما سواء منزل أحدهما إلي أسفل ولو درجة واحدة ثم استأنف الصعود فإن الذي لم ينزل يعلو عليه ولابد.

وحكم شيخ الإسلام ابن تيمية بين الطائفتين حكماً مقبولاً فقال: التحقيق أن من التائبين من يعود إلي أرفع من درجته ومنهم من يعود إلي مثل درجته ومنهم من لا يصل إلي درجة، قلت: وهذا بحسب قوي التوبة وكما لها وما أحدثته المعصية للعبد من الذل والخضوع والإنابة والحذر والخوف من الله والبكاء من خشية الله وقد تقوي هذه الأمور حتى يعود التائب إلي أرفع من درجته ويصير بعد التوبة خيراً من قبل الخطيئة فهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمة فإنها نفت عنه داء العجب وخلعته من ثقته بنفسه ودلاله بأعماله ووضعت فيه ضراعته وذلة وانكساره علي عتبة باب سيده ومولاه وعرفته قدرة وأشهدته فقرة وضرورته إلي حفظ سيدة ومولاه له وإلي عفوه له ومغفرته له وأخرجت من قلبه صوله الطاعة وكسرت أنفه أن يشيخ أو يتكبر بها أو يري نفسه بها خيراً من غيره وأوقفته موقف الخاطئين المذنبين ناكسي الرأس بين يدي ربه مستحياً خائفاً وجلاً محتقراً لطاعته مستعظماً لمعصيته قد عرف نفسه بالنفس بالنقص والذم وربه منفرداً بالحمد والكمال والوقار فأي نعمةٍ وصلت من الله إليه استكثرها علي نفسه ورأي نفسه دونها ولم يرها أهلاً وأي نقمة أو بلية وصلت إليه رأي نفسه أهلاً لما هو أكبر منها ورأي مولاه قد أحسن إليه إذ لم يعاقبه علي قدر جرمه ولا شطره ولا أدني جزء منه، فإن ما يستحقه من العقوبة لا يتحمله الجبال الراسيات فضلاً عن هذا العبد الضعيف العاجز فإن الذنب إن صغر فإن مقابلة العظيم الذي لا شئ أعظم منه الكبير الذي لا شئ أكبر منه، الجليل الذي لا شئ أجل منه ولا أجمل منه، المنعم بجميع أصناف النعم دقيقها وجلها من أقبح الأمور وأفظعها وأشنعها فإن مقابلة العظماء والأجلاء وسادات الناس بمثل ذلك يستقبحه كل أحد مؤمن وكافر وأرذل الناس وأسقطهم مروءة من قابلهم بالرذائل فكيف بعظيم السماوات والأرض وملك السماوات والأرض وإله السماوات والأرض ولولا أن رحمته غلبت عضيه ومغفرته سبقت عقوبته وإلا لتهدمت الأرض بمن قابله بما لا يليق مقابلته به ولولا حلمه ومغفرته لزلزلت السماوات والأرض من معاصي العباد قال تعالي " إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا" الأية "[فاطر، الآية ٤١)

فتأمل ختم هذه الآية باسمين من أسمائه وهما الحليم الغفور، كيف تجد تحت ذلك أنه لوحلمه عن الجناه ومغفرته للعصاه لما استقرت السماوات والأرض وقد أخبي سبحانه عن بعض كفار عباده أنه " تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ. . . إلايه " [مريم، الآية رقم ٩٠)



فقد أخرج الله الأبوين من الجنة بذنب واحد ارتكباه وخالفا فيه نهيه، ولعن إبليس وطرده وأخرجه من ملكوت السماوات بذنب واحد ارتكبه وخالف فيه أمره، ونحن معاشر الحمقي كما قيل:

نصل الذنوب إلي الذنوب ونرتجي درج الجنان لـدي النعيم الخـالد

ولقـد علمنـا أخرج الأبوين من ملكوته الأعلي بذنبٍ واحدٍ

(٥) المعاصي تخون العبد أحوج ما يكون إلي نفسه:

ومن عقوباتها: أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلي نفسه فإن كل أحد يحتاج إلي معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشة ومعادة وأعلم الناس أعرفهم بذلك علي التفضيل، وأقواهم وأكيسهم من قوي علي نفسه وإرادته فاستعملها فيما ينفعه وكفها عما يضره وفي ذلك تتفاوت معارف الناس وهممهم ومنازلهم فأعرفهم من كان عارفاً بأسباب السعادة والشقاوة وأرشدهم من أثر هذه علي هذه كما أن أسفههم من عكس الأمر.

والمعاصي تخون العبد أحوج ما كان إلي نفسه في تحصيل هذا العلم، وإيثار الحظ الأشرف العالي الدائم علي الحظ الحسيس الأدنى المنقطع، فتحجبه الذنوب عن كمال هذا العلم وعن الاشتغال عما هو أولي به وأنفع له في الدارين فإذا وقع في مكروهٍ واحتاج إلي التخلص منه خانه قلبه ونفسه وجوارحه وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الصدأ ولزم قرابه بحيث لا ينجذب مع صاحبه إذا جذبه فعرض له عدو يريد قتله فوضع يده علي قائم سيفه واجتهد ليخرجه فلم يخرج معه فدهمه العدو وظفر به، كذلك القلب يصدأ بالذنوب ويصير مثخنا بالمرض فإذا احتاج إلي محاربه العدو لم يجد معه شيئاً والعبد إنما يحارب ويصاول ويقدم بقلبه والجوارح تبعٌ للقلب فإذا لم يكن عند ملكها قوة يدفع بها فما الظن بها.

وكذلك النفس فإنها تخبث بالشهوات والمعاصي وتضعف أعني النفس المطمئنة وإن كانت الأمارة تقوي وتنأسد وكلما قويت هذه ضعفت تلك فيبقي الحكم والتصرف للأمارة وربما ماتت نفسه المطمئنة موتاً لا يرتجي معه حياة ينتفع بها بل حياته يدرك بها الألم فقط.

والمقصود: أن العبد إذا وقع في شدةٍ أو كربةٍ أوبليةٍ خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو أنفع شئ له، فلا ينجذب قلبه للتوكل علي الله تعالي والإنابة إليه والتضرع والتذلل والإنكسار بين يديه ولا يطاوعه لسانه لذكره فيبحث القلب علي اللسان بحيث يؤثر الذكر ولا ينحبس القلب واللسان علي المذكور بل إن ذكر أو دعا ذكر بقلب لا هي ساهي غافل ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعته لم تنقد له ولم تطاوعه وهذا من أثر الذنوب والمعاصي كم له جند يدفعون عنه الأعداء فاهمل جنده وضيعه وأضعفه وقطع أخبارهم ثم أراد منهم عند هجوم العدو عليه أن يجدوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوةٍ هذا وثم أمر أخوف من ذلك وأدهي منه وأمر وهو يخونه قلبهُ ولسانهُ عند الاحتضار والانتقال إلي الله تعالي فربما تعذر عليه النطق بالشهادة ثم قضي فإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه، قد تمكن منه الشيطان واستعمله فيما يريده من معاصي الله وقد أغفل قلبه عن ذكر الله وجوارحه عن طاعته ولسانه عن ذكره فكيف الظن به عند



سقوط قواه واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع وجمع الشيطان له كل قوته وهمته وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته فأقوي ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت وأضعف ما يكون هو في تلك الحال عمن تري يسلم علي ذلك فهناك: " يثبت الله الذين ءآمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الأخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء "(إبراهيم، الآية رقم ٢٧) فكيف يوفق بحُسن الخاتمة من أغفلت المعاصي قلبه عن ذكر الله واتبع هواه وكان أمره فرطاً، فبعيد عن الله غافل عنه فتعبد بهواه أثر شهواته ولسانه يابس من ذكر الله وجوارحه معطله عن طاعته مشتغلة بمعصيته أني يوفق للخاتمة بالحسنى.

يا أمنا مع قبيح الفعل منه أهلُ أتاك توقيُع ءامن أنت تملكه

جمعت شيئين أمنا وإتباع هوي هذا وأحدهما في المرء تهلكه

والمحسنون علي ضرب المخاوف قد يضاروا وذلك دربُ لست تسلكه

فوطت في زرعٍ وقت البذر من سفهه فكيف عند حصاد الناس تدركه

هذا وأعجب شئ فيك زهدك في دار البقاء بعيش سوف تتركه

من السفيهة إذا بالله انت أم المغبون في البيع غبنا سوف يدركه

(٦) حرمان العلم

فإن العلم نورُ ونور الله يقذفه في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور، لما أراد الشافعي أن ينقطع للعلم عكف علي موطأ الأمام مالك وحفظ جميع أحاديثه وذهب إلي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأي من ذكاء وفطنه وكمال فهم فقال له مالك: إني أري الله قد ألقي علي قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية.

وقال الشافعي: كنت إذا جلست للحفظ والقراءة أخفي الصفحة المقابلة حتى لا تقع عيني عليها وما قرأت شيئاً إلا وحفظته وفي يومٍ تعثر علي الحفظ فذهبت إلي أستاذي وكيع بن الجراح وقصصت عليه ما حدث وهنا يروي لنا الشافعي القصة شعراً:

شكوت إلي وكيع سوء حفظي فأرشدني علي ترك المعاصي

وأخبرني أن العلم نورُ ونورُ اللهِ لا يُهدي لعاصٍ

أوصي محمد بن سوار ابن أخته سهل التستري وكان عمره خمس سنوات، قال له: إذا أويت إلي فراشك أو تقلبت ليلاً فقل بقلبك لا بلسانك: (الله معي الله شاهدي الله ناظرٌ إلي)، قلها ثلاث مرات، فاستمر علي ذلك سنة، ثم قال له قلها سبع مرات واستمر على ذلك حتى البلوغ، فقال لخاله: يا خال إني أجد حلاوتها في قلبي فعظني، فقال له محمد بن سوار: يا سهل من كان الله معه وشاهده وناظرُ إليه أيعصيه؟ قال: لا، ثم قال: يا سهل إياك والمعصية، فأصبح سهل من أعلم العلماء في مصر، وقال أحد الرجال: كنت أحفظ القرآن عن ظهر قلب، ونظرت إلي امرأة بشهوة وانتظرت عقابها وبعد عشرين سنة منها، نمت ذات ليلة فوجدت نفسي قد نسيت القرآن ولا أحفظ منه شيئاً.



سبب في ابتلاء الناس بالحكام الظلمة:

روي الكبراني تخريج الطحاوية أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالي أن الله قال: أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملك وملك الملوك قلوب الملوك بين يدي وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن العباد إذا عصوني حولت قلوبهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء علي ملوككم ولكن اشغلوا أنفسكم بذكري والتقرب إلي آلفكم ملوككم.

وفي زمن السيدة نفسية (رضي الله عنها) ذهب إليها الناس وقالوا لها: كلمي أميرنا ليرحمنا وبينما الأمير يسيرُ ذات يوم، رأي السيدة نفسية فنزل إكراماً لها، فقال: مه، فقالت: كمه، ولم يفهموا شيئاً، فقالوا لها: ما قلت، وبما أجابكم، قالت: قلت له لما ظلمتهم؟ فقال: كما تكونوا يولي عليكم " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

(٧) حرمان الرزق

كما أن تقوي الله مجلبة للرزق فترك التقوى مجلبة للفقر، فما استجلب رزقٌ بمثل ترك المعاصي.

يقول الإمام علي كرم الله وجهه (ما نزل بلاء إلا لذنب ولا رفع إلا بتوبة)

فما زالت الأمم إلا بسبب الذنب ولا حلت نقمة إلا بذنب.

فيا عاصي أما تخشي الله الذي حفظك في ظلمات الأحشاء وبلطفه غذاك أما أخرجك ضعيفاً وجعل لك رزقاً وقواك، أما أحسن منشأك ورباك، أما أعزك وأكرم مثواك، أما ألهمك رشدك وتقواك أما وهب لك العقل وللإيمان هداك، أما خولك في نعمةٍ وأعطاك.

وقد قال الإمام علي: (من أراد الغِنَي بغير مال والكثرة من غير عشيرة فليتحول من ذل المعصية إلي عز الطاعة) قال تعالي: " ولو أن أهل القري ءآمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض" الاية(الأعراف، الأية ٩٦)

روي أبو نعيم وصححه الألباني في أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته وإن الله جعل الروح والفرح في اليقين وجعل الهم والحزن في الشك والمعصية.

وأي ألم أن يملأ الله يدك شغلاً ويضيق عليك في رزقك أي بتعب البدن والنتيجة ربما لا شئ فسبحانه أو يوسع الله لك الأرزاق ولكن يبتليك بكثرة الإنفاق وكثرة العلل والأمراض فتنفق أكثر من دخلك، قال تعالي " ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا "(طه، الآية رقم ١٢٤)

(٨) تجعل صاحبها عبره للناس



كانت سفينة تركية تبحر في البحر وتمارس فيها جميع أنواع الفجور وقال قائدها: مزقوا المصحف، مزقوا القرآن دوسوا عليه بالأرجل والأقدام، وإذا بضباط مسلم (شاهد عيان) يقول: والله الذي لا إله غيره ما هي إلا لحظات وإذا برب الأرباب يغرق السفينة في التو والحال ولا يخرج إلا الضابط المسلم الذي رفض أن يمزق المصحف.

في قرية سوب شمال نيجيريا وفي ليلة رأس السنة الميلادية كان عمر غيمو واعظاً مسيحياً وكان من المكذبين بالقرآن والمستهزئين بدين الإسلام، وقف واعظاً بين لفيف من المسيحيين وقال مستهزءاً ومتحدياً: إن كان القرآن والدين الإسلامي حقاً، يسأل الله أن لا يرجعه إلي بيته حياً، قال هذا وهو يعظ الناس في الكنيسة وعندما خرج من الكنيسة وهو في طريقة إلي بيته عثر بزحام قناة صغيرة حين أراد أن يعبرها وقع فيها ميتاً وكذلك مات في اليوم الثاني رجل كان يحاول إنقاذه من القناة، فنقل ذلك الواعظ إلي المستشفي حيث أخبرهم الطبيب بموته فلم يصدقوه ولم يقتنعوا كيف يموت وهو خارج من الكنيسة لا يشتكي شئ سليم البدن عفواً، ولكنه خبيث القلب، تطاول علي كلام الله فانتقم الله لكلامه، ولم يقتنعوا بكلام المستشفي الأولي، فذهبوا إلي مستشفي ثانية فلم يصدقوا أنه مات وأخيراً نقلوا الجثة مرة ثالثة إلي مستشفي التبشير حيث قال الأطباء إنه مات، وهنا صدقوا ودفنوه.

قال تعالي " قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " [الأنفال)

(٩) المعاصي سبب الكوارث

روي ابن أبي الدنيا في الحديث المرسل: أن الأرض تزلزلت علي عهد محمد رسول الله(صلي الله عليه وسلم) فوضع يده عليها، ثم قال: اسكني فإنه لم يأن لك بعد، ثم إلتفت إلي أصحابه فقال: إن ربكم ليستعتبكم فأعتبوه. ثم تزلزلت بالناس علي عهد عمر بن الخطاب فقال: أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة إلا علي شئ أحدثتموه والذي نفسي بيده لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً.

وفي مناقب عمر لابن أبي الدنيا: أن الأرض تزلزلت علي عهد عمر فضرب يده عليها وقال / مالك ومالك أما أنها لو كانت القيامة لحدثت أخبارها، سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: إذا كان يوم القيامة فليس فيها ذراع ولا شبراً إلا وهو ينطق.

ودخل أنس بن مالك علي السيدة عائشة رضي الله عنها إثر رجل أخر فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حديثنا عن الزلزلة؟ قالت: إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمور وضربوا بالمعازف، ما الذي يحدث؟ تقول: غار الله في سمائه فقال للأرض: تزلزلي بهم، فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم، قال: يا أم المؤمنين أعذاباً لهم؟ قالت بل موعظة ورحمة للمؤمنين، ونكالاً وعذاباً وسخطاً علي الكافرين، فقال أنس: ما سمعت حديثاً بعد رسول الله أنا اشد فرحاً به مني بهذا الحديث. " رواه ابن أبي الدنيا "

ذكر الإمام أحمد عن أم المؤمنين السيدة صفية رضي الله عنها قالت: (زلزلت المدينة علي عهد عمر فقال: يا أيها الناس ما هذا ما أسرع ما أحدثتم لئن عادت لا أساكنكم فيها)، فما الذي يجعل الأرض تتزلزل، يجيبك كعب فيقول: إنما تتزلزل الأرض إذا عمل فيها العاصي فترعد فرقاً من الرب جل جلاله أن يطلع عليها.



إلهي أنت للإحسان أهلُ ُ ومنك الجودو الفضل الجزيل

إلهي تب وجُد وارحم عبيداً مـن الأوزار مدمعهـم يسـيل

إلهي خانني صبري وجلدي وضاع العمر واقترب الرحيل

إلهي حفني باللطف يا من له الغفـران والفضل الجزيل

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلي الأمصار: أما بعد فإن هذا الرجف: (الزلزال) لشئُ ُ يعاتب الله به عز وجل العباد، وقد كتب إلي الأمصار يعني البلدان: أن يخرجوا في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا فمن كان عنده شئ فليتصدق به فإن الله عز وجل يقول: " قد أفلح من تزكي * وذكر اسم ربه فصلي"(الأعلى، الآية رقم ١٤)

وتقولوا كما قال آدم: "ربنا ظلمنا انفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين"[الأعراف، الآية ٢٣)

وقولوا كما قال نوح: " وإلا تغفرلي وترحمني أكن من الخاسرين " [هود، الآية رقم ٤٧)

وقولوا كما قال يونس " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" [الأنبياء: ٨٧)

وقد عمت الكوارث والبلايا في هذه الأيام حتى لا نكاد نخرج من كارثة إلا ونفاجئ بالأخرى فهاهي أنفلونزا الطيور تهلك الطيور وتسبب خسائر تقدر " ١٧ مليار جنيه " وبعد ذلك تصاب الماشية بمرض الحمى القلاعية ومرض الجلد العقدي مما نتج عنه موت الكثير والكثير من الماشية وحرم الناس من أكلها وهي التي أحلها الله لنا وكذلك أصيبت الأسماك والزروع بالآفات التي أهلكتها ولم تفلح معها جميع الأدوية والمبيدات وإني لاخشي أن يعقبنا الله كما عاقب بني إسرائيل بالدم والضفادع والقمل وغيرها من الآيات وان يحرمنا من النعم كما حرمهم. ومن اخطر الكوارث التي أبادت الكثير والكثير من الناس والأموال في شرق أسيا زلزال * تسونامي * وسأذكر نبذة عن خسائره عبر العصور.

تسونامي :

تسونامي: وهي كلمة يابانية تعني موجة الميناء وهو عبارة عن سلسلة من أمواج البحر السريعه والقوية التي تنج عن الزلزال أو ثورات البركان أو سقوط النيازل من الفضاء الخارجي في البحار والمحيطات.

حصيلة ضحايا التسونامي: بلغت الحصيلة من الضحايا ٢٣٢ الفاً و٩٤٥ شخصاً لقوا حتفهم أو فقدوا في شمال جزيرة سومطرة.

وفي سريلانكا عدد الضحايا: ٣٠٩٥٧ شخصاً، وفي تايلاند: ٥٣٣٩، وفي الهند: ١٠٧٤٤، وفي ميانمار: ٦١ شخصاً.

والشئ الوحيد الذي لم يتأثر بهذا الزلزال هو بيت الرحمن " إن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد " [ق)



روي الإمام أحمد" صححه الألباني " عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم.

* العينة: هي أن يبيع الرجل من رجل سلعه بثمن معلوم إلي أجل مسمي ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به

(١٠) المعاصي تجرئ علي الإنسان شياطينه وأعداءه:

ومن عقوباتها:

أنها تجري علي العباد من لم يكن يجترئ عليه من أصناف المخلوقات فتجترئ عليه الشيطان بالأذي والإغواء والوسوسة والتخويف والتحزين وإنسائه ما به مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه فتجترئ عليه الشياطين حتى تؤزه إلي معصية الله أزاً وتجترئ عليه شياطين الإنس بما تقدر عليه من أذاه في غيبته وحضوره ويجترئ عليه أهله وخدمه وأولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم.

قال بعض السلف: إني لأعصي الله فأجد ذلك في خلق امرأتي ودابتي.

وكذلك يجترئ عليه أولياء الأمر بالعقوبة التي إن عدلوا فيها أقاموا عليه حدود الله وتجترئ عليه نفسه فتتأسد عليه وتستصعب عليه فلو أرادها بخير لم تطاوعة ولم تنقد له وتسوقه إلي ما فيه هلاكه شاء أم أبي. وذلك ان الطاعة حصن الرب تبارك وتعالي الذي من دخله كان من الأمنين فإذا فارق الحصن اجترأ عليه قطاع الطريق وغيرهم وعلي حسب اجتراء هذه الآفات والنفوس عليه وليس له شئ يرد عنه فإن ذكر الله وطاعته والصدقة وإرشاد الجاهل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقاية ترد عن العبد بمنزلة القوة التي ترد المرض وتقومه فإذا سقطت القوة غُلبَ وعاد المرض فكان الهلاك، فلابد للعبد من شئ يرد عنه فإن موجب السيئات والحسنات تتدافع ويكون الحكم للغالب كما تقدم وكلما قوي جانب الحسنات كان الرد أقوي فإن الله يدافع عن الذين ءآمنوا والإيمان قولُ وعملُ فبحسب قوة الإيمان يكون الدفع؛ والله المستعان.

(١١) المعاصي تقوي شيطان العبد:

وذلك لأنها مدد من الإنسان يمد به عدوه عليه وجيش يقوي به علي حربه وذلك أن الله ابتلي هذا الإنسان بعدوِ لا يفارقه طرفه عين ولا ينام عنه ولا يغفل عنه، يراه هو وقبيله من حيث لا يراه الإنسان يبذل جهده في معادته علي كل حالٍ ولا يدع أمراً يكيده به يقدر علي إيصاله إليه إلا أوصله إليه ويستعين عليه ببني جنسه من شياطين الجن وغيرهم من شياطين الأنس فقد نصب له الحائل وبغي له الغوائل ومن حوله الأشراك ونصب له الفخاخ والشباك وقال لأعوانه: دونكم عدوكم وعدو أبيكم لا يفوتكم ولا يكون حظه الجنة وحظكم النار ونصيبه الرحمة ونصيبكم المعصية وقد علمتم أن ما جري علي وعليكم من الخزي والإبعاد من رحمة الله بسببه ومن أجله ولما علم الله سبحانه وتعالي أن آدم ونبيه قد يلوا بهذا العدو وأنه قد سُلط عليهم أمرهم بعساكر وجند يلقونه بها وأن عدوهم أيضاً بجند وعساكر يلقاهم بها وأقام سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر واشتري من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة ويا لها من سلعة لا تقدر بثمن ولذلك لم يسلط هذا



العدو علي عبده المؤمن الذي هو أحب مخلوقاته إليه إلا لأن الجهاد أحب شئ إليه فعقد سبحانه لواء هذه الحرب لخلاصته مخلوقاته وهو القلب الذي هو محل معرفته وصحبته وعبوديته ثم أمره سبحانه بجند آخر من وحيه كلامه فأرسل إليه رسولا ً فازداد قوة إلي قوته. من الناس من سار في هذا الضرب فوصل ومنهم من سار في اتجاه معاكس.

* أي مع المعاصي والذنوب والشهوات فأصبح عبداً لا يعمل إلا بما يرضيه ولا يأتمر إلا بأمره ولا ينتهي إلا بنواهيه عصي كل شئ إلا شيطانه فعظم عليه الشيطان وصار مثل الجبل. (١٢) وحشة تحصل بين العاصي وبين الناس:

فإن العاصي يجد وحشة بينه وبين أهل الصلاح والخير لأنه يبعد عن حزب الرحمن ويدخل في حزب الشيطان وتقوي الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه ونفسه فتراه مستوحشاً حتى من نفسه.

روي الترمذي وصححه الألباني أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: إن الله إذا أحب عبداً نادي جبريل يا جبريل إني أحب فلانً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم ينادي أهل الأرض إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل الأرض والسماء، وإذا أبغض الله أحداً نادي جبريل يا جبريل إني أبغض فلاناً فابغضه فيبغضه أهل السماء وأهل الأرض".

وقال أبو الدرداء: ليحذر مؤمن أن تلعنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر ثم قال: إن العبد يخلو بالمعاصي فيلقي الله بغضبه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر وكتب ذات يوم: أما بعد فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله وإذا أحبه الله حببه إلي خلقه وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله فإذا أبغضه الله بغضة إلي خلقة.

المعصيه تفسد العقل:

المعصيه تفسد العقل فإن للعقل نورا والمعصيه تطفئ نور العقل ولا بد وإذا طفي نوره ضعف ونقص.

قال بعض السلف: ما عصي احد الله حتى يغيب عقله وهذا ظاهر فإنه لو حضر عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضه الرب تعالي أو تحت قهره وهو مطلع عليه وفي داره وعلي بساطه وملائكته شهوده عليه ناظرون اليه وواعظ القرآن ينهاه وواعظ الإيمان ينهاه وواعظ الموت ينهاه وواعظ النار ينهاه والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف

ما يحصل له من السرور واللذة بها فهل يقدم علي الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به ذو عقل سليم؟ فلا اله إلا الله ما أنقص عقل من باع الدر بالبعر والمسك بالرجيع ومرافقة " الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمرافقه الذين غضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا

*/عدم إستجابه الدعاء

" وقال ربكم ادعوني استجب لكم " الدعاء رضوان من الله ومنعه ربانيه يرحم بها الله عبده بأن يستجيب لدعائه ولكن ظلام المعاصي يحجب هذا النور لما طلب سيدنا " سعد



بن وقاص من الرسول أن يدعو له فماذا قال؟قال له يا سعد اطب مطعمك تستجاب الدعوة. فالبعد عن المعاصي هو باب القبول.

قيل لإبراهيم أبن ادهم " ما بالنا ندعو الله فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعده اشياء. عرفتم الله ولم تقوموا بحقه وقرآتم القرآن ولم تعملوا بحدوده. وقلتم نحب رسول الله ولم تعلموا بسنته وقلتم نخشي الموت ولم تستعدوا له وعلمتم أن الشيطان لكم عدو واطاعتموه علي المعاصي. وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فراشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم. ؟

وأي ألم علي النفس أن يدعوا الإنسان الله في صرف الكرب وجلب النفع والله لا يستجيب له فأي ألم للنفس أكبر من هذا

تمحق بركة العمر:

المعاصي والذنوب تقصر العمر وقد اختلف الناس في هذا الموضوع فقالت طائفة نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركه عمره ومحقها عليه ومذاحقه وهو بعض تأثير العاصي

وقالت طائفة بل تنقصه حقيقة كما تنقص الرزق فيجعل الله سبحانه وتعالي للبركة في الرزق اسبابا كثيرة تكثره وتزيده وللبركة في العمر أسبابا تكثره وتزيده.

قالوا ولا يمنع زيادة العمر بأسباب كثيرة كما ينقص بأسباب فالأرزاق والآجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغني والفقر وان كانت بقضاء الرب عز وجل فهو يقضي ما يشاء بأسباب جعلها لمسبباتها مقضيه لها وقالت طائفة أخري تأثير المعاصي في محقه العمر إنما هو بان حقيقة الحياة هي حياة القلب ولهذا جعل سبحانه وتعالي الكافر ميتا غير حي كما قال تعالي: " أمواتا غير أحياء " [النحل، الآية ٢١)

فالحياة في الحقيقة حياة القلب وعمر الإنسان مده حياته فليس عمرة إلا أوقات حياته بالله فتلك ساعات عمرة فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه الأوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد إذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غب إضاعتها يوم يقول " يقول يا ليتني قدمت لحياتي " [الفجر، الآية ٢٤)

فلا يخلو فما ان يكون له مع ذلك تطلع إلي مصالحه الدنيوية والأخروية أولا فإن لم يكن له تطلع إلي ذلك فقد ضاع عليه عمره كله وذهبت حياته باطلا وان كان له تطلع إلي ذلك طالت عليه الطرق بسبب العوائق وتعسرت عليه أسباب الخير بحسب انشغاله بأخذها وذلك نقصان حقيقي من عمره فالمعصية تمحق بركة العمر وبركة الرزق وبركه العلم وبركه العمل وبركه الطاعة أي تمحق بركه الدنيا والدين وقد جاء في الأثر ذكره الإمام أحمد في كتاب الزهد " أنا الله إذا رضيت باركت وليس لبركتي منتهي وإذا غضبت لعنت ولعنتي تدرك السابع من الولد "تكون سببا في لعن العبد:



واللعن هو الطرد من رحمة الله وأي أمل للإنسان في النجاة بعد أن طرده مولاه وبأي باب يلجأ منا بعده مولاه وبأي أحبل يتعلق إذا تقطعت عنه أحبل الله وها هي الذنوب أول شئ وأكثر شئ يدخل العبد تحت لعنه الله ورسوله فإن الرسول لعن الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصله والنامصة والمتنمصة ولعن أكل الربا وكاتبه وشاهده ولعن المحلل والمحلل له والسارق ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها وأكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه ولعن من غير منار الأرض وهي حدودها ولعن من لعن والديه ولعن من ذبح لغير الله ولعن من أحدث حدثا أو آوي محدثا ولعن المصورين ولعن من عمل بعمل قوم لوط ولعن من سب أباه وأمه ولعن من أضل أعمي عن الطريق ولعن من أتي بهيمة ولعن من وسم دابة ولعن من ضار مسلما أو مكر به ولعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسروج ولعن من افسد امرأة علي زوجها ولعن من افسد مملوك علي سيده ولعن من أتي امرأة من دبرها ولعن من انتسب لغير والديه ولعن من سب الصحابة ولعن الراشي والمرتشي والرائش وهو الوسيط ولعن من كتم ما انزل الله من البينات والهدي ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة ولعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا بسهم ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء فها هي المعاصي وها هو مصير صاحبها الطرد من رحمة الله

تعسير أموره عليه:

فلا يتوجه إلي أمر إلا يجده مغلقا دونه أو متعسرا عليه وهو عكس من اتقي فيجعل الله من أمره يسراً ويا لله العجب كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها معسرة عليه وهو لا يعلم من أين أتي؟! مع أنه لو غير مسار حياته ونبذ معاصيه وتخلص من الذنوب والآثام ليسر الله له الطرق وفتح أمامه الأبواب.

معصية بعدها

إن المعاصي تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضا حتى يعز علي العبد مفارقتها والخروج منها كما قال بعض السلف (إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها وإن من ثواب الحسنه الحسنه بعدها) فالعبد إذا عمل حسنه ما قالت أخري إلي جنبها إعملني أيضا، فإذا عملها قالت الثالثة كذلك وهلم جراً فتضاعف الربح وتزايدات الحسنات وكذلك جانب السيئات أيضا حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمه وملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت وأحس من نفسه بأنه كالحوت إذا فارق الماء حتى يعاودها فستكن نفسه وتقر عينيه وكذلك لو عطل المجرم المعصية وأقبل علي الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاق صدره وأعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها حتى إن كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ولا داعية إليها إلا ما يجد من الألم بمفارقتها كما صرح بذلك الحسن بن هانئ حيث قال:

وكأس شربت علي لذة وأخري تداويت بهــا

وقال آخر: وكانت دوائي وهي دائي بعينها كما يتداوي شارب الخمر بالخمر



ولا يزال العبد يألف الطاعة ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله برحمته عليه الملائكة تعينه عليها عونا وتحضه عليها وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها ولا يزال يألف المعصية حتى يحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين تؤذه إليها أزا فالأول قوي جند الطاعة بالمد فصاروا من اكبر أعوانه وهذا قوي جند المعصية بالمدد فكانوا اعوانا عليها حتى يهون علي العبد ارتكاب الذنوب وتصغر فيقلبه وذلك علامة هلاكه فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إن المؤمن يري ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يري ذنوبه كذباب وقع علي أنفه فقال به هكذا فطار". " البخاري "

فالمعصية تطبع علي القلب حتى تحجب عنه النور، قال تعالي " كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون " [المطففين، الآية ٧) وهو الذنب بعد الذنب

وقال الحسن: هو الذنب علي الذنب حتى يعمي القلب وقال غيره "لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم وأصل هذا القلب يصدأ من المعصية فإذا ذادت غلب الصدأ حتى يصير رانا ثم يغلب حتى يصير طبعا ثقيلا وخبثا وإذا حصل له ذلك انتكس القلب وصار أعلاه أسفله يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد.

سوء الخاتمة:

خوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين لأن الإنسان تكون خارت قواه وانقطعت به أسباب النجاة، جاء في التحذير من سوء الخاتمة " عبد الحميد السجياني " قال احدهم: كن مسافر في دراسة إلي الولايات المتحدة الأمريكية وكان شأن كثير من الشباب الذين يقضون ليلهم في الليل و المرقص وذات يوم كنا عائدين من لهونا وعبثنا وتقدم بعضنا إلي الإسكان إلا واحد منا فقد استبطأناه وقلنا لعله يأتي بعد قليل ولم ننزل ننتظره لكنه لم يأتي فنزلنا نبحث عنه يمينا وشمالا ثم قلنا أخيرا لابد انه في الموقف يجعل للسيارة تحت البناء فدخلناه فوجدنا محرك السيارة لا زال يعمل وصاحبنا ساكن لا يتحرك والموسيقي لا زالت ترن منذ آخر الليل حتى اللحظة التي فتحنا فيها باب السيارة ونادينا يا خانا يا صحبنا فإذا به قد انقطع عن الدنيا ومنذ اللحظة التي وفقت فيها السيارة فانظر الخاتمة وماذا يقول لربه عندما يبعثه من فيره ومن مات علي شئ بعث عليه.

وهذا شاب من المنحرفين من أحد البلاد الخليجية سافر إلي بلد غريب للفسق والدعارة وبينما كان في سكره وغيه ينتظر خليلتة وقد تأخرت عليه فما هي إلا لحظات حتى أقبلت إليه فلما رأها خر ساجداً لها تعظيماً ولم ينهض من تلك السجده إلا هو محمول علي الأكتاف قد فارق الحياة فماذا يقول لربه غداً؟!

وها هم أربعة من الشباب كانوا يجمعون رواتبهم فإذا سمعوا ببلاد لم يذهبوا إليها من بلاد الفسق والفجور ذهبوا إليها، وجاء وقت الرحلة ومضوا إلي ما يريدون ومر عليهم أكثر من أسبوع وهم في تلك البلاد بين الزنا وشرب الخمور وأفعال لا ترضي الرحمن وبينما هم في ليلة من الليالي وفي ساعة متأخرة من الليل يجاهرون الله بالمعصية والفجور وبينما هم في غمرة اللهو والمجون إذ بأحد الأربعة يسقط مغشياً عليه فيهرع إليه أصحابه فيقول أحدهم في تلك الليلة الحمراء: يا أخي قل لا إله إلا الله، فيرد الشاب



عياذاً بالله من سوء الخاتمة زدني كأس الخمر وتعالي يا فلانة ثم فاضت روحه إلي الله وهو علي تلك الحالة السيئة ثم تاب الثلاثة وجهزوا صاحبهم وعادوا به إلي بلاده محمولاً في تابوت ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته فلما نظروا إلي وجهه وجدوه كالفحمة السوداء.

ولا نذهب بعيداً، شاب مات في هذه الأيام في المملكة وكان عمره ثمانية عشر عاماً فشك والده في سبب وفاته فأمر باستخراج الجثة بعد ثمان ساعات وإذا بالشاب وقد رأيناه علي الشاشات قد شاب شعره ونزف الدم وتحول شكله إلي صورة بشعة سوداء متفحمة نعجز عن وصفها ولما سألوا أهله عن أعماله؟ قالوا: كان يستمع للغناء ولا يصلي وها هو رجل واقف أمام داره فمرت به امرأة جميلة فقالت له: أين الطريق إلي حمام منجاب؟ فقال: هذا حمام منجاب، وأشار إلي داره، فدخلت المرأة في الدار ثم فهمت ما أراد منها فأظهرت البشر وقالت له: يصلح أن يكون معنا طيبُ وطعام، فقال: الساعة آتيك بكل ما تريدين، ثم خرج وترك الباب مفتوحاً، وعندما رجع وجدها خرجت فهام علي وجهه وجعل يمشي في الطرقات ويقول: أين الطريق إلي حمام منجاب؟ وبعد أيام قليلة حضرته الوفاة فجعلوا يلقنونه الشهادة وهو يقول: أين الطريق إلي حمام منجاب؟ وكانت أخر كلامه؛ نسأل الله العافية وحسن الخاتمة.

يقول الشيخ القحطاني في كتابه التحذير من سوء الخاتمة:

كنت في المقابر أقبر رجلا فوضعته في القبر وطلبت طوبه له أضعها تحت رأسه وقد حللت الأربطة فإذا رأس الميت تحول من القبلة عياذا بالله فقمت برده إلي القبلة وأخذت اللبنة الثانية ولكني في هذه المرة وجدت عينيه فتحتا وأنفه وفمه يصبان الدم الأحمر فداخلني الخوف حتى إن رجلي لم تستطيعا أن تحملاني ثم أعطوني اللبنة ألثالثه فوجدت أنه تحول للمرة الثالثة فتركته وهربت من القبر فقام الذين معي وتولوا عمليه الدفن فستروه بالتراب ولم يغلقوا اللحد من شدة الخوف فصار هذا الموقف يؤرقني ولا أستطيع النوم من شدته، سلم يا رب

يا مـــن له علـــم الغيـوب ووصفه ستر العيوب وكل ذاك سماح

أخفيت ذنب العبد عن كل الـوري كرمـــا فليس عليه ثم جناح

منك التفضـــل والتكـرم الـرضا أنت الإلـه المنعـــم الفتـاح

احد الممثلين المصرين كان يستأجر شقه و يجتذب فيها الفتيات الساقطات لقضاء ليالي زناه وفجوره وكان كبير في السن وهذا الرجل كان متعوداً علي الجرعة المنشطة لهذا الأمر وفي أحد الليالي أخذ جرعه كبيرة من المنشطات وإذا بها تودي بحياته وهو يمارس هذه الرذيلة ولما رأته الفتاة قد فارق الحياة تركته وفرت هاربة ولم يعلم به احد وكانت قد أغلقت عليه الباب ولم يعلم به أحد حتى فاحت رائحة كريهة من هذه الشقة فاستدعي الجيران الشرطة التي فتحت الشقة فوجدته ميتا وهو متجرد من الثياب كيوم ولدته أمه والجثة متعفنة والودود يأكل فيها. وها هو رجل خليجي يزيد عمره علي الستين ذهب إلي بلاد الإباحة والرزيلة وأستأجر غرفه في أحد الفنادق وأخذ يشرب الخمر في اليوم الأول حتى شرب ست قوارير وأتبعها بثلاث ثم ألحقها باثنين حتى شعر



بالامتلاء فذهب إلي دورة المياه لكي يتقيأ فسقط هناك ولما أطال المكث فيها طرقوا عليه الباب ثم فتحوه فوجدوا الرجل ميت في أخس مكان وإذا برأسه في مصرف المياة والنجاسة وهذه النهاية تذكر بالنهاية الشاعر الكافر إيليا أبو ماضي فقد مات مثل هذه الميتة وهو القائل في القصيدة التي مطلعها:

جئت لا أدري من أين أتيت ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

خرج سفيان الثوري للحج فكان يبكي من أول الليل إلي آخرة فقال له شيبان الراعي: يا سفيان لم بكاؤك؟إن كان من أجل المعاصي فلا تعصيه، فقال سفيان: أما الذنوب فما خطرت ببالي قط، صغيرها ولا كبيرها ولكن خوف سوء الخاتمة لأني رأيت شيخا كبيرا كنا نكتب عنه العلم وجاور البيت الحرام فلما مات تحول وجهه عن القبله ومات إلي المشرق كافرا، فما أخاف إلا من سوء الخاتمة،فقال له شيبان: ذلك شوم المعصية والإصرار علي الذنوب فلا تعصي ربك طرفة عين:

عجبت وفي الليالي معجبـــات وفي الأيام يعرفها البصير

بان الله قــد أفنيــ رجــالا ً كثيــرا كان شأ نهم الفجور

وأبقي آخــــريـن ببر قوم فينمــو منهم الطفل الصغير

ولكن أعبــد الرحمـــن ربي ليغفــر ذنبي الــرب الغفور

فتقوي الله ربكــم احفظوهــا متي ما تحفظوها لا تبوروا

وخزي في الحياة وإن يموتوا يلاقوا ما تضيق به الصدور

الاســـتدراج:

قد يسأل سائل ويقول: ما بالنا نري أقواماً قد امتلأت فجاج الأرض بمفاسدهم وظلمهم وقتلهم الأنفس بغير الحق وأكلهم الربا وقد نهوا عنه ومع ذلك نراهم وقد درت عليهم الأموال وأخرت لهم الأجال وهم في نعيم بعيد المنال بل هم علي حال ٍ هي خير الأحوال؟!

مهلا ً أيها السائل إن هؤلاء متبرٌ ُ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون، إن هؤلاء يملي لهم الله ليستدرجهم من حيث لا يعلمون، إن هؤلاء يملي لهم الله حتى إذا أخذهم أخذهم عزيز ٍ مقتدر. يقول النبي صلي الله عليه وسلم إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وقرأ قوله تعالي: " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القري وهي ظالمة إن أخذه أليمُ ُ شديد} الأنعام: ٤٥،٤٤. والله تعالي يمهل ولا يهمل

وقد قال ((صلي الله عليه وسلم)): " إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد وهو علي معاصيه ما يحب فإنما هو استدرج) " رواه أحمد " إذا رأيت الله يتابع عليك نعمة وأنت تقيم علي معاصيه فاحذره فإنما هو استدراج منه يستدرجك به.

وقال تعالي: " ولولا أن يكون. . . الآية " [الزخرف، الآيات ٣٣، ٣٤)

وقال بعض السلف: " رُب مستدرج بنعمة الله عليه وهو لا يعلم ورُب مفتون ٍ بثناء الناس عليه وهو لا يعلم ورُب مغرور ٍ بستر الله عليه وهو لا يعلم "، نعوذ بالله من الاستدراج ففيه الفتنه وفيه المحنة وفيه السقوط إلي مهاوي الضلال فلا يغترنّ أحد بما



بدا من آثار النعمة علي بعض الطغاة ففي هذه النعمة النقمة والعذاب الأليم والله عز وجل ليس بغافلٍ عن أحد ولكنه غالبٌُ علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

خلاصة الأمر

أن المعاصي سببا في قلة التوفيق وفساد الرأي وخفاء الحق وفساد القلب وخمول الذكر وإضاعة الوقت ونفرة الخلق والوحشة بين العبد وبين ربه ومنع إجابة الدعاء وقسوة القلب ومحق البركة في الرزق والعمر وحرمان العلم ولباس الذل وإهانة العدو وضيق الصدر والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت وطول الهم والغم وضنك المعيشة وكسف البال تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار وأضداد هذه تتولد عن الطاعة.



الفصل الثالث أسباب النجاة

ويشمل علي أربعة مباحث

- المبحث الأول: طوبي للغرباء
- المبحث الثاني: الثبات عند الفتن
- المبحث الثالث: الخوف
- المبحث الرابع: التوبة



تمهيـــد

بعدما رأينا ما فعلته الذنوب في الأمم والأفراد وكم زالت بسببها نعم وحلت كرب وهلكت شعوب وذلت بسببها رقاب العتاة المذنبين. كان علي أن ابين سبيل النجاة من هذا الشرك وأن أشعل لي ولك شمعه أو مصباح يضئ نفق الذنوب المظلم.

أردت أن أنتقل بك إلي الدواء وذلك بعد أن عرفنا الداء. والآن مع وصف الدواء مع علاج الذنوب.

أولا: طوبي للغرباء وذلك لما وجدت المطيع المتمسك بدينه الذي يسير علي سنه رسوله في أيامنا غريبا وجدته نادر الوجود وعندما يوجد يكون بين الناس غريباً لذلك تحدثت عن الغرباء حتى لا يستوحش طريق الله أحد لقلة السالك فيه.

ثانياً: الثبات عند الفتن وذلك لما ارتدت الفتن ثياباً متعددة الألوان والإشكال حتى صعب علي الكثير منا أن يفرق بينها وبين أمور الدين الحقيقية

ثالثاً: الخوف من الله وهو السوط الذي يساق به بعض ألعصاه لعلهم يعودوا إلي ربهم عوداً حميداً قبل فوات الأوان.

رابعاً: التوبة وذلك لأفتح أمامي وأمامك وأمام كل عاصي باب العودة إلي الذي يفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد ومن الظمآن الوارد ومن الضال الواجد وهو الباب العظيم الذي لم يوصد طرفه عين من دخله ماشياً أقبل الله عليه مهرولا.

المبحث الأول: طوبي للغرباء

طوبي للغرباء

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن عنده " طوبي للغرباء " قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: ناس صالحون قليل في ناس كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم". " صحيح رواه أحمد " وقبل أن نتكلم عن وصف أهل الغربة نسوق أولا روايات هذا الحديث فلقد ذكر من عدة طرق منها: عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبي للغرباء" قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: " الذين يصلحون إذا فسد الناس". " حسن رواه الطبراني "

وعن أبن مسعود قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم : "إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبي للغرباء". قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال النُّزّاع من القبائل". " صحيح رواه أحمد " قال البيهقي النزاع: جمع نزيع ونازع وهو الغريب الذي نزع من أهله وعشيرته "فهؤلاء هم الغرباء والممدوحون المغبطون ولقلتهم في الناس جدا سموا " غرباء "فإن أكثر الناس علي غير هذه الصفات فأهل الإسلام في الناس غرباء والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء وأهل العلم في المؤمنين غرباء وأهل السنة الذين يميزونها عن الأهواء والبدع غرباء والداعون إليها الصابرين علي أذي المخالفين: هم أشد هؤلاء غربه ولكن هؤلاء هم أهل الله حقا فلا غربه عليهم وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله فيهم {وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن



سبيل الله}الأنعام: ١٦٦ . فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه وغربتهم هي الغربة الموحشة وإن كانوا هم المعروفين.

الغربه وأنواعها تنقسم الغربه ثلاثة أنواع:

النوع الأول: غربة أهل الله وأهل سنه رسول اللهصلى الله عليه وسلم بين هذا الخلق وهي الغربة التي مدح: رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلها وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه " بدأ غريبا " وأنه سيعود غريبا كما بدأ " وأن أهله يصيرون غرباء وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان ووقت دون وقت وبين قوم دون قوم. ولكن أهل هذه " الغربة " هم أهل الله حقا فإنهم لم يأووا إلي غير الله ولم ينتسبوا إلي غير رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يدعوا إلي غير ما جاء به. وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم فإذا أنطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم فيقال لهم " ألا تنطلقوا حيث انطلق الناس؟ فيقولون: فارقنا الناس ونحن أحوج إليهم منا اليوم وإنا ننتظر ربنا الذي كنا نعبده! " " رواه البخاري " الله أكبر فهذه " الغربة " لا وحشه علي صاحبها بل هو آنس ما يكون إذا أستوحش الناس وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا فوليه الله ورسوله والذين آمنوا وان عاداه أكثر الناس وجفوه ومن هؤلاء الغرباء: من ذكرهم أنس في حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم علي الله لأبره". " حسن رواه الطحاوي "

وقال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس من عزها للناس حال وله حال، الناس منه في راحة وهو في نفسه في تعب " ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي صلى الله عليه وسلم التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس وترك الانتساب إلي أحد غير الله ورسوله لا شيخ ولا طريقه ولا مذهب ولا طائفة بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلي الله بالعبودية له وحده وإلي رسوله بالإتباع لما جاء به وحده. وهؤلاء هم القابضون علي الجمر حقا وأكثر الناس بل كلهم لائم لهم فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعه ومفارقه للسواد الأعظم ومعني قول النبي صلى الله عليه وسلم هم النزاع بين القبائل " أن الله سبحانه بعث رسوله وأهل الأرض علي أديان مختلفه فهم بين عباد أوثان، ونيران، و عباد صور، وصلبان، و يهود، وصابئة، وفلاسفة.

وكان الإسلام في أول ظهوره غريبا وكان من اسلم منهم واستجاب لله ولرسوله غريبا في بيته وقبيلته وأهله وعشيرته. فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزاعا من القبائل بل آحادا منهم تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم ودخلوا في الإسلام فكانوا هم الغرباء حقا حتى ظهر الإسلام وانتشرت دعوته ودخل الناس فيه أفواجا فزالت تلك الغربة عنهم ثم أخذ في الاغتراب والترحل متي عاد غريبا كما بدأ الإسلام الحق الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هو اليوم أشد غربه منه في أول ظهوره وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهودة معروفه فالإسلام الحقيقي غريب جداً وأهله غرباء أشد الغربه بين الناس.



وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جداً غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة ذات اتباع ورئاسة ومناصب وولايات ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهي فضيلتهم وعملهم والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإرادتهم؟ فكيف لا يكون المؤمن السائر إلي الله علي طريق المتابعة غريبا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهوائهم وأطاعوا شيعتهم وأعجب كل منهم برأيه؟. ولهذا جعل للمسلم الصادق في هذا الوقت إذا تمسك بدينه: أجر خمسين من الصحابة!! ففي سنن أبي داود " والترمذي " من حديث أبي ثعلبه الخشني قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم " عن هذه الآية. {يا أيهاه الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}المائدة: ١٠٥. فقال " بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر متي رأيت شحا مطاعاً وهوي متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر. الصبر فيهن من قبض علي الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله. قلت: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال أجر خمسين منكم "رواه الترمذي وأبوداود " وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم. فإذا أراد المؤمن الذي رزقه الله بصيرة في دينه وفقها في سنة رسوله فهما في كتاب الله وأراه ما الناس فيه : من الأهواء والبدع والضلالات وتنكبهم عن الصراط المستقيم والذي كان عليه رسول الله ((صلي الله عليه وسلم)) وأصحابه فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط. فليوطن نفسه علي قدح الجهال وأهل البدع فيه وطعنهم عليه وإزرائهم به وتنفير الناس عنه وتحذيرهم منه كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه صلى الله عليه وسلم فأما إن دعاهم إلي ذلك وقدح فيما هم عليه : فهناك تقوم قيامتهم ويبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله. فهو غريب في دينه لفساد أديانهم غريب في تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم غريب في صلاته لسوء صلاتهم غريب في طريقه لضلال وفساد طريقهم غريب في نسبته لمخالفة نسبهم غريب في معاشرته لهم لأنه يعاشرهم علي ما لا تهوي أنفسهم. وبالجملة: فهو غريب في أمور دنياه وأخرته لا يجد من العامة مساعداً ولا معيناً فهو عالم بين الجهال صاحب سنه بين أهل البدع داع إلي الله ورسوله بين دعاه إلي الأهواء والبدع آمر بالمعروف ناه عن المنكر بين قوم لديهم المعروف منكر والمنكر معروف.

النوع الثاني: غربة مذمومة : وهي غربة أهل الباطل وأهل الفجور بين أهل الحق فهي غربة بين حزب الله المفلحين وإن كثر أهلها فهم غرباء علي كثرة أصحابهم وأشياعهم أهل وحشة علي كثرة مؤنسهم يعرفون في أهل الأرض ويخفون علي أهل السماء.

النوع الثالث: وهي الغربة عن الوطن فإن الناس كلهم في هذه الدار غرباء فإنها ليست لهم بدار مقام ولا هي الدار التي فارقوها : وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ". " رواه البخاري "

وهكذا هو في نفس الأمر لأنه أمران يطالع ذلك بقلبه ويعرفه حق المعرفة وينشد الإمام أبن القيم هذه الأبيات التأليه من نفس المعني:



وحي علي جنات عدن فإنها. . . . . . . منازلك الأولي وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل تري. . . . . نعود إلي أوطاننـــا ونسلم؟

وأي أغتراب فوق غربتنا التي. . . . . لما أضحت الأعداء فينا تحكم؟

وقد زعموا: أن الغريب إذا نأي. . . . . . وشطت به أوطانه ليس ينعم.

فمن أجل ذا لا ينعم العبد ساعة من العمر إلا بعد ما يتألم. وكيف لا يكون العبد في هذه الدار غريباً وهو علي جناح سفر لا يحل راحلته إلا بين أهل القبور؟ فهو مسافر في صورة قاعد وقد قيل:

وما هذه الأيام إلا مراحل يحث بها داع الموت

قاصدو أعجب شئ لو تأملت أنها. . . . . منازل تطوي و المسافر قاعداً وفي هذا الزمان اشتدت الغربة وزادت الفتنه وأصبح المسلم غريباً وسط أهله وبين الناس!! صارت غربته في كل شئ الناس ينظرون إلي قوله وإشادة رأيه نظرة الغرابة فلا يعملون به ولا يتابعون ولا ينفذون فصار علي نفسه منطوياً لا يجد بينهم مؤيدا ولا نصيراً ولا يجد منهم مستنصحاً ولا مستشيراً متي عاد غريباً لا يجد منهم له جليساً ولا أنيساً!! لقد أصبح أكثر الناس كما قال عبد الله بن عمر بن العاص: " سيأتي علي الناس زمان يحجون ويصومون ويصلون وما فيهم مؤمن!! " صحيح الإسناد على شرط الشيخين" أمرهم قد رق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فعن عبد الله بن يسر المازني رضي الله عنه قال: لقد سمعت حديثاً منذ زمان: " إذا كنت في قوم عشيرين رجلا، أو أقل، أو أكثر فتصفحت في وجوههم فلم تري فيهم رجلا يهاب في الله فاعلم أن الأمر قد رق ". " رواه أحمد " كانوا ثمراً لا شوك فيه فأصبحوا شوكاً لا ثمر فيه! وأصبح المسلم يعير بينهم بصلاته!! أبعد هذه الغربة غربه؟

روي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم: ستكون فتن يفارق الرجل فيها أباه وأخاه تطير الفتنه في قلوب رجال منهم إلي يوم القيامة حتى يعير الرجل فيها بصلاته كما تعير الزانية بزناها!!

قال الشيخ التويجري: "وقد ذكر لنا عن بعض السفهاء في زماننا أنهم كانوا يستهزئون بالصلاة والمصلين والآمرين بالصلاة ويلمزونهم ويسخرون منهم. . وهذا من غلبة الفتنة عليهم وتمكنها من قلوبهم. قلت إنهم ما تركوا أمراً من أمور الدين إلا سخروا منه وانتقضوه ورموا المتمسك بالتخلف والرجعية والسطحية والتأخر؟ وظنوا بجهلهم أن العمل بالإسلام لا يصلح في أمر الدنيا؟ لا يصلح في أمر الأموال فهجروا الإسلام في الأسواق ثم هجروه في الأفراح. ثم هجروه في القضايا والفصل بين النزاعات وحل الخصومات ثم هجروه في الميراث والأحوال الشخصية. ثم هجروه في سمتهم. فأنتشر التبرج والسفور. وأصبحت اللحي من الأمور المنفرة. والثوب القصير دليل علي التزمت!! والعمل بالإسلام دليل علي التعصب كلام نفيس للإمام ابن رجب الحنبلي - رحمه الله. قال في شرحه لهذا الحديث (بدأ الإسلام غريباً) ما مختصره قوله " بدأ الإسلام غريباً " يريد به أن الناس كانوا قبل مبعثه علي الضلالة عامه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أن الله نظر إلي أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا



من أهل الكتاب". " رواه مسلم " فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعا إلي الإسلام لم يستجب له في أول الآمر لا الواحد بعد الواحد من كل قبيله وكان من المستجيبين له خائفاً من عشيرته وقبيلته يؤذي غاية الأذي وينال منه وهو صابر علي ذلك في الله عز وجل، وكان المسلمون إذا ذاك مستضعفين يشردون كل مشرد ويهرعون إلي البلاد النائية كما هاجروا إلي الحبشة مرتين. ثم هاجروا إلي المدينة وكان منهم من يعذب في الله و منهم من يقتل فكان الداخلون في الإسلام حينئذ غرباء، ثم ظهر الإسلام بعد الهجرة إلي المدينة وغدي أهله ظاهرون كل الظهور ودخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجا وأكمل الله لهم الدين وأتم عليهم نعمته وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر علي ذلك وأهل الإسلام علي غاية من الاستقامة في دينهم وهم معتصمون ومتحدون وكانوا علي ذلك في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنه ثم أشعل الشيطان مكائده علي المسلمين وألقي بأسهم بينهم وأفشي فيهم فتنة الشبهات والشهوات ومازالت هاتان الفتنتان تتزايدان شيئاً فشيئاً حتى استحكمت مكيدة الشيطان وأطاعه أكثر الخلق فمنهم من ظل في طاعته في فتن الشبهات ومنهم من دخل في فتنه الشهوات ومنهم من جمع بينهما وكل ذلك ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعه. فأما فتنة الشبهات " فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه أن أمته ستفترق علي أزيد من سبعين فرقه، وأن جميع تلك الفرق في النار إلا فرقة واحده وهي ما كانت علي ما هو عليه وأصحابه صلى الله عليه وسلم وأما فتنة الشهوات: ففي صحيح مسلم" عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " كيف أنتم إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم. . أي قوم أنتم ! قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله " قال "أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون " وفي صحيح البخاري عن بن عمر وبن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " والله ما الفقر أخشي عليكم ولكن أخشي عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت علي من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم " وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخشي علي أمته هاتين الفتنتين كما في المسند عن أبي برزه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إنما أخشي عليكم الشهوات في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن وفي رواية " ومضلات الهوي " فلما دخل أكثر الناس في هاتين الفتنتين أو أحدهما أصبحوا متقاطعين متباغضين بعد أن كانوا أخواناً متحابين متواصلين فإن فتهت الشهوات عمت غالب الحلق ففتنوا بالدنيا وزهرتها وصارت الرغبة غاية قصدهم لها يطلبون وبها يرضون ولها ينغضون ولها يوالون وعليها يعادون فقطعوا لذلك أرحامهم وسفكوا دمائهم وارتكبوا معاصي الله بسبب ذلك. وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة فبسببها تفرق أهل القبيلة وصاروا أشياعا وكفر بعضهم بعضاً وأصبحوا أعداء وفرقاً واحزابا بعد أن كانوا إخوانا قلوبهم علي قلب رجل واحد، فلم ينج من هذه الفرق إلا الفرقة والواحد ه الناجية وهم المذكورن في قوله صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علي الحق لا يغرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم علي ذلك " متفق عليه " وهم في آخر الزمان الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث الذين يصلحون إذا فسد الناس، وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنين، وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن، وهم النزاع بين القبائل لأنهم قلوا فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلا الواحد



والاثنان وقد لا يوجد في بعض القبائل منهم احد كما كان الداخلون في الإسلام في أول الأمر كذلك وكان الحسن يقول " يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله فإنكم أقل الناس " وعن الثوري قال " استوصوا بأهل ألسنه خيراً فإنهم غرباء " ومراد هؤلاء لأنه بالسنة " طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليه هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات ولذا كان الفضيلي يقول أهل السنة من عرف ما يدخل في بطنه من حلال وذلك لان اكل الحلال أعظم خصال أهل السنة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وفي مسند الإمام أحمد " عن عباده بن الصامت أنه قال لرجل من أصحابه يوشك إن طالت بك الحياه أن تري الرجل قد قرأ القرآن علي لسان محمد صلي الله عليه وسلم فأعاده وأبداه وأحل حلاله وحرم حرامه ونزل عند منازله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز الحمار الميت!! ومثله قول أبن مسعود " يأتي علي الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الامه!! وإنما ذل المؤمن آخر الزمان لغربته بين أهل الفساد من أهل الشبهات والشهوات فكلهم يكرهه ويؤذيه لمخالفة طريقتهم ومقصودة لمقصودهم ومباينته لما هم عليه وقد كان السلف قديما يوصفون المؤمن بالغربة في زمانهم!! ومن كلام أحمد بن عاصم الأنطاكي وكان من كبار العارفين في زمان أبي سليمان الداراني أنه قال " أني أدركت من الازمنه زمان عاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ إن ترغب فيه إلي عالم وجدته مفتونا بحب الدنيا بحب التعظيم والرئاسة. وان ترغب فيه إلي عابد وجدته جاهلا في عبادته، ممدوحاً صريعا عند ربه إبليس قد صعد به إلي أعلي درجه العباده وهو جاهل بأدناها فكيف لديه بأعلاها وسائر ذلك من الرعاع همج، عوج وذئاب مختلسه، وسباع ضارية وثعالب ضرار، هذا وصف عيون أهل زمانك من حملة العلم والقرآن ودعاة الحكمة فهذا وصف أهل زمانه فكيف بما حدث بعده من العظائم والدواهي التي لم تخطر بباله ولم تدر في خياله. قال الحسن: المؤمن كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها له شأن وللناس شأن غربة العارفين. الغربة عند أهل الطريقة غربتان: ظاهرة وباطنه. فالظاهرة: غربة أهل الصلاح بين الفساق وغربة الصادقين بين أهل الرجاء والنفاق وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق وغربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا وغربة الزاهدين بين الراغبين فيما ينفذ وأما الغربة ألباطنه: فغربة الهمة وهي غربة العارفين بين الخلق كلهم حتى العلماء والعباد والزهاد فان أولئك واقفون مع علمهم وعبادتهم وزهدهم. وهؤلاء واقفون مع معبودهم لا يحرجون بقلوبهم عنه. سئل أبو سليمان من أفضل الأعمال فبكي " وقال: أن يطلع علي قلبك فلا يراك تريد من الدنيا والآخرة غيره " وفي صحيح مسلم " عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله يحب العبد التقي. الغني. الخفي "وقال أبن مسعود رضي الله عنه " كونوا جدد القلوب، خلقان الثياب، مصابيح الظلام، تخفون علي أهل الأرض، وتعرفون في أهل السماء " فهؤلاء أخص أهل الغربة، وهم الفارين بدينهم من الفتن، وهم النُّزاع بين القبائل شعارهم:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي. . . وأبحت جسمي من أراد جلوس

فالجسم مني للحبيب موانس. . . وحبيب قلبي في الفؤاد أنيس

المبحث الثاني: الثبات أيــام الفــتن



عن عبد بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ((صلي الله عليه وسلم)) قال: ((كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي يغربل الناس فيه غربلة وتبقي حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، فاختلفوا وكانوا هكذا؟ وشبك بين أصابعه ـ قالوا كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك؟

قال " تأخذون بما تعرفون وتدعون ما تنكرون، وتقبلون علي خاصتكم، وتذرون أمر عواقبكم)) " صحيح ابن ماجه "

طلب الحق أحلي في النفوس الأبيه من الشمس في رائعة النهار،وقطب تدور عليه همم الأخبار، وعباب تنصب منه جداول شمائل الأطهار، ومتى علت الهمة في طلب الحق حملت علي مفارقة وطلب الأوابد فان الحق في مثل هذه الإعصار فلما يعرفه إلا واحد وإذا عظم المطلوب قل المساعد، فان البدع قد كثرت، وكثر الدعاة اليها، والتعويل إليها، وزاد قرن الفتن واشتد عود أهلها، فتراكمت الشبهات، واشتعلت نار الشهوات، ودار الإنسان في فلكها يصبح مؤمن ويمسي كافراً ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا زائلا ، مرجت العهود، وخفت الأمانات، ودب الخلاقة وتكاثف الظلمات، إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها!

طريق النجاة!

وطريق النجاة من الفتن رسمه رسول الله صلي الله عليه وسلم في هذا الحديث وفي غيرة من الأحاديث الشريفة " ليهلك من هلك عن بينه ويحي من حي عن بينه " (الأنفال، الآية ٤٢)

فما المخارج من تلك الفتن:

(١)يأخذ الإنسان ما يعرفه:

أي ما يعرف أنه حق فلا يدور في تلك الشبهات ودليله علي هذا وقائده القرآن والسنة.

وفي الحديث: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي " فلا يصغي لصاحب بدعه، ولا يجالس أهل الأهواء.

(٢) يدع ما يشك:

وفي الحديث الصحيح: " البر ما أطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في صدرك وكرت أن يطلع عليه الناس " وقال دع ما يبريك إلي ما لا يريبك فلا بد إذن من قوتين "قوة إحجام عن الشبهات والشهوات، وقوة إقدام علي الطاعة والهدي. قال ابن مسعود رضي الله عنه " لا يكون أحدكم إمعة، يقول إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت!!، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤا أن تتجنب إساءتهم.

(٣) الإقبال علي العلماء:

فهم ورثه الكتاب وحملة الهدي، ومنارات الطريقة يكشف الله بهم الطريقة ويحدد بهم معالم الهدي، وتتجلي بهم كل غبراء مظلمة.



عن معاوية أبن أبي سفيان: عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال " الخير عادة والشر لجاجه ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " حسنه ابن ماجه "

ووصفهم الخطيب البغدادي بأنهم: "حفظة الدين، وخذ نته، وأوعية العلم، وحملته، وفهم كل عالم وفقيه وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلي الإفصاح بتغير مذاهبهم لا يتجاسر

ترك أمر العوام إهمال سبيلهم: ـ

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الناس ثلاثة: " فعالم رباني، ومتعلم علي سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلي ركن وثيق "

فيا أخا الإسلام: ـ

تعلم فليس المرء يولد عـالـمً وليس أخو علم كمن هو جاهلُ

وإن كبير القـوم لأعلم عنده صغيراً إذا التفت عليه الجحافلُ

وإن صغير القوم إن كان عالماً كبيـر إذا ردت إليه المحـافلُ

قال تعالي " يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله حق تقاته وآمنوا برسوله يوُتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نور تمشون به ويغفر لكم "[الأنبياء، الآية ٨٨)

(٤) التوكل علي الله: " ومن يتوكل علي الله فهو حسبه "

(٥) الاستغفار واللجوء إلي الله:

قال تعالي: " وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن ن نقدر عليه فنادي في الظلمات أن لا أله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننج المؤمنين " [، الآية)

(٦) الاستعانة بالصلاة:

فعن أم سلمه قالت: أستيقظ رسول الله صلي الله عليه وسلم ليله فزعاً يقول " سبحان الله ماذا انزل الله من الخزائن وماذا أنزل الفتن؟! من يوقظ صواحب الحجرات (يريد أزواجه الكرام) لكي يصلين ّرب كاسيه في الدنيا عارية في الآخرة.

قال الشيخ مصطفي العدوي حفظه الله " في الحديث " الندب والإرشاد إلي التضرع والصلاة والدعاء واللجوء إلي الله، وخاصة في الليل، ويستحب الثلث الأخير منه ـ رجاء موافقة وقت الإجابة لتكشف الفتنه أو يسلم الداعي ومن دعا له" والحديث دليل واضح علي أن الصلاة مخرج من الفتنه

(٧) التعوذ بالله من الفتن عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال " الهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والماثم والمغرم ومن فتنة القبر و عذاب



القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنه الغني، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال. " رواه البخاري "

(٨) تمني الموت خشية الفتنة.

يجوز تمني الموت خشية الفتنه، ولا يتعارض مع قول النبي (صلي الله عليه وسلم) " لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فأن كان لا بد متمنياً فليقل " اللهم أحيني ما كانت الحياة خير لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي" " متفق عليه "

فلقد قال يوسف عليه السلام: " توفني مسلماً والحقني بالصالحين " [يوسف، الآية ١٠١)

وقالت مريم البتول " يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا " [مريم، الآية ٢٣) وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه " أن النبي صلي الله عليه وسلم قال إثنتان يكرهما ابن آدم: يكره الموت والموت خيراً له من الفتنه، ويكره قلة المال. وقله المال أقل للحساب " أخرجه أحمد في مسنده "

(٩) الفرار من الفتن

عن ابي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يشبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدنيا من الفتن)) " رواه البخاري "

(١٠) حفظ اللسان:

عن أبن عمر قال: لم يكن يقص في زمان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان إنما كان القصص زمن الفتن) وقال صلي الله عليه وسلم " من صمت نجا " حسن أخرجه الترمذي وأحمد "

قال الشيخ العدوي: " فمحمل حديث "من صمت نجا حيث وجدت الفتن ولم يدر هل في الكلام خير أم لا والله أعلم.

(١١) النهي عن المنكر:

عن أبي بكر رضي الله عنه "أيها الناس أنكم تقرءون هذه الايه "يا آيهاالذين آمنو عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم" وإني سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) " يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا علي يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه ". " أخرجه الترمذي "

(١٢) قتال المشركين: قال تعالي " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنه ويكون الدين كله لله "

(١٣) النهي عن قتال المسلم:

عن أبن عمر رضي الله عنهما قال: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله. " موقوف صحيح "



(١٤) المخرج من فتنة الأمراء والأئمة:

عن أبن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) " إنكم سترون بعدي أثرة وأمور تنكرونها " قالوا فماذا تأمرن يا رسول الله، قال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم "

وعن أم سلمه: قالت " قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) " ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي و تابع " قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال لا ما صلوا.

قال النووي رحمه الله تعالي " معني سابقه أنه لا يجوز الخروج علي الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق مالم يغغروا شيئاً من قواعد الإسلام " اعتزال الفرق إذا لم يكن للمسلمين جماعه ولا إمام "

عن حذيفة رضي الله عنه قال " كان الناس يسألون رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الخير وكنت أساله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله صلي الله عليه وسلم إنا كنا في جاهليه وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال " نعم " قلت وهل بعد ذلك الشر خيراً؟ قال " نعم وفيه دخن " قلت " وما دخنه "؟ قال قوم يهتدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر " قلت فهل بعد ذلك الخير شراً؟ قال نعم دعاه علي أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها " قلت " يا رسول الله " صفهم لنا. قال. هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

قلت: فان لم يكن لهم جماعه ولا إمام؟ قال " فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت علي ذلك " قلت "(متفق عليه): وهذه ثمة الثبات أيام الفتن.

قال البيغاوي: : المعني " إذا لم يكن له في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر علي تحمل شدة الزحام؟ وعض أصل الشجر كنايه من مكايد المشقة.

وقال الإمام الطبري: والصواب أن المراد من الخير لزوم الجماعة الذين فيطاعه من أجتمعوا علي تأميره فمن نكث ببعته خرج من الجماعة، قال: وفي الحديث أنه حتى لم يكن للناس إمام فأفترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحد في الفرق ويعتذل الجميع إن أستطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر وعلي ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف فيها " أ ــ هـ

(١٥) النجاة من فتنة الشهوات:

وضع الإسلام خطوطاً فاصلة وحدودا متينة، من أجل صيانة العرض والشرف ومن ذلك:

١- الحث علي الزواج. ٢- غض البصر ٣- الأمر بالحجاب

٤- الحدود الإسلامية. ٥- التحذير من الخلوه والاختلاط وسفر المراه بغير محرم معها

٦- التحذير من الدخول علي النساء ٧- تحريم الرقص والغناء وشعر الغزل

صور من ثبات المؤمنين في زمن الفتن



١) ثبات عثمان بن عفان " رضي الله عنه:

لما تحرك الثوار وفرضوا حصاراً حول دار عثمان بن عفان رضي الله عنه. يريدون قتله يحكي لنا الحسن ما حدث فيقول: أنبائي وثاب، قال بعثني عثمان فدعوت له الإشتر، فقال: ما يريد الناس؟ قال: ثلاث ليس من إحداهن بد،قال: ما هن؟ قال: يخيروك بين أن تخلع لهم أمرهم، فتقول: هذا أمركم، فاختاروا من شئتم، وبين أن تقتص من نفسك، فإن أبيت،فإن القوم قاتلوك

فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالا سربلنيه الله. وأما أن أقتص لهم من نفسي، فوالله لقد علمت أن صاحبي.

بين يدي، وقد كانا يعاقبان وما يقوم بيت بالقصاص. وأما أن تقتلوني، فوالله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي، ولا تصلون بعدي جميعاً بعدي جميعا عدوا أبداً.

وثبت رضي الله عنه علي موقفه وقدم نفسه فداًء " لثباته وسال دمه الطاهر وهو يرتل آيات الله.

٢) ثبات عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

لما زر قرن الفتنه بعد مقتل عثمان رضي الله عنه اعتزل عبد الله بن عمر الفتنه ولم يشارك فيها وقال قولته المشهورة: من قال (حي علي الصلاة) أجبته ومن قال (حي علي قتل أخيك المسلم وأخذ ماله (فلا)

٣) ثبات سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

لما نشبت الفتنه،وأطلت برأسها، أعتزل سعد، وقال: " لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان، فيقول: هذا مؤمن وهذا كافر "

٤) ثبات: أحمد بن حنبل رحمه الله: ثبت أحمد بن حنبل في محنه خلق القرآن،فثبت الله بثباته ألامه بأسرها حتى قبل (لولا سياط علي ظهر أبن حنبل، ما كان أمام أهل السنة)

٥) ونعيم بن حماد علي الطريق:

آخذ نعيم بن حماد: رحمه الله في أيام المحنه " سنه ثلاث وأربع وعشرين ومأتين والقوه في السجن بسأمراء فلم يزل محبوساً بها، حتى مات في السجن سنه ثمانية وعشرين ومأتي، فجر بأقياده والقي في حفره ولم يكفن ولم يصلي عليه وكان رحمه الله أوصي بدفنه في قيوده وقال إني مخاصم

فإذا رأيتهم قد مرجت عهودهم وأماناتهم فاختلفوا فخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وجالس العلماء، ودع عنك أمر العوام، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

" اللهم إنا أسالك الثبات في الأمر، والعزيمة علي الرشد، ونسألك حسن عبادتك، وشكر نعمتك. وإذا أردت بقوم فتنه فاقبضنا إليك غير خزيا ولا مفتونين ".



المبحث الثالث: الخـــــــــوف

الخوف هو سوط الله يسوق به عباده إلي العلم والعمل لينالوا بهما القرب من الله تعالي وهو أي الخوف عبارة عن تألم القلب وإحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال والخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات والخوف القاصر يدعوا إلي الغفلة والجراءة علي الذنوب والإفراط في الخوف يدعو إلي القنوط واليأس والخوف من الله تارة يكون معرفة الله ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمفارقة المعاصي وتارة يكون بهما جميعاً وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله واستغنائه وأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلي الله عليه وسلم " والله إني لأ أعلمكم بالله وأشدهم له خشيه " البخاري " وقال تعالي " إنما يخشي الله من عباده العلماء " [فاطر ٢٨)

وقال إبن مسعود رضي الله عنه: كفي بخشية الله علما وكفي بالاعتزاز جهلا.

درجات الخوف: ـ الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجري رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آيه من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذالك عند مشاهدة سبب هائل فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلي الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوي ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي تضرب به دابة قويه لا يؤلمها الماً مبرحاً فلا يسوقها إلي المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس إلا العلماء العارفين.

قال الفضيل بن عياض: إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت.

وأشار الفضيل إلي الخوف الذي هو يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات. وقيل كذلك ليس الخائف من بكي ومسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه وقال بعضهم من خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله هرب إليه. وقيل لبعضهم متى يكون العبد خائفاً قال: إذا ترك نفسه منزله السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام

والخوف بحرق الشهوات المحرمة فتصير المعاصي المحببة عنده مكروهه كما كما يصير العسل مكروه عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً فتحرق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الخشوع والذلة والاستكانة ويفارق الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعباً الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والبخل بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت أويهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا. بما هو فيه خائفاً منه لا متسع فيه لغيره فهذا حال من غلبه الخوف.



والإفراط في الخوف هو الذي يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلي اليأس والقنوط وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل.

فضيلة الخوف: ـ جمع الله للخائفين الهدي والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنات قال تعالي " هدي ورحمه للذين هم لربهم يرهبون "[الأعراف، الآية١٥٤)

وقال تعالي "إنما يخشي الله من عباده العلماء"[فاطر، ألآية ٢٨)

وقالي تعالي " رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه"[البينه الآية ٨)

وكل ما دل علي فضله العلم دل علي فضله الخوف لان الخوف ثمرة العلم. وقال تعالي " وخافون إن كنتم مؤمنين " [آل عمران، الآية ١٥٧)

فأمر الله بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه. قال تعالي " واياي فرهبون " [البقرة، الآية ٤٠) أي خافون خوفاً معه تحرز فيما تأتون وتذرون وفي الآيه أما المؤمن لا يخاف أحد إلا الله.

وقال تعالي حاكيا عن أهل الجنة " وأقبل بعضهم علي بعض يتساءلون قالو إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم. إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم " [الطور، الآيات٢٥- ٢٦)

فقوله تعالي مشفقين أي خائفين من عصيان الله تعالي مهتمين بطاعته وقال تعالي " إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير " [الملك، الآية ١٣) وقال تعالي " إن الذين من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أنهم إلي ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون(المؤمنون الآيات٥٧- ٦١) وقد سالت السيده عائشة رسول الله صلي الله عليه وسلم عن هذه الآيه فقالت آهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون فقال لا يا ابنه الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ألا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات". رواه الترمذي " فالأمر ليس متوقف علي مجرد العمل بل يتعدي العمل للقبول ولا قبول للعمل إلا إذا كان خالصا لله وليس لأحد فيه حظ أو نصيب ليس فيه رياء ولا مجامله وفيه اقتناع داخلي عند العبد القبول محض فضل الله الذي هدي الإنسان للعمل. قال رسول الله إن رجلا حضره الموت فلما يئس من الحياة أوصي أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً وأوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلي عظمي فامتحشت فخذوها ثم انظروا يوما راحا فاذروه في اليم ففعلوا فجمعه الله فقال له لم فعلت ذلك قال من خشيتك فغفر الله له ." البخاري "

وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم في حديث رواه أبو هريرة ليبين أن الخوف يسير بالإنسان إلي دار النجاة إلي الجنة وها هو نص الحديث " قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزلة ألا إن سلعة الله غاليه ألا إن سلعة الله الجنة". " رواه الترمذي " ادلج أي سار من أول الليل.



وقال الحسن البصري: إن المؤمنين قوم ذلت منهم الله الأسماع والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضي وما بهم من المرض والله إنهم أصحاء ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخر فقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ولا تعاظم في قلوبهم شئ ضلوا به الجنة إنه من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه علي الدنيا حسرات ومن لم يري لله عليه نعمه في غير مطعم أو مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه.

بعض الأخبار الواردة في الخوف: -

قال تعالي: " يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون " [التحريم، الآية ٦)

وقال تعالي " وكذلك آخذ ربك إذا آخذ القرى وهي ظالمه إن أخذه اليم شديد " إنه في ذلك لآيه لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق " [هود، الآيات ١٠٢ - ١٠٦)

وروي البخاري((١١ / ٣١٩)) عن أنس قال خطب: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم خطبه ما سمعت مثلها قط فقال " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً فغطي أصحاب الرسول وجوههم ولهم خنينن " وفي رواية " بلغ رسول الله عن أصحابه شئ فخطب فقال عرضت علي الجنة والنار فلم أرك اليوم من الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً " فما أتي علي أصحاب رسول الله يوم أشد منه غطوا رؤوسهم ولهم خنين والخنين هو البكاء مع غنه بانتشار الصوت من الأنف.

وعن عبد الله بن الشخير أن رسول الله كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل. " أبوداود والنسائي "

فها هو خوف النبي الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يبكي حتى يسمع لصدره صوت كصوت الاناء الذي يغلي به الماء وهو الشافع المشفع وحامل لواء الحمد بأبي هو وامي عليه السلام.

أما خوف الملائكة فقد وصفه الله في قوله تعالي"يخافون ربهم فوقهم ويفعلون ما يؤمرون " [النحل، الآية ٥٠)

وقال تعالي " ويسبح الرعد بحمده والملائكه من خيفته " [الرعد، الآية ١٣)

القلم لا يكاد يطاوعني في الكتابة وأنا أتحدث عن خوف أفضل المخلوقات الرسول الكريم ثم الملائكة المقربين لانتقل إلي الصحابة الأخيار وهم قوم عبدوا الله علي حق وصدق ورغم ذلك كاد الخوف يقطع قلوبهم لأنهم عرفوا الله حق المعرفة وكلما زادت معرفة الإنسان بربه زاد خوفه وعمله.

خوف ثاني أثنين إذ هما بالغار خوف من جاء بالصدق وصدق به خوف أول العشرة المبشرين بالجنة خوف الصديق عليه رضوان الله يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. وكان إذا قام إلي الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل.



أما خوف عملاقة الإسلام من خافه الشيطان لما خاف من الرحمن قرأ ذات يوم سورة الطور حتى بلغ قوله تعالي "إن عذاب ربك لواقع " [الطور، الآية ٧) بكي واشتد بكاؤه حتى مرض وعاوده وقال لابنه وهو يموت: ويحك ضع خدي علي الأرض عساه يرحمني ثم قال ويل أمي إن لم يغفر لي ثلاثاً ثم قضي وكان يمر بالآيه في ورده الليلي تخيفه فيبقي في البيت أياماً يعاد يحسبونه مريضاً وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء.

قال له إبن عباس: مصر الله بك الأمصار وفتح بك الفتوح وفعل.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وددت أن أنجو لا أجر ولا وزر

أما خوف عثمان بن عفان رضي الله عنه. فكان إذا وقف علي القبر يبكي حتى يبل لحيته، قال لو أنني بين الجنة والنار ولا أدري إلي أيتها أصير لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم علي أيتهما أصير.

اما أول من اسلم من الصبيان الذي هزم الجبابرة فكان خوفه من الله عظيماً " صلي الفجر ذات يوم وقد علاه كآبه وهو يقلب يده ويقول لقد رأيت أصحاب رسول الله فلم آر اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثاً صفرا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزي قد باتوا سجدا وقياماً يتلون كتاب الله يراحون بين جباههم وأقدام فإذا أصبحوا ذكروا الله تمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله لكأني بالقوم باتوا غافلين فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً حتى ضربه ابن ملجم.

وكان أبن عباس رضي الله عنهما: أسفل عينيه مثل الشراك البالي من كثرة الدموع.

وكان أبو ذر رضي الله عنه يقول لو تعلمون ما أنتم لا قون بعد الموت لما أكلتم طعاما علي شهوه ولا شربتم شرابا علي شهوه ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه ولخرجتم إلي الصعيد تضربون صدوركم وتبكون علي أنفسكم ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل.

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه قال: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلي حتى ينكسر صلبه

ووصفوا الحسن البصري فقالوا: كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حبيبه وإذا جلس فكأنه أسيرا أمر يقطع رقبته وإذا ذكرت النار فكأنما لم تخلق إلا له

وروي أن زرارة بن أبي أوفي قاضي البصرة صلي بالناس الفجر بسورة المدثر: فلما قرأ قوله تعالي " فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير" [المدثر، الآية ٩) أخذته شهقة فمات

فهذا حالهم مع عبادتهم فماذا نفعل نحن ونحن بين التقصير بل التفريط والامن.

المبحث الرابع: الــتـــــــوبــة



التوبة من الذنوب بالرجوع إلي علام الغيوب وغفار الذنوب مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين وأول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء للمقربين.

ومنزله التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها فلا يفارقه العبد السالك ولا يوال فيه إلي المباحث وان ارتحل إلي منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به فالتوبة هي بدايه الطريق ونهايته وقد قال تعالي: " وتوبوا إلي الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " [النور، الآية ٣١) وهذه الآيه في سوره مدينه خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ثم علق الفلاح بالتوبة وأتي بكلمة لعل إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم علي رجاء الفلاح فلا يرجو الفلاح إلا التائبون. جعلنا الله منهم ـ وقال تعالي " ومن لم يتب فأئك هم الظالمون " [الحجرات، الآية ١١) فقسم العباد إلي تائب وظالم وليس ثم قسم ثالث وأوقع اسم الظلم علي من لم يتب ولا اظلم منه لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه وآفات عمله وقد قال صلي الله عليه وسلم " يا أيها الناس توبوا إلي الله فو الله إني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مر ة: وهو أعلم الخلق بالله عز وجل.

التوبة هي رجوع العبد إلي الله ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين

شرائط التوبة

إذا كان الذنب في حق الله عز وجل فشرائط التوبة ثلاثة هي

✸ الندم ✸ والإقلاع عن الذنب ✸العزم علي عدم العودة

فأما الندم: فانه لا تتحقق التوبة إلا به إذ من لم يندم علي القبيح فذاك دليل علي رضاه به وإصراره عليه

وأما الإقلاع: عن الذنب فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب.

والشرط الثالث: هو العزم علي عدم العودة ويعتمد أساساً علي خلاص هذا العزم والصدق فيه وشرط بعض العلماء عدم الذنب وقا ل متي عاد اليه تبين أن توبته كانت باطله غير صحيحه والأكثرون علي أن ذلك ليس بشرط فكم من محب للصحة ويأكل ما يمرضه.

أما إذا كان الذنب متضمنا لحق آدمي فعلي التائب أن يصلح ما أفسد أو يسترضي من أخطا في حقه لقوله (صلى الله عليه وسلم)" من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات "البخاري "

فهذا الذنب يتضمن حقين: حق الله وحق الآدمي فالتوبة منه بتحلل الآدمي لأجل حقه والندم فيما بينه وبين الله لأجل حقه.

بعض التوبات الخاصة:

إذا كانت المظلمة بقدح في الآدمي بغيبه أو بقذف فهل يشترط إعلامه؟



اشترط أبو حنيفة ومالك وغيرهما الإعلام واحتجدوا بالحديث السابق و القول الآخر انه لا يشترط الإعلام بل يكفي توبته بينه وبين الله وأن يذكر المغتاب أو المقذوف في مواضع غيبته أو قذفه بضد ما ذكره به ويستغفر له وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيميه واحتج لذلك فإن إعلامه مفسده مبغضه لا تتضمن مصلحة وما كان هكذا فإن الشارع لا يبيحه فضلا عن أن يوجبه أو يأمر به

أما توبة من اغتصب مالا فعليه رد هذا المال إلي أصحابه فإن تعذر عليه رده لجهله بأصحابه أو لانقراضهم أو لغير ذلك فعليه أن يتصدق بتلك الأموال عن أربابها فإذا كان يوم استيفاء الحقوق كان لهم الخيار بين أن يجيزوا ما فعل وتكون أجوزها لهم وبين أن لا يجيزوا ما فعل ويأخذوا من حسناته بقدر أموالهم ويكون ثواب تلك الصدقة له إذ لا يبطل الله سبحانه ثوابها فقد روي أن ابن مسعود رضي الله عنه اشتري من رجل جاريه ودخل يزن له الثمن فذهب رب الجارية فانتظره حتى يئس من عودته فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عن رب الجارية فإن رضي فالأجر له وإن أبي فالأجر لي وله من حسناتي بقدرة وأما توبة من عاوض غيره معاوضه محرمه وقبض العوض كبائع الخمر والمغني وشاهد الزور ثم تاب والعوض بيده فقالت طائفة يرده إلي مالكه إن هو عين ماله ولم يقبضه بإذن الشارع ولا حصل لربه في مقابلته نفع مباح وقالت طائفة وهو الأصوب بل توبته بالتصدق به وكيف يرد إلي دافعه مالا استعان به علي معاصي الله وهكذا توبة من اختلط ماله الحلال بمال حرام وتعذر عليه تمييز فعلة أن يقدر الحرام ويتصدق به ليطهر بقية ماله والله أعلم.

مسالة: ـ

إذا تاب العبد من الذنب هل يرجع إلي ما كان عليه قبل الذنب من ألدرجه التي حطة عنها الذنب أولا يرجع إليها

قالت طائفة: يرجع إلي درجته لأن التوبة تجب الذنب بالكلية وتصير كأن لم يكن.

وقالت آخري: لا يعود إلي درجته وحاله لأنه لم يكن في وقوف وإنا كان في صعود فبالذنب صار في هبوط فإذا تاب نقص منه ذلك القدر الذي كان مستعدا به للترقي.

قال شيخ الإسلام: والصحيح أن من التائبين من لا يعود إلي درجته ومنهم من يعود إلي أعلي منها فيصير خيراً مما كانت قبل الذنوب وكان داود بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة

قال أبن القيم: رحمه الله وهنا مثلا مضروب رجل مسافر سائر علي الطريق بطمأنينة وآمن فهو يعدو مره ويمشي أخري ويستريح تارة وينام أخري فبينما هو كذلك إذ عرض له في سيره ظل ظليل وماء بارد ومقيل روضه مزدهرة فدعته نفسه إلي النزول علي تلك الأماكن فنزل عليها فوثب عليه منها عدوا فأخذه وقيده ومنعه عن السير فعاين الهلاك وظن انه منقطع به وأنه رزق الوحوش والسباع وأنه قد حيل بينه وبين مقصده الذي يؤمه فبينما هو علي ذلك تتقاذفه الظنون إذ وقف علي رأسه والده الشفيق القادر فحل كتافه وقيوده وقال له اركب الطريق واحذر هذا العدو فإنه علي منازل الطريق لك بالمرصاد واعلم أنك مادمت حاذر منه متيقظا له لا يقدر عليك فإذا غفلت وثب عليك وأنا



متقدمك إلي المنزل وفرط لك فاتبعني علي الأثر فإذا كان هذا السائر كيسا فطنا لبيبا حاضر الذهن والعقل استقبل سيره استقلال آخر أقوي من الأول أتم واشتد حذره وتأهب لهذا العدو وأعد له عدته فكان سيره الثاني أقوي من الأول وخيرا منه ووصوله إلي المنزل أسرع وإن غفل عن عدوه وعاد إلي مثله حاله الأول من غير زيادة ولا نقصان ولا قوة حذر ولا استعداد عاد كما كان وهو معرض لما عرض له أولا وإن أورثه ذلك توانيا في سيرة وفتورا وتذكر الطيب وقبله وحسن ذلك الروض وعذوبة مائه لم يعد إلي مثل سيره ونقص عما كان.

التوبة النصـــــــوح

قال تعالي "يا أيها الذين آمنو توبوا إلي الله توبه نصوحا عسي ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار " [التحريم، الآية ٨)

وعن أبي موسي الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: إن الله تعالي يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " رواه مسلم " وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه " رواه مسلم "

وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم " قال إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر " رواه الترمذي "

والغرغرة هي بلوغ الروح الحلقوم.

والنصح في التوبة هي تخليصها من كل غش ونقص وفساد.

قال الحسن البصري: هي أن يكون العبد نادما علي ما مضي مجمعا علي أن لا يعود فيه.

وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن.

وقال: سعيد بن المسيب " توبه نصوحا "تنصحوا بها أنفسكم.

وقال ابن القيم: النصح في التوبة يتضمن ثلاث أشياء:

الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنبا إلا تناولته.

الثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقي عنده تردد ولها تلوم والانتظار بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرا بها.

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده لا كمن يتوب لحفظ حاجته وحرمته ومنصبه ورئاسته لحفظ قوته وماله أو استدعاء حمد الناس أو الهروب من ذمهم أولئك يتسلط عليهم السفهاء أو لقضاء نهمته من الدنيا أولا فلاسه وعجزه ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله عز وجل.



فالأول: يتعلق بما يتوب منه والثاني يتعلق بذات التائب والثالث يتعلق بمن يتوب إليه فنصح التوبة الصدق فيها والإخلاص وتعميم الذنوب لا ريب فيه أن هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه وتمحوا جميع الذنوب وهي أكمل ما يكون التوبة.

وتوبة العبد إلي الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها وتوبة منه بعدها فتوبته بين توبتين ربه سابقه ولاحقه فإن تاب عليه أولا إذنا وتوفيقا وإلهاما فتاب العبد فتاب الله عليه ثانيا قبولا وإثابة وذلك لقوله عز وجل " وعلي الثلاثه الذين خلفواحتىإذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنواأن لاملجأ من الله إلا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم " [التوبة، الآية ١١٨)

فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم وأنها هي التي جعلتهم تائبين فكانت سببا مقتضياً لتوبتهم وهذا القدر من سر اسمية" الأول و الآخر" فهو المعد والممد ومنه السبب والمسبب والعبد تواب والرب تواب فتوبة العبد رجوعه إلي سيده بعد الإباق وتوبة الرب نوعان:

إذن وتوفيق وقبول وإثابة والتوبة لها مبدأ ومنتهي فمبدؤها الرجوع إلي الله بسلوك الصراط المستقيم الذي أمر بسلوكه بقوله تعالي " وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " الأنعام: ١٥٣)

ونهايته الرجوع إليه في الميعاد وسلوك صراطه الذي نصبه موصلا إلي جنته فمن رجع إلي الله في هذه الدار بالتوبة رجع إليه في الميعاد بالثواب قال الله عز وجل " ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب إلي الله متابا "] الفرقان، الآية ٧١)

اتهام التوبة

من اتهام التوبة ضعف العزيمة والتفات القلب إلي الذنب الفينه بعد الفينة وتذكر حلاوة مواقعته ومنها طمأنينة ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب من كأن قد أعطي منشورا بالأمان فهذا من علامات التهمة ومنها جمود العين واستمرار الغفلة وان لا يستحدث أعمالا صالحه لم تكن له قبل الخطيئة.

علامات صحة التوبة

(١) أن يكون بعد التوبة خيرا مما كان قبلها.

(٢) أن لا يزال الخوف مصاحبا له لا يأمن مكر الله طرفه عين فخوفه مستمر إلي أن يسمع قول الرسل لقبض روحه " أن لا تخافو ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون " فصلت ٣٠

فهناك يزول الخوف ومنها: انخلاع قلبه وتقطعة ندما وخوفا وهذا علي قدر عظيم الجناية وصغرها وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالي " لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم غلا أن تفطع قلوبهم " [التوبة، الآية ١١٠) قال تقطعها بالتوبة ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب إنصداع القلب وانخلاعه وهذا هو تقطعه وهذا حقيقة التوبة لأنه يتقطع قلبه حسرة علي ما فرط منه وخوفا من سوء عاقبته فمن لم



يتقطع قلبه في الدنيا علي ما فرط تقطع في الآخرة إذا حقت الحقائق وعاين ثواب المطيعين وعقاب العاصين فلا بد من تقطع القلب إما في الدنيا أو في الآخرة.

(٣) كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شئ ولا تكون لغير المذنب لا تحصل بجوع ولا رياضه ولا حب مجرد وإنما هي أمر وراء هذا كله تكسير القلب بين يدي الرب كسرة عامه قد أحاطت به من جميع جهاته وألقته به بين يدي ربه طريحا ذليلا خاشعا كحال عبد آبق من سيده فأخذ فأحضر بين يديه ولم يجد من ينجيه من سطوته ولم يجد منه بدا ولا عنه غناء ولا منه مهربا وعلم أن حيلته وسعادته وفلاحه ونجاحه في رضاه عنه وقد علم إحاطة سيده بتفاصيل جناياته هذا مع حبه لسيده وشدة حاجته إليه وعلمه بضعفه وعجزه وقوة سيده وذله وعز سيده. فيجتمع في هذه الأحوال كسرة وذلة وخضوع ما أنفعها للعبد وما أجدي عائد منها عليه وما أعظم جبره بها وما أقربه بها من سيده فليس شئ أحب إلي سيده من هذه الكسرة والخضوع والتذليل والإخبات والانطراح بين يديه والاستلام له فلله ما أحلي قوله في هذه الحال: أسالك بعزك وذلي إلا رحمتني. أسالك بقوتك وضعفي وبغناك وبفقري إليك. هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك لا ملجأ ولا منجي منك إلا أليك أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل وأدعوك دعاء الخائف

الضرير سؤال من خضعت لك رقبته ورغم لك أنفه وفاضت لك عينه وذل لك قلبه.

يا من الوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يكسرون عظما أنت جابره

فهذا وأمثاله من أثار التوبة المقبولة فمن لم يجد ذاك في قلبه فليتهم توبته وليرجع إلي تصحيحها فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة وما أسهلها باللسان والدعوي

أسرار التوبة ولطائفها

صاحب البصيرة إذا صدرت منه خطيئة فله نظر إلي ثلاثة أمور

أحدها: أن ينظر إلي أمر الله ونهيه فيحدث له ذلك الاعتراف لكونها خطيئة والإقرار علي النفس بالذنب

الثاني: أن ينظر إلي الوعد والوعيد فيحدث ذلك له خوفا وخشيه يحمله علي التوبة

الثالث: أن ينظر إلي تمكين الله له وتخليته بينه وبينها وتقديرها عليه وانه لو شاء لعصمه منها فيحدث له ذلك أنواعا من المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وحكمته ورحمته ومغفرته وحلمه وكرمه وتوجد له هذه المعرفة عبودية بهذه الأسماء لا تحصل بدون لوازمها البتة ويعلم ارتباط الخلق والأمر والجزاء والوعيد بأسمائه وصفاته وأن ذلك موجب الأسماء والصفات وأثرها في الوجود. وأن كل اسم وصفه مقتضي لأثره وموجبه متعلق به لابد منه،هذا المشهد بأسمائه يطلعه علي رياض موقفه من المعارف والإيمان وأسرار القدرة والحكمة يضيق عن التعبير عنها نطاق الكلم.

فمنها: أن يعرف عزة الله في قضائه وهو أنه سبحانه العزيز الذي يقضي بما شاء وأنه لكمال عزته حكم علي العبد وقضي عليه بأن قلب قلبه وصرف إرادته علي ما شاء وحال



بين العبد وقلبه وجعله مريدا شائيا لما شاء فيه العزيز الحكيم وهذا من كمال العزة إذا لا يقدر علي ذلك إلا الله وغاية المخلوق أن يتصرف في بدنك وظاهرك وأما جعلك مريدا شائيا لما يشاء منك ويريده فلا يقدر عليه إلا ذو العزة الباهرة فإذا عرف العبد عز سيده ولاحظه بقلبه وتمكن شهوده منه كان الاشتغال به عن ذل المعصيه أولي به " وانفع له لأنه يصير مع الله لا مع نفسه "

ومن معرفة عزته في قضائه: أن يعرف أنه مدبر مقهور ناصيته بيد غيرة لا عصمه له إلا بعصمته ولا توفيق له إلا بمعونته فه ذليل حقير في قبضة عزيز حميد.

ومن شهود عزته أيضا في قضائه: أن يشهد أن الكمال والحمد والغناء التام والعزة كلها لله وأن العبد نفسه أولي بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره ازداد شهوده لعزة الله وكماله وحمده وغناه وكذلك بالعكس فنقص الذنب وذلته يطلعه علي مشهد العزة.

ومنها: أن يعرف بره سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له ولو شاء لفضحه بين خلقه وهذا من كمال بره ومن أسمائه (البر) وهذا البر من سيده كان عن كمال غناه وكمال فقر العبد إليه فيشتغل بمطالعة هذه المنة ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم فيذهل عن ذكر الخطيئة فيبقي مع الله سبحانه وذلك أنفع له من الاشتغال بجنايته وشهود ذل معصيته فإن الاشتغال بالله والغفلة عما سواه هو المطلب الأعلى والمقصد الأسني.

ولا يوجب هذا نسيان الخطيئة مطلقاً بل في هذه الحال فإذا فقدها فليرجع إلي مطالعة الخطيئة وذكر الجناية ولكل وقت ومقام عبودية تليق به.

ومنها شهود حلم الله سبحانه وتعالي في إمهال راكب الخطيئة ولو شاء لعاجله بالعقوبة ولكنه الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة فيحدث له ذلك معرفة ربه سبحانه باسمه (الحليم) ومشاهدة صفه (الحلم) والتعبد بهذا الاسم والحكمة والمصلحة الحاصلة من ذلك بتوسط الذنب أحب إلي الله وأصلح للعبد وأنفع من فوتها ووجود الملزوم بدون لازمة مقتنع.

ومنها: معرفة العبد كرم ربه في قبول العذر فيه إذا اعتذر إليه بالتوبة لا بالاحتجاج بالقدر فإنه مخاصمة ومحاجة فيقبل عذره فيوجب له ذلك اشتغالاً بذكره وشكره ومحبة أخري لم تكن حاصلة له قبل ذلك فإن محبتك لمن شكرك علي إحسانك وجازاك به ثم غفر لك إساءتك ولم يؤاخذك بها أضعاف محبتك علي شكر الإحسان وحده والواقع شاهد بذلك فعبودية التوبة بعد الذنب لون وهذا لون آخر.

ومنها: أن يشهد فضله في مغفرته فإن المغفرة فضل من الله وإلا فلو أخذك بمحض حقه كان عادلاً محموداً وإنما عفوه بفضله لا باستحقاقك فيوجب لك ذلك أيضاً شكراً له ومحبه وإنابة وفرحاً وابتهاجاً به ومعرفة باسمه (الغفار) ومشاهدة لهذه الصفة وتعبداً بمقتضاها وهذا أكمل في العبودية والمحبة والمعرفة.

ومنها: أن يكمل لعبده مراتب الذل والخضوع والإنكسار بين يديه والافتقار إليه فإن النفس فيها مضاهاه للربوبية ولو قدرت لقالت مثل قول فرعون ولكنه قدر فأظهر وغيره عجز فأضمر إنما يخلصها من هذه المضاهاه ذل العبودية وهو أربع مراتب.



المرتبة الأولي: مشتركة بين الخلق وهي ذل الحاجة والفقر إلي الله فأهل السماوات والأرض جميعاً محتاجون إليه فقراء إليه وهو وحدة الغني عنهم.

المرتبة الثانية: ذل الطاعة والعبودية وهو ذل الاختيار وهذا خاص بأهل طاعته وهو سر العبودية.

المرتبة الثالثة: ذل المحبة فإن المحب ذليل بالذات وعلي قدر محبته له يكون ذله كما قيل:

مساكين أهل الحب حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر

المرتبة الرابعة: ذل المعصية والجناية فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم إذ يذل له خوفاً وخشية ومحبة وإنابة وطاعة وفقراً وفاقة.

ومنها: أن أسماءه الحسني تقتضي آثارها اقتضاء الأسباب التامة لمسبباتها فاسم (السميع البصير) يقتضي مسموعاً ومبصراً واسم (الرزاق) يقتضي مرزوقاً واسم (الرحيم) يقتضي مرحوماً وكذلك أسماء (الغفور والعفو والتواب) يقتضي من يغفر له ويتوب عليه ويعفو عنه ويستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات إذ هي أسماء كمال ونعوت جلال وقد أشار إلي هذا أعلم الخلق بالله صلوات الله وسلامة عليه حيث يقول: والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم ". رواه مسلم "

فإذا فرضت أن المعصية والخطيئة منتفية عن العالم فلمن يغفر وعمن يعفو وعلي من يتوب ويحلم وإذا فرضت الفاقات كلها قد سدت والعبيد أغنياء معافون فأين السؤال والتضرع والابتهال و الإجابة وشهود الفضل والمنة.

والتخصيص بالإنعام والإكرام فسبحان من تعرف إلي خلقه بجميع أنواع التعرفات ودلهم عليه " ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم " (الأنفال، الآية ٤٢)

ومنها: السر الأعظم الذي لا تقتحمة العبارة ولا تجسر عليه الإشارة وينادي عليه المنادي الإيمان علي رؤوس الأشهاد بل شهدته قلوب خواص العباد فازدادت به معرفة لربها ومحبة له وطمأنينة به وشوقاً إليه ولهجا بذكره وشهوداً للطفه وكرمه وإحسانه ومطالعة لسر العبودية وإشرافاً علي حقيقة الإلهية وهو ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان علي راحلة بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامة وشرابه فأيس منها فأتي شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرج: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)) رواه مسلم "

وقد بين النبي (صلي الله عليه وسلم) محبة الرب جلي وعلا للتوبة فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فأوجبت هذه المحبة فرحاً كأعظم ما يقدر من الفرح ولو كان في الفرح المشهود في هذا العام نوع أعظم من فرحة هذا الواجد لمادة حياته وبلاغة في



سفره بعد إياسه من أسباب الحياة بفقده راحلته وهذا كشدة محبته لتوبة التائب المحب إذا اشتدت محبته للشئ وغاب عنه ثم وجده وصار طوع يده فلا فرحة أعظم من فرحته به فما الظن بمحبوب لك تحبه حباً شديداً أسره عدوك وحال بينك وبينه وأن تعلم أن العدو سيسومه سوء العذاب ويعرضه لأنواع الهلاك وأنت أولي به منه وهو غرسك وتربيتك ثم إنه انفلت من عدوه ووافاك علي غير ميعاد فلم يفجأك إلا وهو علي بابك يتملقك ويترضاك ويستعينك ويمرغ خديه علي تراب أعتابك فكيف يكون فرحك به وقد اختصصته لنفسك ورضيته لقربك وآثرته علي سواه.

هذا ولست الذي أنت أوجدته وخلقته وأسبغت عليه نعمك والله عز وجل هو الذي أوجد عبده وخلقه وكونه وأسبغ عليه نعمة وهو يحب أن يتمها عليه فيصير مظهراً لنعمة قابلا ً لها شاكراً لها محباً لوليها ومطيعاً لها عابداً معاد لعدوه ومبغضاً له عاصياً له وفي التوبة من ذلك أوفر نصيب فكانت بذلك التوبة من أحب العبادات إلي الله تعالي، نسأل الله أن يرزقنا توبة نصوحاً. وأخيراً يا من أردت النجاة أسوق إليك هذه النصائح من كتاب لعل الله يجعل لك بسببها النجاة وهي: -

وهناك عدة أشياء لتخليص أسير الهوى من براثن الشيطان عندما يغريه بمواقعه المعصية وهي:

الأولي: عزيمة حر يغار لنفسه وعليها.

الثانية: جُرعة صبر يحمل نفسه علي مرارتها ساعة الإغراء.

الثالثة: قوة نفس تشجعه علي شرب تلك الجرعة والشجاعة كلها صبر ساعة وخير العيش ما أدركه العبد بصبره

الرابعة: ملاحظة حسن موقع العاقبة والشفاء بتلك الجرعة.

الخامسة: ملاحظته أن ما ينشأ عن الهوى من ألم أشد مما يحسه المرء من لذه.

السادسة: إبقاؤه علي منزلته عند الله تعالي وفي قلوب عباده وهو خير وأنفع له من لذة مرافقه الهوى.

السابعة: إيثاره لذة العفة وعزتها وحلاوتها علي لذة المعصية.

الثامنة: فرحة بغلبة عدوه وقهره له ورده خائباً بغيظه وغمه وهمه حيث لم ينل أمنيه.

التاسعة: التفكير في أنه لم يخلق للهوي وإنما هُيئ لأمر عظيم لا يناله إلا بمعصية الهوى.

العاشرة: أن يكره نفسه أن يكون الحيوان البهيم أحسن منه فإن الحيوان يميز بطبعه بين مواقع ما يضره وما ينفعه فيؤثر النافع علي الضار والإنسان أعطي العقل لهذا المعني.

الحادي عشر: أن يسير بفكره في عواقب الهوى فيتأمل كم أفاتت عليه معصيته من فضيلة وكم أوقعته في رذيلة وكم أكله منعت أكلات وكم من لذة فوتت لذات وكم



من شهوة كسرت جاها ونكست رأسا وقبحت ذكراً وأورثت ذماً وألزمت عاراً لا يغسله الماء غير أن عين الهوى عمياء.

الثاني عشر: أن يتصور العاقل انقضاء غرضه ممن يهواه ثم يتصور حاله بعد قضاء الوطر وما فاته وما حصل له

الثالث عشر: أن يتصور ذلك في حق غيره حق التصور ثم ينزل نفسه تلك المنزلة فحكم الشئ حكم نظيره.

الرابع عشر: أن يتفكر فيما تطالبه به نفسه من ذلك ويسأل عنه عقله ودينه يخبرانه بأنه ليس بشيء.

الخامس عشر: أن يأنف لنفسه من ذل طاعة الهوى فإنه ما أطاع أحد هواه إلا في نفسه ذلاً ولا يغتر بصوله إتباع الهوى وكبرهم فهم أذل الناس بواطن قد جمعوا بين الكبر والذل.

السادس عشر: أن يوازن بين سلامة الدين والعرض والمال والجاه وبين نيل اللذة المطلوبة فإنه لا يجد بينهما نسبه البته فليعلم أنه من أسفه الناس ببيعه هذا بهذا.

السابع عشر: أن يأنف لنفسه أن يكون تحت قهر عدوه فإن الشيطان إذا رأي من العبد ضعف عزيمة وسقوط همه وميلاً إلي هواه طمع فيه وصرعه وألجمه بلجام الهوي وساقه حيث أراد ومتي أحس منة بقوة عزم وشرف نفسه وعلو همه لم يطمع فيه إلا اختلاسا وسرقة.

الثامن عشر: أن يعلم أن الهوي ما خالط شيئاً إلا أفسده فإن وقع في العلم أخرجه إلي البدعة والضلالة وصار صاحبه من أهل الأهواء وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلي الرياء ومخالفة السنة وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلي الظلم وصده عن الحق وإن وقع في القسمة خرجت عن قسمة العدل إلي قسمة أو إن وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلي خيانة الله والمسلمين حيث يولي بهواه ويعزل بهواه وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربة فما قارن الهوى شيئاً إلا أفسده.

التاسع عشر: أن يعلم أن الشيطان ليس له مدخل علي ابن آدم إلا من باب هواه فإنه يطيف به ليعرف أين يدخل عليه حتى يفسد قلبه وأعماله فلا يجد مدخلاً إلا من باب الهوى فيسري منه سريان السم في الأعضاء.

العشرون: أن يتذكر أن مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقوة في لسانه وأن أغزر الناس مروءة أشدهم مخالفة لهواه وأنه ما من يوم إلا والهوى والعقل يعتلجان فأيهما قوي علي صاحبه طرده وتحكم وكان الحكم له وأن الله سبحانه جعل الخطأ وإتباع الهوى قرينين وجعل الصواب ومخالفة الهوى قرينين.

الحادي عشر: أن يعرف أن الهوى تخليط ومخالفته حمية وأن يخاف علي من أفرط في التخليط وجانب الحمية يصرعه داؤه وأن الهوى رقٌ في القلب وغلٌ في العنق وقيد في الرجل ومتابعة أسير فمن خالفه عتق من رقه وصار حراً وخلع الغل من عنقه والقيد من رجله واستطاع مسايرة الصالحين.



وأنا أوصيكم بالتمسك بالسنة وترك البدعة لان ذلك سر النجاة وهو سنة الصاحين من قبلنا.

قال عمر بن عبد العزيز: أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد في أمره وإتباع سنة رسوله صلي الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعد.

وقال أبو حنيفة: عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.

وقال مالك بن أنس:

من ابتدع في الإسلام بدعة براها حسنة فقد زعم أن محمداً صلي الله عليه وسلم خان الأمانة لأن الله تعالي يقول " اليوم أكملت لكم دينكم " فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً.

وقال الشافعي:

بعد تأليفه كتبه لابد أن يوجد في كتبي الخطأ لقولة تعالي " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثير " فما وجدتم فيها مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه.

وقال الإمام احمد بن حنبل:

أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب الرسول (صلي الله عليه وسلم) والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعه فهي ضلالة.

الخـــاتمـــة

بعد هذا السياق في حدائق الإسلام رأينا كيف أن الذنوب هي السبب والمعول الأساس في هدم زوال النعم وجلب الكروب وضياع القيم والمبادئ والحضارات ورأينا كيف أن باب الله مفتوح لا يغلقه أبداً وأنه لا علاج لنا ولا دواء لنا إلا بالعودة إلي الله قولاً وفعلاً وسلوكاً وخلقاً.

وددت أن أختم كلامي بآية وقصة وخبر وفيها إن شاء الله عبره لمن اعتبر أما الآية فهي قوله تعالي:

(فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتناهم إلي حين (

وقصة هؤلاء القوم وهم قوم يونس (عليه السلام) في مدينة نينوي شمال العراق:

قيل إنهم لما أظلهم العذاب وظنوا أنه قد دنا منهم وفقدوا يونس عليه لسلامي قلوبهم التوبة وفرقوا بين كل أنثي وولدها وعجوا إلي الله أربعين يوماً أي رفعوا أصواتهم



بالتلبية والدعاء فلما عرف الله صدق توبتهم وكشف عنهم العذاب وقال: " ومتعناهم إلي حين " أي لم نعاجلهم بالعقوبة واستمتعوا بأجلهم في الدنيا إلي حين مماتهم وقت فناء أعمارهم. (هذا ما ذكره الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره)

وما أحوج أمتنا اليوم أن تعج إلي الله وتتوب إلي الله وتنيب إلي الله ليرفع عنها ما هي فيه من الذل والمهانة والخيبة والاستكانة ويعيدها إلي مجدها وعزها.

) اللهم أيقظنا من غفلتنا بفضلك وإحسانك وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك والحقنا بالذين أنعمت عليهم في دار رضوانك وارزقنا كما رزقتهم من لذيذ مناجاتك واغفرلنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الرحمين. (

المـــراجــع

أولاً: التفاسير

١- تفسير القرآن العظيم (للإمام ابن كثيـر)
٢- في ظلال القرآن (لسيد قطب)
٣- الطبري (لابن جرير الطبري)
٤- القيم (لابن القيم)
٥- روح المعاني (للألوسي)
٦- المنار (لـمحمد رشيد رضا)

ثانياً: السنة

١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ابن حجر العسقــلاني)
٢- شرح مسلم (للإمام النووي)
٣- مسند الإمام أحمد (تحقيق أحمد شــاكـر)
٤- السلسلة الصحيحة (للألـبـاني)
٥- صحيح الترمذي (للألـباني)
٦- صحيح الجامع الصغير (للألـبـاني)
٧- صحيح سنن أبي داود (للألباني)
٨- صحيح سنن النسائي (للألـباني)
٩- سير أعلام النبلاء (الذهـبي)
١٠- قصص الأنبياء (ابن كـثـيـر)



١١- صحيح وصايا الرسول (سعيد أبو عزيز)

ثالثاً: العـقـيــدة

١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (الندوة العلمية للشباب اوالرياضة الإسلامي)

٢- فتـــاوي (ابن تيمية)

رابعاً: الرقـائق

١- إغاثة اللهفان (ابن الـقيم)

٢- مدراج السالكين (ابن القيم)

٣- وقاية الإنسان من الجن والشيطان (وحيد عبد الســلام)

٤- البحر الرائق في الزاهد والرقائق (أحمد فريـد)

٥- الكبائر (الذهبي)

٦- إحياء علوم الدين بتحقيق العراقي (أبو حامد الغزالي)

٧- صحيح التذكرة (القرطبي)

٨- الزهد (ابن حـنـبل)

٩- تلبيس إبليس (ابن القيم)

١٠- الداء والدواء تحقيق هاني الحاج

الجزاء من جنس العمل (د / ســيد حسين)

١٢- أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب (محمد محمود الصواف)

١٣- التحذير من سوء الخاتمة (الشـيخ القحطاني)

١٤- التحذير من سوء الخاتمة (عبد الحميـد السحـيـاني)

١٥- هكذا علمتني الحياة (كتاب) (الشيخ علي القرني)

١٦- الترغيب والترهيب (المـنـذري)

١٧- حادي الأرواح إلي بلاد الأفراح (ابـن الـقيـم)

١٨- أدب الدنيا والدين (أبو الحســن الماوردي)

١٩- مائة قصة وقصة من أنيس الصالحين وسمير المتيقن الجزء الثاني (محمد أمـين الجند ي)

٢٠- الروح (ابن الـقيم)



٢١- أخي العاصي أقبل (محمود المصري)

٢٢- الفرج بعد الشدة (أحمد فريد)

٢٣- الفوائد (ابن القيم)

٢٤- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام (الشيخ / محمد الغزالي)

٢٥- الغزو الفكري في التصور الإسلامي (هدية مجلة الأزهر جمادي ١٤١٤) (أحمد عبد الرحيم السايح)

خامساً: التاريخ

١- البداية والنهاية (ابن كثر)

٢- الطبقات الكبري (ابن سعد)

٣- دولة الإسلام في الأندلس٠مكتبة الأسرة (محمد عبد الله عنان)

٤- حضارة العرب جمة / عادل زعتر)

٥- حاضر العالم الإسلامي (ترجمة / نويهيض)

٦- أضواء علي الثقافة الإسلامية (نادية شريف العمري)

٧- كتاب التاريخ المقرر علي الصف الثاني الثانوي العام.

٨- كتاب الدراسات الاجتماعية المقرر علي الصف الثاني الإعدادي العام.